

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا والبحث
فرع الأدب

النقد في الأصول والحجج

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

عبد الله عبد الكريم أحمد العبادي

إشراف

الدكتور ناصر سعد الرشيد

١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ



٢١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فہرست الموضوعات

(أ)

الصفحة

١

المقدمة

٧

التمهيد

الباب الاول

٢٢

النقد قبل الآمدى والجرجانسي

٢٣

أخطاء الشمراء .

الفصل الاول :

٤٢

اللفظ والمعنى .

الفصل الثانى :

٦٠

السرققات الشعرية .

الفصل الثالث :

٧٤

القديم والجديد .

الفصل الرابع :

٨٩

قضايا نقدية أخرى .

الفصل الخامس :

الباب الثانى

٩٩

النقد عند الآمدى

١٠٠

الموازنمة .

الفصل الاول :

١٨٠

أخطاء الشمراء .

الفصل الثانى :

٢١٤

اللفظ والمعنى .

الفصل الثالث :

٢٦٣

السرققات الشعرية .

الفصل الرابع :

٢٩٤

القديم والجديد .

الفصل الخامس :

٣٠٩

قضايا نقدية أخرى .

الفصل السادس :

الباب الثالث

٣٢٣

النقد عند القاضى الجرجانسي

٣٢٤

الموازنمة .

الفصل الاول :

٣٤٥

أخطاء الشمراء .

الفصل الثانى :

٣٧٥

اللفظ والمعنى .

الفصل الثالث :

(بعد ٢/٥)

(ب)

٣٨٦	السرقاا الشعمرىة .	الفصل الرابعا :
٤٤٦	القديم والجدىة .	الفصل الخامس :
٤٥٧	قضايا نقدية أخرى .	الفصل السادس :

الباب الرابع

٤٧٩	أثر الآمدى والجرجانى فى النقد بعد هما	
٤٨٠	أثر الآمدى فى النقد عند الجرجانى .	الفصل الاول :
٤٩١	أثر الآمدى فى النقد فى كتاب الصناعتىن .	الفصل الثانى :
٤٩٩	أثر الجرجانى فى النقد فى كتاب الصناعتىن .	الفصل الثالث :

الباب الخامس

٥٠٨	جمهوء الآمدى والجرجانى فى نظر النقاد المحدثىن	
٥٠٩	نقد الآمدى فى نظر النقاد المحدثىن .	الفصل الاول :
٥٢٢	نقد القاضى الجرجانى فى نظر النقاد المحدثىن .	الفصل الثانى :

٥٣٤	الخاتمة	
٥٤١	المصادر والمراجع	

المقدمة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى
بهده الى يوم الدين .. على الله نتوكل ومنه نستمد العون .. وبعد .

كنت قد درست فى رسالتى للماجستير جانباً من تراثنا النقدي - وكان
موضوع الدراسة المقاييس النقدية فى كتاب طبقات فحول الشعراء لابن
سلام - وظهر لى من خلال الدراسة أمران :

أولهما : أن كتاب ابن سلام يعتبر نواة النقد العربى المؤلف .
ثانيهما : أن هذا التأليف قد بلغ ذروته وتماه حتى نهاية القرن
الرابع فى كتاب الموازنة للأمدى والوساطة للقاضى الجرجاني .

وقد وجدت أن النقد عند هذين الناقلين لم يحظ بدراسة شاملة
تبين موقفهما من دراسة القضايا النقدية الهامة التى اعتمد عليها النقد اعتماداً
كبيراً حتى نهاية تلك المرحلة التى اكتملت مع أواخر القرن الرابع ولست
أنكر فضل الدارسين الذين تعرضوا لجوانب النقد عندهما بطريقة أخرى .

ومنذ اللحظة الأولى التى عزمت فيها على دراسة النقد عندهما ، ظهر
لى أن دراسة الناقلين معا سيكون أمراً صعباً وليس من السهولة بمكان أن
يعرض دارس لدراسة ما وضعه ناقدان كبيران ، وتكون دراسته شاملة
وافية فى فترة محددة من الزمن . ولذلك فقد عقدت العزم ابتداءً على
دراسة النقد عند أحدهما بطريقة تختطف عما علمته فى هذه الرسالة وذلك
لعملي أن مثل تلك الدراسة كافية ولتكون دقيقة شاملة ولذلك فقد قدمت
منهجاً كاملاً لما عزمت عليه فى تلك الدراسة ، الا أن المجلس الموقر المكون

من أصحاب السعادة أساتذة اللغة والأدب والنقد قد رأى أن تكون
الدراسة شاملة للناقدين - فقبلت لايماني أن ذلك أكثر خدمة لهذا
المعلم .

وقد أدركت حينها المشقة التي ستعترضني ، فالكتابان كبيران
والقضايا النقدية الهامة درسها الأمدى والجرجاني بشمول ، وكان أمامي
أكثر من منهج للدراسة - إلا أن المنهج الذي أعرضه في هذه الرسالة هو
ما استقر عليه الرأي أخيرا بتوجيه ومعاونة سعادة الأستاذ الدكتور المشرف
على الرسالة .

ويتمثل هذا المنهج في دراسة النقد كاملا عند الأمدى ودراسته عند
الجرجاني وذلك بعرض القضايا النقدية وكيف عالجها كل منهما وأثر هذه
القضايا في الشعراء الذين درسهم الناقدان .

ولما كانت القضايا النقدية التي عرضها الأمدى والجرجاني قد سبقا
اليها وهي من أصول النقد العربي الأولى كان من الواجب أن أبين كيف
كانت هذه القضايا عند النقاد الذين سبقوهما لمعرفة ما أفاده الناقدان
منهم ، ومعرفة ما أضافه الناقدان الى النقد العربي من آراء .

ورأيت من الواجب أن أبين أثرهما فيمن جاء بعدهما من النقاد
باعتبارهما أعظم من انتهى اليه النقد في القرن الرابع فدرست أثرهما في
كتاب الصناعتين لأنه جاء بعدهما مباشرة وجمع في كتابه كثيرا من آرائهما -

ولأنه ختم بكتابه النقد فى القرن الرابع - ولم أرغب الانتقال الى نقد القرن الخامس لأن ذلك موضوع يحتاج الى دراسة مستقلة وتتبع يطول .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون فى خمسة أبواب - سبقتها مقدمة وتمهيد وتلتها خاتمة .

فأما التمهيد فكان لابد فيه من عرض للموازنات وكيف كانت قبل الأمدى والجرجانى باعتبار الموازنة هى الأساس الذى اعتمد عليه الناقدان فى نقدهما كما أنها الاطار العام الذى يضم جميع القضايا التى ارتكزت عليها دراسة النقد فى كتابى الموازنة والوساطة .

وقد جاء تقسيم أبواب البحث على النحو التالى :

(الباب الاول) " اللقد قبل الأمدى والجرجانى "

وقد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

- الفصل الاول : أخطاء الشعراء .
- الفصل الثانى : اللفظ والمعنى .
- الفصل الثالث : السرقات الشعرية .
- الفصل الرابع : القديم والجديد .
- الفصل الخامس : قضايا نقدية أخرى .

وقد عرضت فى هذا الباب مواقف النقاد المتقدمين من هذه القضايا وآراءهما النقدية فيها وما انتهى اليه النقد عندهم قبل الأمدى والجرجانى .

(الباب الثانى) " النقد عند الأمدى "

وقد اشتمل هذا الباب على ستة فصول :

- الفصل الاول : الموازنة .
- الفصل الثانى : أخطاء الشعراء .
- الفصل الثالث : اللفظ والمعنى .
- الفصل الرابع : السرقات الشعرية .
- الفصل الخامس : القديم والجديد .
- الفصل السادس : قضايا نقدية أخرى .

وقد عرضت فى هذا الباب موقف الأمدى من هذه القضايا وطريقة دراسته لها وعلاقة هذه الدراسة بحكمه على أبى تمام والبحترى .

(الباب الثالث) " النقد عند القاضى الجرجانى "

وقد اشتمل هذا الباب على ستة فصول أيضا :

- الفصل الاول : الموازنة .
- الفصل الثانى : أخطاء الشعراء .
- الفصل الثالث : اللفظ والمعنى .
- الفصل الرابع : السرقات الشعرية .
- الفصل الخامس : القديم والجديد .
- الفصل السادس : قضايا نقدية أخرى .

وقد بينت فى هذا الباب كيف درس الجرجانى هذه القضايا وأثرها فى نقده لشعر المتنبى وعلاقتها بذلك .

(الباب الرابع) " أثر الأمدى والجرجاني في النقد بعدهما "

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

- الفصل الاول : أثر الأمدى في النقد عند الجرجاني .
- الفصل الثاني : أثر الأمدى في النقد في كتاب الصناعتين .
- الفصل الثالث : أثر الجرجاني في النقد في كتاب الصناعتين .

واقترنت في هذا الباب على دراسة أثر الأمدى في الوساطة والصناعتين وعلى أثر الجرجاني في الصناعتين على ما أخذ منهما نصاً أو مفهوماً ولم أتمعرض لما ورد من قضايا سبقت قبلهما بوضوح لعدم الجزم بالنقل منهما دون غيرهما .

(الباب الخامس) " جهود الأمدى والجرجاني في نظر النقاد المحدثين "

وقد اشتمل هذا الباب على فصلين :

- الفصل الاول : نقد الأمدى في نظر النقاد المحدثين .
- الفصل الثاني : نقد الجرجاني في نظر النقاد المحدثين .

وذكرت في هذا الباب ما قاله النقاد المحدثون في النقد عند الأمدى والجرجاني وكيفية نظرهم لجهود هذين الناقلين .

وأما الخاتمة فهي استنتاج وخلاصة لما وصلت اليه .

وقد كنت أرجو أن يخرج هذا البحث على صورة أخرى أشمل وأدق من هذه الصورة إلا أن توسيع قاعدة البحث من ناقد إلى ناقلين ، وتحديد الزمن مع وفرة المادة النقدية في الكتابين جعلني أسلك هذا المسلك الذي

لم أرض عنه تمام الرضا - ولكنه بلا شك عمل سيضيف الى دراسات النقصد
دراسقلا بأس بها .

اننى أحمد الله وأشكره الذى وفقنى الى اتمام هذا البحث على هذه الصوره
وأرجو الله أن يوفقنى مستقبلا لتمامه على الصورة التى أريد .

واننى أتقدم بشكرى الى سعادة الدكتور ناصر سعد الرشيد ، المشرف
على هذا البحث - الذى قدم لى النصح الوافى والإرشاد الكافى والذى لم
أشعر يوما أنه استاذ يتمتع طالباً بقدر ما شعرت أنه أخ ينصح أخاه
ويمينه بالرأى السديد والتوجيه السليم والذى جعل جل وقته على كثرة
مشاغله ومسئولياته ملكاً لى أزوره متى شئت وأستعين به دون التزام بجدول
أو وقت معين - ولن أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر مهما أثنت - فجزاه
الله خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ؛

عبد الله عبد الكريم أحمد العبادى

الْمُهَيْبِل

تعتبر الموازنة بين الشعراء منذ نشأة الشعر ، أهم ما يرمى اليه
النقاد ، فقد اهتموا بالموازنة والمفاضلة بين الشعراء واختلفوا في ذلك
وأصبحوا فرقا .

وكانت الموازنة سببا في دراستهم لقضايا نقدية تتعلق بالشعر وتخدم
الموازنة ، وتعتبر الموازنة أساسا لظهور دراسة النقاد لتلك القضايا ، وأعني
بتلك القضايا تتبع أخطاء الشعراء وقضية اللفظ والمعنى والسرقات والقديم
والجديد ، كما اهتموا بأمور أخرى تتصل بالشعر كأثر البيئة والصدق والعنصر
الخلقي وغيرها .

لقد قامت الموازنة على تلك القضايا والأسس وتم تفضيل الشاعر أو تأخير
على ضوء ما يتوفر له من نصيب في قضية من القضايا ، فبالنسبة للأخطاء اهتم
النقاد برصدها وتتبعها لدى الشعراء وبينوا أثر ذلك في شعرهم
واهتموا بأنواعها فبينوا أن منها ما يتعلق باللفظ ومنها ما يتعلق بالمعنى
ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بالمروى ومنها ما يتعلق بالواقع
وغير ذلك .^(١)

فالأصمعي يفاضل بين بشار والكميت ويفضل بشارا قائلا " لم يتعلق
على بشار بشيء وتعلق على الكميت - أي خطأ " .^(٢)

(١) أنظر طبقات فحول الشعراء ٢٦ ، ١٧-٥٣ وغيرها ، الموشح ١٣-٢٥ ،
الموازنة ١٤١ ، ١٥٧ ، ٣٧١ ، الوساطة ٤-٨ ، وانظر الباب الاول ،
الفصل الاول ، والفصل الثاني من البابين الاول والثاني من هذه الرسالة .

(٢) الموشح ٢٤٦ .

وبالنسبة للفظ فقد قدموا الشاعر على غيره لجودة ألفاظه ، فعمير
رضي الله عنه يقول لابن عباس : " أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت من هو
يا أمير المؤمنين ، قال زهير ، قلت أو كان كذلك ؟ قال كان لا يفاضل بين
الكلام ولا يتبع وحشيته ولا يمدح الرجل إلا بما فيه " (١) وقد تفرغ الشاعر
الفاظه فأبو عمرو بن العلاء يخرج عدى بن زيد العبادى من الفحول قائلاً
" عدى بن زيد فى الشعراء مثل سهيل فى الكواكب يعارضها ولا يجرى معها
ويقعد به عن شأوها الفاظه الحريصة وأنها ليست بنجدية " . (٢)

ولا حظوا قيمة المعنى فى تقديم الشاعر عند الموازنة بين شاعرين فابن
أبى عتيق يوازن بين عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى ويقول
" أشعر قریش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت
حواشيه وأنارت معانيه " . (٣)

واهتموا بأثر السرقة فى تفضيل الشاعر وتأخيريه ، فالأصمعى يسأل عن
الفرزدق وجبرير فيفضل جبريرا قائلاً : " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وكان
يكابر وأما جبرير فما علمته سرق إلا نصف بيت " . (٤)

(١) طبقات فحول الشعراء ٦٣

(٢) الموشح ٦٦

(٣) نفس المصدر ١٩٠

(٤) نفس المصدر ٩٦

وكان لميل النقاد الى الشعر القديم وتفضيله على المحدث أثر فى الموازنة ، فقد آخروا كل محدث ولم يقدموه مع أنهم يشهدون بفضله ولكنهم لا يقدمونه ولا يفضلونه لتأخر زمانه ، روى عن الأصمعي " أنه استحسن قصيدة لشاعر عباسي فأعجب بها فلما عرف أنها من الشعر العباسي استهجنها " (١)

وابن الاعرابي يسمع شعرا لأبي نواس ويسأل : " أما هذا من أحسن الشعر ؟ فيقول بلى : ، ولكن القديم أحب الى " . (٢)

وأبو عمرو بن العلاء لا يستشهد بشعر الأخطل لأنه لم يدرك الجاهلية " ولو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ما قدم عليه أحدا " . (٣)

وقد لاحظ الشعراء أنفسهم ذلك ورأوا أن الذى أخرهم عن من سبقهم من الشعراء إنما هو تأخر زمانهم فقد سئل بشار عن سبب تأخره عن اللهاق بركب فحول الشعراء المتقدمين فقال " أرى بشعرى الأذان يعنى أنه اسلامي " . (٤)

واهتموا بأثر البيئة فى الموازنة واختصوا أهل الوبر بالتقديم على أهل الضر لأن " مراكنة الريف ونزول الحواضر سبب فى لين الشعر وضعفه وأن شعر البادية قوى جزل يبعد عن الضعف والتداخل " . (٥)

(١) الموازنة ١ / ٢٣ ، ٢٤ ، والنقد لشوقي ضيف . ٤

(٢) الموشح ٢٢٣ .

(٣) فحول الشعراء ٢٤-٥١

(٤) الاغانى ٣ / ١٤٣

(٥) وعلى هذا الاساس فضل ابن سلام شعراء البادية على شعراء الحاضرة ونسب الى الحضرة لين الشعر وضعفه انظر طبقات فحول الشعراء وانظر

خاصة ص ١٤٠ و ٢٤٥ .

ووازنوا بين الشعراء وفضلوا الصادق منهم فمعر بن الخطاب رضي الله عنه
يفضل زهيراً لأنه " لا يمدح الرجل إلا بما فيه " ^(١) وفضل جماعة من النقاد
جميلاً على كثير لأن جميلاً كان أصدق شعراً في نظرهم . ^(٢)

واهتموا بالعنصر الخلقى وفضلوا به الشاعر على غيره من الشعراء فقد
قال عبد الله بن المعتز : " ما قدم به زهير على الشعراء أنه كان أبعد
من سخط " ^(٣) .

لقد اهتم النقاد بالموازنة بين الشعراء - وحملت لنا كتب السترات صوراً
منها ، وأول ما يأتينا من صور الموازنة في النقد العربي القديم حكومة
أم جندب التي وازنت بين شعراء امرئ القيس وعلقمة الفحل فقد تنازع امرؤ القيس
ابن حجر وعلقمة بن عبده - وهو علقمة الفحل في الشعر أيهما أشعر فقال كل
واحد منهما أنا أشعر منك فقال علقمة قد رضيت بامراتك أم جندب حكما بيني
وبينك فحكماها فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على
قافية واحدة ، وروى واحد ، فقال امرؤ القيس :

خليلي مرا بي على أم جندب هه نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذ هب

ولم يك حقا طول هذا التجنسب

(١) طبقات فحول الشعراء ٦٣

(٢) الموشح ١٨١ ، وقد أشار إلى أن كثير أصدق وضرب لذلك مثلا .

(٣) الموشح ٤٤ .



فأنشداها القصيدتين فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك قال وكيف ؟
قالت لأنك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب
فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقتك وقال علقمة :
فأدر كهن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب
فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه . فقال : ما هو بأشعر
منى ولكنك له عاشقة وطلقها فخلفه عليها علقمة فسمى الفحل لذلك * . (١)

ونرى أن أم جندب اشترطت أن تكون الموازنة بينهما في الشعر تشمل
الفرغ والقافية والروى .

وقد اهتم النقاد بالموازنة فاستمرت مع استمرار العصور الأدبية فهذا
الوليد بن عبد الملك بن مروان يتشاجر مع أخيه مسلمة في امرئ القيس والناخلة
أيهما أجود في وصف الليل " فرضيا بالشعبي فأحضر فأنشده الوليد :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطى الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقضى وليس الذى يرمى النجوم بأيب
وصدر أراح الليل عازب همسه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وأنشد مسلمة قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبـه وأردف اعجازا وناء بكلـكل
ألا أيها الليل الطويل الانجلي بصبح وما الا صباح فيك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومـه بكل مغار الفتل شدت ببذبل
كأن الثريا علقت في مصا مهـا بأمراس كثان الى صم جندل

قال فضرب الوليد برجله طربا فقال الشعبي : بانت القضية " (١) وهذه موازنة في الغرض أيضا .

وقد يطلق الحكم في التفصيل دون تحديد الأبيات التي تمت بينها الموازنة
وانما يكون التفصيل للشاعر في تفوقه على غيره من الشعراء أو تقصيره في غرض من
الأغراض أو في عامة شعره : " قال أبو عمر بن العلاء : ما رأيت أفخر من
قول امرئ القيس :

فلو انما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلا من المال
ولكنني أسعى لمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالي

ولا أنذل من قوله :

لنا غنم نسوقها غـزار كأن قرون جلتها العصـي
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبيع وري (٢)

(١) الموشح ٢٩ - ٣٠

(٢) نفس المصدر ٢٥

ويقول الاصمعي : " طفيل الفنوى فبعض شعره أشعر من امرئ القيس^(١)
ويقول " لم يكن النابغة وزهير وأوس يحسنون صفة الخيل ولكن طفيل الفنوى
في صفة الخيل غاية في النعت " .^(٢)

وكان الشعراء يتبارون في أيهم يفضل الآخر وخير دليل على ذلك ما كان
يجرى في سوق عكاظ فقد " كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من
أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعزى عليه أشعارها فأول من أنشده
الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجففات الفر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محـرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا اينما

فقال له النابغة أنت شاعر ولكنك أقللت جفائك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم
تفخر بمن ولدك " .^(٣) ثم أخذ يستعرض شعر الشعراء ويفاضل بينهم .

وكان الشعراء يبتدرون الابيات ليفضل أحدهما الآخر يقول النابغة
" انى وأوس ابن مفرأ لنبتدر بيتا ما قلناه بعد لو قاله أحدنا لقد
غلب على صاحبه " .^(٤)

(١) الموشح ٣٢

(٢) نفس المصدر ٣٩

(٣) نفس المصدر ٥٤ - ٥٥

(٤) نفس المصدر ٦٠

قال أوس بن مفرأ :

فلست بمعاف عن شتيمة عامر ولا جابس عما أقول وعيدها
تري اللؤم ما عاشوا جد يد اعليهم وأبقى ثياب اللابسين جد يد
لممرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلورها

فقال النابغة هذا البيت الذي كنا نبتدر وغلب الناس أوسا على النابغة
الجعدى " (١) .

وتدخل الموازنة عند النقاد القدامى فى المعانى - فكانوا يفضلون الشاعر
لتفضيل محناه فقد انتقدوا قول الشماخ :

إذا بلختنى وحملت رحلى عرابة فأشرقى بدم الوشيين

وفضلوا عليه الفرزدق فى قوله :

علام تلفتين وأنت تحلى وخير الناس كلهم أمامى
متى تأتى الرصافة تستريحى من الاقاع والدبر الدوامى

وأبا نواس فى قوله :

فاذا المطى بنا بلفن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قرينا من خير من ولى الحصا فلها علينا حرمة وذمام

وقوله :

أقول لناقتى اذ قربتــــنى لقد أصبحت عندى باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا ولا قلت اشرقى بدم الوثنيين
حرمت على الازمة والولا يــــا وأعلاق الرحالة والوغضيين (١)

وقد وضعوا للموازنة مصطلحات من البيئة تتعلق بنوع الشعر ، فقد
" تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاثم وعبد بن الطبيب والمخبل السعدي
الى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر أيهم أشعر ؟ فقال للزبرقان أما أنت
فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيثا فينتفع به ، وأما أنت
يا عمرو فان شعرك كبرود حبر يتلأأ فيها البصر فكلما أعيد فيها النظر نقص
البصر وأما أنت يا غخيل فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم ،
وأما أنت يا عبدة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر " . (٢)

كما وازنوا بين الشعراء على طريقة موازنتهم بين الخيل في السباق ف " كان
يقال للأخطل اذا لم يحى سابقا فهو سكيت والفرزدق لا سابقا ولا سكيثا فهو
بمنزلة المصلى وجريير يجي * سابقا وسكيثا ومصليا ، وتأويل ذلك أن للأخطل
خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غرا جيادا هو بهن سابق وسائر شعره دون
أشعارهما فهو فيما بقى بمنزلة السكيت والسكيث آخر الخيل في الرهان ويقال
ان الفرزدق دونه في الروائع وفوقه في بقية شعره فهو مصلى والمصلى السدي

(١) الابيات في الموشح ٦١ - ٦٢

(٢) نفس المصدر ٦٧ - ٦٨

يجىء بعد السابق وقبل السكيت وجريده روائع هو بهن سابق وأواسط هو بهن
مضلى وسفسفات هو بهن سكيت .^(١)

ويخضع التقديم والتفضيل أحيانا لسبق الشاعر الشعراء في أمور واختصاصها
بها فيفضل لحقه في السبق والابتداء فقد " أحتج لامرئ القيس من يقدمه
فقال ما قال مالم يقولوا ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعها واستحسنتها
العرب واتبعته فيها الشعراء . استيقاف صحبه والبكاء في الديار ورقرة
النسيب وقرب المأخذ وشبه النساء بالظباء والبيض وشبه الخيل بالعقبان
والمصبي والا وابد وأجاز في التشبيه وفصل بين النسيب والمعنى كان أحسن
أهل طبقة تشبيهها .^(٢)

ووازن النقاد بين الشعراء وجعلوا التفضيل أحيانا لأمر عامة في شعرهم
فاقوا بها غيرهم فابن سلام يقول عن النابغة : " كان أحسنهم ديباجة شعر
وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا "^(٣) ويقول عن زهير " كان زهير أحصفهم
شعرا وأبعدهم عن سخر وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق
وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا في الشعر "^(٤) ويقول عن الأعشى
" هو أكثرهم عروضا وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا
كل ذلك عنده . "^(٥)

(١) طبقات فحول الشعراء ٣٧٥ والموشح ١٠٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٥٥

(٣) نفس المصدر ص ٥٦

(٤) نفس المصدر ص ٦٤

(٥) نفس المصدر ص ٦٥

واهتموا بتفوق الشاعر في الفن الشعري وفضلوه على أشباهه من الشعراء الذين طرخوا الفن ذاته فقد فاضل ابن سلام بين أهل الرثاء من الشعراء وقال " والمفضل عندنا متم بن نويه " ^(١) وفاضل بين جميل وكثير في الغزل وقال " ان جميلا كان أغزل منه " ^(٢) .

وقد كان للشعراء دور في الموازنة وذلك منذ العصر الجاهلي ، فقد " مر لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسولا سؤولا يسأله من أشعر الناس قال الملك الضليل فأعاده عليه قال ثم من قال الفلام القليل قال ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه " ^(٣) وسئل جرير عن أشعر الناس في الجاهلية فقال : زهير وعن أشعر الناس في الاسلام فقال : الفرزدق . وقال عن نفسه اني نحرث الشعر نحرأ " ^(٤) .

واستمرت ظاهرة موازنة الشعراء للشعراء فقد سئل بشار عن جرير والفرزدق والأخطل فقال " لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تمصبت له وأفرطت فيه " وقال " كان لجرير غروب من الشعر ما يحسبها الفرزدق ولقد ماتت النسوار فراح عليها النساء بشعر جرير " ^(٥) .

(١) طبقات فحول الشعراء ١٢

(٢) نفس المصدر ٥٤٥

(٣) نفس المصدر ٥٤

(٤) نفس المصدر ٦٥ ، وقد قدم الفرزدق جريرا ، انظر ص ٢٩٩ .

(٥) الموشح ص ١٠٥ ولذلك امثلة كثيرة حيث كان الشعراء يوازنون بعضهم

بعضهم ، انظر طبقات فحول الشعراء ٦٥ ، ٤٥٦ .

واهتم النقاد بمدى قبول الشعر ومكانته في النفس وفضلوا الشعراء بنساء
على ذلك فقد " ذكر شعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن العاص
ابن هشام المخزومي عند ابن عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق - وفي المجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام
ابن المغيرة فقال صاحبا الحارث أشعرهما فقال ابن أبي عتيق بعض قولك
يا ابن أخي فلشعر عمر لوطاة في القلب وعلق بالنفس ودرك للحاجة ما ليس لشعر
غيره " . (١)

وقد وازن النقاد القدامى بين شعراء محدثين مع أن النقاد القدامى أهملوا
الشعر المحدث كما نعلم (٢) - فهذا الأصمعي يوازن بين بشار ومروان بن أبي
حفصه فيقول : " بشار أشعرهما ، لان مروان سلك طريقا كثر سلاكه فلم
يلحق بمن تقدمه وأن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به وأحسن فيه
وهو أكثر فنون شعر (٣) وأقوى على التصرف وأغزر وأكثر بدعا ومروان أخذ
بمسالك الأوائل " (٤) ويقول عن أهل الكوفة " وقد ختموا الشعراء بمروان بن أبي
حفصه ولو ختموهم ببشار كان أخلق وانما مروان من أقران سلم الخاسر وقد

(١) الموشح ١٩٠

(٢) انظر فصل (القديم والجديد من هذا الباب) .

(٣) وقد يفضل الشاعر لكثرة فنون الشعر عنده ، فنجد ابن سلام يفضل كثيرا على جميل لتعدد الأغراض عند كثير مع أن جميلا كان يفوقه في الغزل . (طبقات فحول الشعراء ١١٠) .

(٤) الموشح ٢٢٨

تزاحمنا بالشعر في مجالس الخلفاء وسوى بينهما في الصلة وسلم معترف لبشار
ولقد كان بشار يقوم شعر مروان قال أبو حاتم وقال أبو زيد الأنصاري — مروان
أجد وبشار أهزل فحدثت الأصمعي بقول أبي زيد فقال بشار يصلح للجسد
والهزل ومروان لا يصلح إلا لأحدهما " (١).

وقد كان للرواة دور في الموازنة وتقديم الشاعر - وقد يأخذ الناس
برأيهم في ذلك فيفضلون من فضلوا فقد " كان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط
وكان المفضل الراوية يقدمه مقدمة شديدة " (٢).

وللناس دور في تقديم الشاعر إذا تمت موازنته بشاعر آخر وقد يخالف ذلك
آراء النقاد " قال عمرو بن العلاء خدأش أشعر في قريحة الشعر من لبيد وأبى
الناس إلا تقديم لبيد " (٣).

وقد تختلف مكانة الشاعر وموازنته بغيره من مصر إلى مصر فـ " علماء
البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى
وأهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والناطقة " (٤).

وللقبيلة دور في تقديم الشاعر فقد سئل بشار المرعث أي الثلاثة أشعر
(الأخطل وجريبر والفرزدق) فقال : " لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة

(١) الموشح ٢٢٨

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢٩٩

(٣) نفس المصدر ١٤٤

(٤) نفس المصدر ٥٢

تعصبت له وأفرطت فيه . " (١)

لقد اهتم النقاد بالفحولة وفاضلوا فيها بين الشعراء وقد موا الشعراء
الفحل على غيره . وصنفوا الشعراء الى فحول وغير فحول وهكذا ، كما اهتم
النقاد بالموازنة بين الشعراء وبيان الأفضل وسبب ذلك ، ولذلك فقد تحدث
النقاد كثيرا في الشعراء والموازنة بينهم والقوافي ذلك المصنفات وكان من تلك
المصنفات التي سبقت الأمدى والجرجاني فحولة الشعراء للأصمعي وطبقات
فحولة الشعراء لابن سلام وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وغير ذلك . .

وهكذا يتبين أن الموازنة عند الأمدى والجرجاني خضعت للقضايا
والأسس التي خضعت لها عند النقاد المتقدمين وقد أخذوا منهم شيئا كثيرا -
ويظهر ذلك في عرض الموازنة عندهما فيما سيأتى في هذا البحث ان شاء الله .

الباب الأول

النقد قبل الأمدى والجرجاني

- الفصل الأول - أخطاء الشعراء
- الفصل الثانى - اللفظ والمعنى
- الفصل الثالث - السرفقات الشعرية
- الفصل الرابع - التقديم والجديد
- الفصل الخامس - قضايا نقدية أخرى

الفصل للذو

أَخْطَاءُ الشَّعْرِ

اهتم النقاد القدامى بأخطاء الشعراء وأغاليطهم في الشعر، وأكثروا في ذلك مما يدل على تأثير الأخطاء في قيمة الشعر الفنية ، وقد عالجوا الأخطاء في الألفاظ والمعاني والنحو واللغة ، والعروض ، وأشاروا إلى أخطاء الشعراء التي تخالف العرف والواقع كما نهبوا إلى الحشو وأثره في الشعر وسنعرض نماذج من تلك الأخطاء التي جعلها النقاد واحدا من المؤثرات التي تنس قيمة الشعر الفنية والتي استمرت حتى جعلها الأمدى والجرجانسي واحدا من أسس الموازنة وأحكامها على الشعر .^(١)

الخطأ في الألفاظ

تتبع النقاد أخطاء الشعراء في الألفاظ وطلبوا تجنبها ، فقد أشار ابن طباطبا إلى أن من الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسج

(١) أشار النقاد إلى دور الأخطاء في المفاضلة بين الشعراء ومن ذلك ما روى عن سلمه بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء من أن "عمارة بن عقيل أحسن استواء شعر من جده جرير ولجرير فضله إلا أن جريرا اعتد عليه بسقط في شعره وضعف وما أصابوا لعمارة سقطة واحدة في شعره (الموشح ١٠٨) .

وما روى عن الأصمعي في شعر ذي الرمة حيث قال " لو أدركت ذا الرمة لشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره فكان ذلك خيرا له - ثم اتبع ذلك بكثير من عيوبه وأخطائه في الشعر .

القبیحة العبارة التي يجب الاحتراز من مثلها قول النابغة :

يصاحبهم حتى يفرن مغارهم من الضاريات بالدماء الدوارب

ويحلل لذلك بقوله " يريد من الضاريات الدوارب بالدماء " فقدم وأخر وانما يصح مثل هذا اذا التمس بما قبله ، لأن الدماء جمع والدوارب جمع ، ولو كان من الضاريات بالدم الدوارب لم يلتبس وان كانت هذه الكلمة حاضرة بين الكلمتين أعني بين الضاريات والدوارب التي يجب أن تقرنا معا " .^(١)

وأشار النقاد الى دور اللفظ في الشعر وأنه قد يسيء لان بناء الشعر ومعناه يتأثر أحيانا بلفظة لا تستحسن " قال أيمن في بشر :

فلو أعطاك بشر ألف ألف	رأى حقا عليه أن يزيـدا
وأعقب مدحتي سرجا خلنجيا	وأبيض جوز جانيا عقـودا
فأما قد وجدنا أم بشـر	كأم الأسد مذكارا ولـودا

فجميع هذا المدح على غير الصواب وذلك أنه أوما الى المدح بالتناهي في الجود أولا ثم أفسده في البيت الثاني بذكر السرج وغيره . " .^(٢)

ومن ذلك ما عرضه مروان بن أبي حفصه من شعره على يونس ليري قيمة شعره وهي قصيدته التي أولها :

طرقتك زائرة فحي خيالها

(١) عيار الشعر . ١٦

(٢) الموشح ٢٠٢ وانظر نقد الشعر ١٨٦ .

فقال يونس له : " يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه
أشعر من الأعشى في قوله :

رحلت سمية غدوة أجمالها

فقال له مروان : قد سؤتني وسررتني فأما الذى سررتني به فالارتضاءك الشعر
وأما الذى سؤتني به فلتقديمك اياى على الأعشى ، قال نعم ان الأعشى قال :
فرميت غفلة عينه عن شأنه فأصبت حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء الا أفسده وأنت لم تقل ذلك " . (١)

وقد اهتم النقاد باختيار الألفاظ وتناسقها في الشعر فقد سمع الأصمعي
قول اسحاق الموصلي في غضب المأمون عليه :

ياسرحة الماء قد سدت موارده أما اليك طريق غير مسدود
لحائم هام حتى لا حيام به محلا عن طريق الماء مطرود

فقال الأصمعي : أحسنت في الشعر غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت
في آية الكرسي لمابتها " . (٢)

وقد عابوا على أبي تمام في الالفاظ قوله :
كانوا رداء زمانهم فتصدعوا فكأنما ليس الزمان الصوفيا

(١) الموشح ٥١ ، ولابن طباطبا موقف من الألفاظ الغثة ، انظر عيار

الشعر ص ٦٧ .

(٢) الموشح ٢٧١

قال علي بن مهدي الكسروي : " لعمري أن هذا اللفظ سخي " قال
ومما عيب به قوله :

ولقد أراك فهل أراك بغبطة ؟ والعيش غنى والزمان غلام

وقوله :

خمسون ألفا كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب
قال وكان دعبل يزعم أنه غيره لما عيب عليه بقوله :
" فقدت أعمارهم " . (١)

وقد اهتم قدامة بن جعفر بخطأ الألفاظ عند الشعراء وعقد لها فصلا
في كتابه أوضح فيه دور عيب اللفظ في الشعر - وبين أن النقاد قد تتجاوز
عن بعض عيوب الألفاظ عن الشاعر الاعرابي الجلف الذي غلبت عليه العجرفة -
وبين أن من عيوب الألفاظ : " أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب
في اللغة والمعاظلة وضرب لذلك عددا من الأمثلة " . (٢)

وتنبه النقاد الى أن بعض الخطأ في الألفاظ لا يقصده الشاعر ولكن
قد يكون لميب في خلقته كسقوط ثنياه وكبر سنه ف " ان مقاحيم الشعراء وثنايانهم
يفلظون في مخارج بعض حروف الألفاظ فيغيرون ما تقارب عند اللفظ فيفلظون
في السين والصاد والميم والنون والذال والطاء وأحرف يتقارب مخرجها من
اللسان تشبه عليهم ومثال ذلك قول رغيب المعنري :

(١) الموشح ٢٨٩ .

(٢) نقد الشعر ١٧٢ - ١٧٧ .

نظرت بأعلى الصوق والباب دونه الى نعم ترعى قوافي مسرود
فجمل (الصوق) بدل (السوق) . (١)

الخطأ في المعاني

واهتموا بأخطاء المعاني التي يقع فيها الشعراء فأخذوا على امرئ القيس قوله :

أغرك مني أن حبك قاتلني وأنك مهما تأمرى القلب يفعمل
وقالوا : إذا لم يفرها هذا فأى شيء يفرها وإنما هذا كاسير قال لمن أسره
" أغرك مني أني في يدك .

وقد تبعه جرير في هذا الخطأ المعنوي فقال :

أغرك مني أنا قادن الهوى اليك وما عهد لكن بدائـم (٢)

وعابوا على امرئ القيس قوله يصف الفرس :
لها ننب مثل نيل العروس تسد به فرجها من دبر

وقالوا : نيل العروس مجرور ولا يجب أن يكون ننب الفرس طويلا مجرورا
ولا قصيرا . (٣)

(١) طبقات فحول الشعراء ٨٠

(٢) الموشح ٣٢

(٣) نفس المصدر ٣٢ - ٣٣ ، وذكر أمثلة أخرى مما عيب به امرؤ القيس وزهير

وعابوا على طرفة قوله :

أَسْدُ غِيلٍ فَإِذَا مَا شَرِبُوا وهبوا كلُّ أُمُونٍ وَطَمَر

فقالوا : إنما يهبون عند الافة التي تدخل عقولهم وفضلوا قول عنتره :

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مَسْتَهْلِكُ مَالِي وَعَرْضِي وَأَفْرَلَمْ يَكْلَمْ
وَإِذَا حَمَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتُ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

وقول امرئ القيس :

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرُ (١)

وعابوا على حسان قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرَّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرِّقِ
فَأَكْرَمُ بَنَى خَالَا وَأَكْرَمُ بَنَى أَيْمَنَّا

فقال له النابغة أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيفك وفخرت بمن ولدت ولم
تفخر بمن ولدك * (٢)

وعابوا على الشماخ قوله :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بَدَمَ الْوُثَيْينِ

(١) أنظر الشواهد في الموشح ٥٢ - ٥٣

(٢) الموشح ٥٤ - ٥٥

وقالوا : " وانما لم يعجب في هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة
الأنصاري لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر في جيش مؤته :

إذا بلغتني وحملت رحلي سيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فأنمي وخلاك ذم فلا أرجع الى أهلي ورائي" (١)

وعابوا على الحطيئة قوله :

ومن يطلب مساعي آل لآي تصعده الامور الى علاها

كان ينبغي أن يقول من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر عن بلوغها فأما اذا ساوى
بهم غيرهم فأى فضل لهم ؟ . (٢)

وعابوا على جرير قوله :

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم من المبيد وثلثا من مواليتها

وأسقط صفة الثلث الباقي - فلذلك كان الرجل من حنيفة اذا سئل من أى
الأثلاث أنت ؟ قال من الثلث الملقى . (٣)

وعابوا على بشار قوله :

واذا أدنيت منى بصلا غلب المسك على ريح البصل

ان سلمى خلقت من قصب قصب السكر لا عظم الجمل
وكان بشار يفضب اذا سمعها . (٤)

(١) الموشح ٦١ والحساء موضع رمل تحته صلابة فاذا أمطرت السماء على ذلك
الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يفيض ومنعت الأرض السماء أن تتشفه
فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء .

(٢) الموشح ٨١

(٣) نفس المصدر ١١٤

(٤) نفس المصدر ٢٢٥

وعابوا على أبي تمام قوله يمدح أبا المغيث الرافقى :
وكن كريما تجد كريما ————— تحظى به يا أبا المغيث

فقال له يوسف بن المفيرة القشيري وكان شاعرا عالما : قد هجاك انما قال لك كن كريما وانما يقال للثيم كن كريما " .^(١)

وقد اهتم قدامة بن جعفر بالمعاني وبين عيوبها وبين أن من عيوب المعاني عيوبها ترجع الى الاغراض الشعرية وعيوبها عامة تتعلق بالشعر في كافة فنونه وعيوبها تتعلق بائتلاف الألفاظ والمعاني وقد ضرب أمثلة لها ودرسها دراسة وافية .^(٢)

أخطاء في النحو واللغة

واهتموا بأخطاء الشعراء في النحو واللغة - وكان العرب بمقتون اللحن في اللغة ويعاقبون أولادهم عليه ، فقد روى أن " عبد الله بن عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن " ^(٣) وقال عبد الله بن المبارك اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدرى في الوجه " ^(٤) ولذلك فقد اهتموا بالنحو وتعليمه لكي لا يقعوا في الخطأ . " قال ثعلب سمعت محمد بن سلام يقول : ما أحدث الناس مروءة أفضل من طلب النحو " .^(٥)

(١) الموشح ٢٩٥ .

(٢) نقد الشعر ١٨٤ - ٢٠٤ وانظر فصل اللفظ والمعنى من هذا الباب .

(٣) بهجة المجالس ٦٤ / ١

(٤) نفس المصدر والجزء ٦٥٠

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

من أجل ذلك تتيج النقاد أخطاء الشعراء في النحو واللغة ونهبوا لليبها
وأحصوها في كل شعر عرغ لهم . ونسوق أمثلة موجزة تدل على ذلك .

فقد نهبوا الى خطأ النابغة في قوله :
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش في أنيابها السم ناقع
وينوا أن الصواب " ناقما " . (١)

ونهبوا الى خطأ قعنب في قوله :
مهلا أعازل قد جرّيت من خلقي
أنى أجود لأقوام وان ضنسوا
وانما الصواب " ضنوا " . (٢)

و " قال الاصمعي وأتشدني عقبة بن ربيعة :
ودغية من خطل مفسدون
وانما هو بدغوة ، يقال فلان ذو بدغوات أى سقطات " . (٣)

وينوا " أن ترك صرف مالا يتصرف غير جائز لانه يخرج الشئ عن أصله -
ومن ذلك قول العباس بن مرداس السلمي :
فما كان حصن ولا جالس
يفوقان مرداس في مجمع
فترك صرف مرداس وهو اسم متصرف وهذا قبيح لا يجوز ولا يقاس عليه لانه لحن (٤)

(١) الموشح ٣٩ وطبقات فحول الشعراء ١٦

(٢) الموشح ٨٦

(٣) نفس المصدر ١٩٨

(٤) نفس المصدر ٨٤ وهكذا النص ولعله أراد أن يقول " ان ترك صرف مـ
يتصرف غير جائز " .

ونبهوا الى خطأ الفرزدق في قوله :

مستقبلين شمال الشام تضرينا بحاصب كند يف القطن منشور
على عائمنا يلقي وأرحلنا على زواحف تزجي فخبهر
وسينوا أن الصواب " رير " بالرفع .^(١)

وقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوتيه ولكن عبد الله مولى موالها
وانه رد الياء الى أصلها وهي أبيات ولو كان هذا بيتا وحده تركه ساكنا^(٢)

وقد أشار النقاد الى طبيعة الشعر الذي يعمه الخطأ في اللغة فقالوا
عن شعر الفرزدق " وكان الفرزدق يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب
النحو " .^(٣)

وقد اشترط ابن طباطبا للاحاطة بالشعر ومعرفته " التوسع في علم
اللغة والبراعة في فهم الاعراب " .^(٤) مما يدل بلاشك على اهتمام النقاد بسلامة
النحو واللغة في الشعر واعتبار ذلك مطلبا نقديا لتحديد قيمة الشعر ومكانته
الفنية عندهم .

(١) طبقات فحول الشعراء ١٢

(٢) نفس المصدر ١٨

(٣) نفس المصدر ٣٦٤ وقد ذكر أبياتا تدل على ذلك ٣٦٤ - ٣٦٩

(٤) عيار الشعر ٤

أخطاء في العروض

ونبه النقاد الى أخطاء الشعراء في عروض الشعر ودرسوا ذلك بعناية
وبينوا أثره في قيمة الشعر وأنه يعيبه وأن الشعراء تجنبوا ذلك وأشاروا اليه
فقد " ذكر جماعة من شعراء الاسلام ومن تبعهم في أشعارهم عدولهم عما أنكر
على من تقدمهم من هذه العيوب . فقال ذو الرمة :

وشعر قد أرقى له طريق أفجته المساند والمحالا (١)

وقال جرير :

فلا اقواء ان مرس القوافي بأفواه الرواة ولا سنادا

وقال اسحاق الموصلي :

فلما أقمت الميل منها ولم أدع بها أودا مما يعاب ولا كسرا
أتيتك أهدى بها اليك تقربا وشكرا لنعمى منك تستغرق الشكرا

وقال أبو حاتم السجستاني :

خذها اليك هدية من شاعر نظم ابن آداب تنخل شعره لم يح رونق شعره اكفاؤه
لم يقوفيه ولم يساند ولم يوطىء فيوهى نظمه ايطاؤه (٢)

(١) الموشح ١٢ - والبيت في ديوانه : ٥٢٧ وهكذا
وشعر قد أرقى له غريب أفجته المساند والمحالا

(٢) الموشح ١٢ - ١٣

وقد عرض النقاد جميع عيوب العروض عند الشعراء وأشاروا الى موطن كل خطأ - ونكتفي باشارات من ذلك :

يقول الجرمي : " وقد أوطأت الشعراء أنشدني الاصمعي وأبو عبيدة جميعا للنابهة الذي ياني :

أواضع البيت في خرساء مظلمة تقيدا للمير لا يسرى بها السارى

ثم قال فيها أيضا :

لا يخفض الرز عن أرض ألم بها ولا يضل على مصباحه السارى (١)

ومن الاقواء قول النابهة :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود
لا مرحبا بغد ولا بقدمه ان كان تفريق الاحبة في غد (٢)

وقوله :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد (٣)

وكان ذلك سببا في القدح عند النقاد في شعر النابهة ف " لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من اشباههم الا النابهة " (٤) وقد اصلحها النابهة عندما

(١) الموشح ٢٣ - ١٤ والاقواء هو أن يقفى بكلمة ثم يقفى بها في بيت آخر .

(٢) الموشح ١٧ ، ٣٦

(٣) نفس المصدر ٣٦

(٤) نفس المصدر والصفحة - والاقواء رفع القافية في بيت وخفضها في بيت آخر .

انتقد فيها واعترف بأن أقواه عيب بعدما أصلحه فقال " دخلت يشرب وفق شعري
 شىء وخرجت وأنا أشعر الناس " ^(١) وكان الذى قصر به عن الشعراء زمنا هو
 الاقواء .

وعدوا من السناد قول طرفة :

نزع الجاهل في مجلسنا فترى المجلس فينا كالحرَم

ثم قال :

فهى تنضوا قبل الداعى اذا جعل الداعى يخلل أو يمم ^(٢)

وقد اعتبروه عيبا ، يقول الجرمى : " فاذا أسست بيتا ولم تؤسس آخر فهو
 سناد وهو عيب قلما جاء " ^(٣) .

وعدوا من الاكفاء قول امرأة من خثعم :

ليست سماكيا يحار ربابه يُقاد إلى أهل الغضا بزمام
 فيشرب منه جهوش ويشيمه بمينى قطامى أغريمانى ^(٤)

وقال عنه الجرمى والاكفاء اختلاف حرف الروى وهو غلط من العرب ولا يجوز ذلك
 لغيرهم لانه غلط لا يجعل أصلا في العربية وانما يغلطون اذا تقاربت مخارج

(١) الموشح ٣٧

(٢) نفس المصدر ١٦ ، والسناد هو اختلاف كل حركة قبل الروى .

(٣) الموشح ١٤

(٤) نفس المصدر ١٨ - ١٩ والاكفاء اختلاف حرف الروى .

الحروف " (١)

" وقد ذكر بعض المحدثين في أهاجيتهم السناد والاقواء والايطاء وغير ذلك من العيوب وشبهوا أحوال المهجوب بها " (٢) فهذا شاعر محدث يهجو حفص بن وده فيقول بعد عدة أبيات :

فميناك اقواء وانفك مكفأ ووجهك ايطاء فأنت المرقع (٣)

لقد اهتم قدامة بن جعفر بعيوب الشعر المتعلقة بالوزن والقافية وعقد لها فصلا ، وبين أنواعها وضرب لها أمثلة كثيرة من الشعر (٤) وبين أن للوزن أثرا في الخط من قيمة الشعر . يقول عن قصيدة لعميد بن البرص : " ومثل قصيدة عبيد بن البرص وفيها أبيات قد خرجت عن العروغى البتة وقبح ذلك جودة الشعر حتى أصاره الى حد الردى " فمن ذلك قوله :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

فهذا معنى جيد ولغظ حسن الا أن وزنه قد شانه وقبح حسنه وأفسد جيدة فما جرى من الترخيف في القصيدة أو الالبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا " (٥)

(١) الموشح ١٨ . وقد ضربت أمثلة كثيرة لعيوب الشعر عند الشعراء وذكر النقائد منها ما يتعلق بالايطاء والاقواء والسناد والاكفاء وعرفوها وأخذوا الشعراء عليها (الموشح ١١-٢٥ وقد اكتفيت بشواهد تبين اهتمامهم بذلك) .

(٢) الموشح ٢٤

(٣) نفس المصدر ٢٤-٢٥

(٤) نقد الشعر ١٧٨-١٨٢

(٥) نقد الشعر ١٧٨-١٧٩ ويعني بهذه القصيدة قصيد عبيد التي أولها : اقفر من أهله ملحوب

وقيل البيت المذكور قدامه قوله :

والله ليس له شريك

والمرء ما عاش في تكذيب

بل ان تكن قد علتني كسرة

فرب ما وردت آجـنـ

علام ما أخفت القلوب

طول الحياة له تعذيب

والشيب شين لمن يشيب

سبيله خائف جديـبـ

(ديوان عبيد بن البرص ١٠-٢٠)

الصدق الواقعي

اهتم النقاد القدامى بالصدق الواقعي . وعدوا من الخطأ ما خالف فيه الشاعر ذلك فالاصمعي يعيب على امرئ القيس قوله :

واركب في الروع خيفانسة كسا وجهها سعف منتشر
وقال اذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريما والجيد الاعتدال كما قال
عبيد :

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب^(١)

وعاب على زهير بيتا من شعره يخالف الواقع يقول : " لا أحب قول زهير :
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفظم

قال : ان ثمود لا يقال لها عاد لان الله عز وجل انما نسب قدارا الى ثمود قيل
فقد قال أهلك عاد الاولى قال معناه التي كانت قبل ثمود لا أن هاهنا عادين^(٢)

" وعاب قوم على أوس بن حجر قوله :

وذات هدم عار نواشرها تعمت بالماء تولبا جدعا

(١) الموشح ٣٣ وطبقات فحول الشعراء ٨٨

(٢) نفس المصدر ٤٢ وطبقات فحول الشعراء ٨٩

ولا يعده بعض النقاد خطأ فقد نقل أبو زيد القرشي عن المبرد قوله
" هذا ليس بغلط لان ثمود يقال لها عاد الاخرة ويقال لقوم هود عاد
الاولى والدليل على ذلك - وأنه أهلك عاد الاولى "

جمهرة أشعار العرب ١/ ١٩٧ .

لانه أفحش الاستعارة بأن سمي الصبي تولبا وهو ولد الحمار ومثله قول الآخر:
وما رقد الولدان حتى رأيتهم على البكر يعريه بساق وحافر
فسمي رجل الانسان حافرا وقالوا وكل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح
لا عذر فيه " (١) .

وعاب طرفة بن العبد قول المسيب بن علس الضمى :
وقد اتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
" فقال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان : استنوق الجمل " (٢) لان الصيعرية
ميسم للاناث .

وعيب على النابغة قوله في وصف النعام :
مثل الاماء الفوادى تحمل الحزما
" قال الاصمعي ، انما توصف الاماء في هذا الموضع بالرواح لا بالفدول لأنه
يجئن بالحطب اذا رحن " (٣) .

وعابوا بيت جرير :
انى اذا الشاعر المفرور جرتنى جار لقبر على مران مرموس

(١) الموشح ٥٨

(٢) نفس المصدر ٦٩

(٣) نفس المصدر ٤١

فقال رؤية : كذب والله ما تميم بمران انما هو بذات عرق وقبر معبد
بمران * (١)

وقد عابوا على رؤيه قوله :

يهوين شتا ويقمن وفقـا
لأن الجياد لا تقم حوافرها مما واذا وقمن وفقا فكأنه يضبر (٢) ليس يسبح * (٣)

وعابوا على امرى القيس قوله :

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
وقالوا : الثريا لا تعترض والتي تعترض الجوزاء * (٤)

وعابوا على الفرزدق قوله :

عشية سال المريدان كلاهما
عجاجة موت بالسيوف الصوارم

(١) الموشح ١٠٨

(٢) يضبر الفرس ضبرا اذا عدى ، وفى للحكم جمع قوائمه ووثب ، وكذلك
المقيد فى عدوه اذا وقع مجموعة يداه ، وقال الاصمعى اذا وثب الفرس
فوقع مجموعة يداه فذلك الضبر وقال العجاج :

لقد سما ابن معمر حين اهتمر مغزى بعيدا من بعيد وضبر
(انظر اللسان - مادة ضبر - ج ٦ ص ١٥٠) .

(٣) الموشح ١٩٨

(٤) طبقات فحول الشعراء ٨٩

والمرید واحد فجعله اثنين ، ومثله قول أبي ذؤيب :
 وحتى يؤوب القارطان كلاهما وينشر في القتل كليب لوائيل
 والقارظ رجل واحد من عنزة ذهب بجتنى القوط فلم يثبت أنه رجع " (١)

وعابوا قول المعجاج :
 لا تحسبن الخندقين والحفـر
 وهو خندق واحد " (٢)

وقد سمي قدامة مخالفة الصدق الواقعي " مخالفة العرف والالتيان بها
 ليس في العادة والطبع " مثل قول الرار :
 وخال على خديك بيدو كأنسه سنا البرق في دجاءً باي وجونها
 فالمتعارف أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللون والخدود الحسبان
 انما هي البهيز وبذلك تنمت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى " (٣)

لقد اهتم النقاد بتتبع أخطاء الشعراء فيما خالفوا فيه الواقع وحضروا
 وعدوه عيبا يمس قيمة الشعر الغنية شأنه في ذلك شأن أخطاء الشعراء فسيبي
 القضايا الاخرى .

لقد استفاد الامدى والجرجاني ما عرضه النقاد القدامى وعرضا ميواهجرا ،
 أساسا من أسس التفضيل عندهما فعرضا أخطاء البحتري وأبي تمام وأخطاء المتنبي
 وأشارا الى ما سبق اليه الشعراء في ذلك . (٤)

-
- (١) طبقات فحول الشعراء ١٨٠
 (٢) نفس المصدر ١٨٠
 (٣) نقد الشعر ٢٠٣
 (٤) انظر فصل أخطاء الشعراء بالها الثاني . وفصل أخطاء الشعراء في الباب الثالث

الفصل الثاني

اللفظ والمعنى

شغلت قضية اللفظ والمعنى حيزا كبيرا عند النقاد الذى سبقوا الامدى والجرجاني واهتموا بها اهتماما بالغاً وأولوها عنايتهم ووقفوا منها مواقف مختلفة .

وقد أشار بعض الدارسين الى أن قضية اللفظ والمعنى قد اقتبسها بعض النقاد العرب من خلال اطلاعهم على النقد اليوناني وعلى الثقافة اليونانية ، فقد عني اليونانيون بها واعتبروها من أسس الحكم على العمل الادبى من الناحية الفنية ، ولم يغفل ارسطو الاشارة الى ما بين اللفظ والمعنى فى الجمل من صلة ^(١) وهو يعتبر " الكلمات رموزا للمعاني ووسيلة للمحاكاة وهى المادة التى تصاغ منها الاستعارات " ^(٢) كما بين أن الكلمات ليست سواء فى دلالتها على المعنى فمن الكلمات ماهي أصدق فى وصف الشئ من كلمات أخرى وألصق بالمعنى أو أكثر تمثيلا له أمام العيون ^(٣) كما أن أرسطو لم يرجح اللفظ على المعنى فالالفاظ عنده علامة المعاني والالفاظ تتفاوت فيما بينها جمالا وقبحا من حيث دلالتها على المعنى وعلى جوانبه المختلفة ^(٤) .

(١) النقد الادبى الحديث ٢٥١ وقد اشار صاحب الفهرست الى نقل الكتب وترجمتها من اليونانية الى العربية ، انظر ص ٣٣٨ كما ذكر المسعودى مثل ذلك ، انظر مروج الذهب ج ١ ، ٧٢٢ - ٢٢٦ وانظر أيضا كتاب الوزراء والكتاب ٧٥ ووصية عبد الحميد الكاتب التى يرى فيها وجوب التزود بكثير من الثقافات الاخرى .

(٢) النقد الادبى الحديث ٢٥٢

(٣) نفس المصدر ٢٥٣

(٤) نفس المصدر والصفحة

وهذا المفهوم النقدي لقضية اللفظ والمعنى عند ارسطو هو ما نجده عند بعض النقاد العرب المتقدمين الذين نظروا في العمل الأدبي واهتموا بقضية اللفظ والمعنى وبينوا علاقة كل منهما بالآخر وأهميتها في الإنتاج الأدبي .^(١)

ومن أقدم النصوص النقدية عند العرب ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر فقد ساوى بين اللفظ والمعنى ورأى أن المعنى لا يقوم الا على اختيار اللفظ المناسب ، ولا يحسن اللفظ الا باستقامة المعنى يقول : " ومن أراغ معنى كريما فليلتص له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف " .^(٢) وهذا ما يسمى بمناسبة الالفاظ للمعاني - وقد اشترط صيانة الالفاظ والمعاني عما يفسدها ويهجنها وذلك عن طريق الاختيار يقول " فكن في ثلاث منازل فان أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ، ويكون معنك ظاهرا مكشوفيا وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة ان كنت للعامة أردت " .^(٣)

وبين أن شرف المعنى لا يتعلق بموضوعه بقدر ما يتعلق بالصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال ومناسبة المقام للمقال يقول : " والمعنى ليس يشرف

(١) لست هنا بصدد دراسة القضية دراسة كاملة من جميع جوانبها وانما لاعطى فكرة موجزة عن هذه القضية وموقف النقاد منها قبل الامدى والجرجاني - ولذلك فقد أختار نصا أو أكثر للنقاد يبين موقفه ووجهة نظره حول القضية أو جزء منها وكفى .

(٢) البيان والتبيين ١ / ١٣٦

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة
وأما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل
مقام من المقال " ، ^(١) أما خلف الأحمر فيرجع القيمة الفنية في العمل الأدبي للالفاظ
يقول : " كلام العرب أوعية والمعاني أمتعه فربما جعلت ضروها من الامتعة
في وعاء واحد " . ^(٢)

ولأبي عمرو الشيباني موقف من قضية الالفاظ والمعاني فهو يميل إلى
استحسان المعنى الجيد غير مكثر بقيمة اللفظ، ولذلك فقد استحسنت أبياتاً
جيدة المعنى - غير حافلة باللفظ - وقد عرئ الجاحظ موقفه هذا وناقضه فيه .
يقول الجاحظ : " وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجاداته لهذا
البيتين :

لا تحسبن الموت موت الهلبي فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنن ذاك أفظع من ذاك لذل السؤال

ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً
حتى كتبهما له " ^(٣) وناقضه الجاحظ بقوله : " وأنا أزعم أن صاحب هذا
البيتين لا يقول شعراً أبداً " ^(٤) مينا موقفه من وجوب ارتباط الالفاظ بالمعاني . ^(٥)

(١) البيان والتبيين ١ / ١٣٦

(٢) التحفة البهية ٢١٨

(٣) الحيوان ٣ / ١٣١

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٥) سنذكره فيما بعد ان شاء الله .

وقد اقتفى بعض الشعراء والنقاد أثر أبي عمرو الشيباني في الاهتمام بالمعنى دون أن يحفلوا باللفظ ^(١).

ويقول ثعلب " فأما جزالة اللفظ فما لم يكن بالمغرب البدوي ولا السفاسف العامي ولكن ما اشتد أسرته وسهل لفظه ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه وتوهم مكانه " ^(٢).

وقد اهتم الجاحظ بهذه القضية ووضع فيها آراء نقدية اهتم فيها بالالفاظ والمعاني على حد سواء. يقول : " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير الالفاظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " ^(٣).

(١) يقول ابن رشيق في ذلك : " ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونت كاهن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلهما - هؤلاء المطبوعون "
 العمدة ١٢٦/١ وانظر الوساطة ٨٨ - ٨٩

(٢) قواعد الشعر ٥٩

(٣) الحيوان ١٣١/٣ - ١٣٢ ويخالفه في ذلك ابن جني الذي يرى أن المعاني ضيقة محدودة عند العرب الا قد مین فقد لا حظ أن العرب الا قد مین كانوا يظهرون حفاوة بالقبول لالفاظ لان حياتهم القبلية المحصورة في نطاق ضيق محدود وعدالتهم أسباب الحضارة ومطلباتها وعزلهم عن المدن والامصار جعلت معانيهم كحياتهم ضيقة محدودة جعلت عنايتهم بالالفاظ وزادت .. حصيلتهم منها (اثر النحاة في البحث البلاغي ٢٨٢) .

وهذا يبين اهتمام الجاحظ بالألفاظ والمعاني^(١) ، فالمعنى عنده هو الأساس والمادة واللفظ والوزن هما اللذان يظهران المعنى في الصورة التي يجب أن تكون^(٢) إذ يقول : " فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " .^(٣)

ويعرض الجاحظ قيمة المعاني وأهميتها فيما ذكره عن وصف عنتره للذباب يقول : " الا ما كان من عنتره في صفة الذباب فانه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فيه فبلغ من استكراهه لذلك المعنى وممن اضطرابه فيه أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر قال عنتره :

جادت عليها كل عين ثرة فترك كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغنى وحده هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم
ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أراضه غير شعر عنتره " .^(٤)

(١) يرى بعض النقاد أن الجاحظ من أنصار اللفظ فقط ولا أراه كذلك لأنه يربط بين الألفاظ والمعاني ويجعل كلا منهما أساساً للآخر، وذلك ظاهر في نصوصه السابقة وفي النصوص التالية (انظر مثلاً لمن يجعله من أنصار اللفظ في النقد الأدبي الحديث ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٢) وهذا الموقف يشبه موقف قدامة بن جعفر - انظر نقد الشعر ٦٤ - ٦٥ .

(٣) الحيوان ١٣٢/٣ .

(٤) نفس المصدر والجزء ٣١١ - ٣١٢ .

ويلزم الشاعر بمعرفة أقدار المعاني وملاءمتها للمستمعين فانه : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات " (١) واهتم بتخيير الألفاظ للمعاني (٢) واستدح الألفاظ السهلة القريبة الفهم وما لم يكن منها ساقطا سوقيا ان نجده يقول : " أما أنها فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا " . (٣) ويقول " انه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق ولا ألد في الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا " . (٤)

وقد نبه الى مشاكلة الألفاظ للمعاني بقوله " الا أنى أزعم أن سخيـف الألفاظ مشاكل لسخيـف المعاني وقد يحتاج الى السخيـف في بعض المواضع وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشرىف الكرىم من المعاني (٥) ويقول " اللفظ للمعنى بدن والمعنى للفظ روح " (٦) مشيرا بذلك الى ما ذكره في موضع آخر من ملائمة الالفاظ والمعاني للمقام ومقتضى الحال . (٧)

(١) البيان والتبيين ١ / ١٣٨ - ١٣٩

(٢) نفس المصدر والجزء / ١٣٩

(٣) نفس المصدر والجزء / ١٣٧

(٤) نفس المصدر والجزء / ١٤٥

(٥) نفس المصدر والجزء و الصفحة

(٦) رسائل الجاحظ - رسالة الجد والهزل ١ / ٢٦٢

(٧) البيان والتبيين ١ / ١٣٨ - ١٣٩

وكان ابن قتيبة ممن درس هذه القضية فقد تدبر الشعر بالنسبة للفظ
والمعنى ووجده أربعة أضرب " ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل
في بعض بني أمية :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم
يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم
لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه .

وكقول أوس بن حجر :
أيتها النفس أجمل جزعاً ان الذي تحذرين قد وقعاً
لم يبتديء أحد مرثية بأحسن منه
وكقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتهما واذا ترد الى قليل تقنع
يقول : حدثني الرياش عن الاصمعي قال : هذا أبدع بيت قاله العرب .

وكقول حميد بن ثور :
أرى بصرى قد رابنى بعد صفة وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولم يقل في الكبر شيء أحسن منه .

وكقول النابغة :
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه يطىء الكواكب (١)

ومثل هذا في الشعر كثير ليس للاطالة به في هذا الموضع وجه . (١) وهذا
يعنى أن هذا القسم يشمل أكثر فنون الشعر ومواضيعه . " وضرب منه حسن
لفظه وحلا فاذا أنت فتشسته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسح بالاركان من هو مسح
وشدت على حذب المهارى رحا	ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذ ناباً طرفاً لا حاد يث بيننا	وسالت بأعناق المطى الا باطح

هذه الفاظ كما نرى أحسن شئ * مخارج ومطالع ومقاطع وان نظرت السى
ما تحتها من المعنى وجدته ولما قطعنا (٢) ايام منى واستلمنا الأركان وعالينا
إبلينا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ابتدأنا فى الحديث وسارت
المطى فى الأبطح ، وهذا الصنف فى الشعر كثير ، وذكر أبياتا أخرى لهذا
الضرب من الشعر . (٤)

" وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عند كقول لبيد بن ربيعة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

-
- (١) انظر الشعر والشعراء ٦٤ / ١ - ٦٦
(٢) نفس المصدر والجزء ٦٦ - ٦٧
(٣) انظر حاشية الشعر والشعراء ٦٧ / ١ وفيه (قضينا) وهو أسلم .
(٤) الشعر والشعراء ٦٧ / ١ - ٦٨ وقد خالف عبد القاهر الجرجاني ابن
قتيبة فى الثلاثة الابيات " ولما قضينا . . الخ " فى اسرار البلاغة ص ١٥
ان يقول : " وأول ما يطلقك من هذا الشعر أن يقال ولما قضينا من منى كل حاجة
فمصر عن قضاء المناسك باجمعها والخروج من فروضها وسفنها عن طريق
المصوم . ثم أخذ يفند الابيات مدكلا على قيمتها الفنية - ويقول اوههلا ل
المشكرى " ودليل آخر ان الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا وسلسا سهلا ومعناه
وسطا دخل فى جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر :
ولما قضينا من منى كل حاجة . . الابيات
وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى وهى رائعة معجبة الصانعين ٩ هـ

.. هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق". (١)

" وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشي في امرأة :

وفوها كأقحاسي غذاه دائم الهطل
كما شيب بـسراج با رد من غسل النحل" (٢)

وبهذا يوضح ابن قتيبة موقفه من هذه القضية مبينا علاقة الألفاظ بالمعاني وموضحا الارتباط الوثيق بينهما .

ويوضح ابن طباطبا موقفه من قضية اللفظ والمعنى فيقول :

" اذا أراد الشاعر بناء قصيدة فخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا وأعدله ما يلبسه اياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه الذي يسلس له القول عليه فاذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يروق أشبته" (٣)

وقد اهتم باختيار الالفاظ السهلة المناسبة (٤) والالفاظ التي تناسب طبيعة الشعر فلا يخلط بين اللفظ الحضري والبدوي في موضوع واحد . (٥)

ويرى أن " للمعاني ألفاظاً تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي

-
- (١) الشعر والشعراء ٦٨ / ١ وقد ضرب أمثلة أخرى ٦٨ / ١
(٢) نفس المصدر والجزء ٦٩ / وقد عارض بعض الدارسين المتأخرين آراء ابن قتيبة في تقسيم الشعر الى أربعة أضرب - ونقدوه في ذلك ، انظر النقد المنهجي عند العرب ٣١-٣٢ ، وقضايا النقد الادبي والبلاغة ٢٨١ .
(٣) عيار الشعر ٥
(٤) نفس المصدر والصفحة
(٥) نفس المصدر ٦

لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض
وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه وكم معرض حسن قد اهتمت
على معنى قبيح البسه . . " (١)

ويرى أن اللفظ والمعنى معا مع صحة الوزن تحدد قيمة الشعر * فإذا
اجتمع للفهم من صحة وزن الشعر صحة المعنى وعدوثة اللفظ فصفا سموعه
ومعقوليه من الكدر ثم قبوله له واشتماله عليه وان نقص جزء من أجزائه التسي
يعمل بها وهي اعتدال الوزن وصواب المعنى وحسن الألفاظ كان انكار الفهم
اياه على قدر نقص أجزائه * (٢)

ذكر ابن طباطبا المعاني والألفاظ وما تكون عليه وضرب أمثلة لما ساق
من تلك المعاني فقد ذكر أبياتا أغرق قائلوها في معانيها (٣) وذكر الأشعار
الغثة الألفاظ الباردة المعاني (٤) وذكر الأشعار الحسنة اللفظ الواهية
المعنى (٥) والشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة (٦) وذكر المعنى الصحيح

(١) عيار الشعر ٨

(٢) عيار الشعر ١٥ وانظر ص ١٦ وفيها ما يدل على ذلك ، وقد ضرب أمثلة
للأشعار المحكمة الرصف المستوفاة المعاني السلسلة الألفاظ الحسنة

الديباجة ص ٣٢ و ٤٤-٤٥

(٣) عيار الشعر ٤٥

(٤) نفس المصدر ٦٧

(٥) نفس المصدر ٨٣

(٦) نفس المصدر ٨٧

البارع الحسن الذي قد أبرز في أحسن معرض وأبهى كسوة وأرق لفظ^(١) وذكر
الابيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي الرديئة النسيج فليست تسلم من عيب
يلحقها في حشوها أو قوافيها أو ألفاظها أو معانيها^(٢)، ثم ذكر ملاءمة
معاني الشعر لبانيه^(٣).

وابن طباطبا في ذلك انما يدرس بدقة وعناية أثر اللفظ والمعنى ففي
الشعر مبينا ما يجب أن يتبعه الشاعر في ذلك حتى يصل الى درجة السمو .
وموضحا ما تلحقه المعاني والالفاظ بقيمة العمل الأدبي مبينا أنهما أساس
هام في تكوين الصورة التي يتم على أساسها الحكم .

أما الصولي فقد رأى أن " الفاظ القدماء وان تفاضلت فانها تتشابه
وبعضها آخذ برقاب بعض فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ويقولون على
صميمها بما ذللوه " .^(٤)

ويرى أن " الفاظ المحدثين مذ عهد بشار الى وقتنا هذا كالمتنقلة الى
ممان أبدع والفاظ أقرب وكلام أرق " .^(٥)

وقد خالف الجاحظ في أن المعاني يعرفها الجميع - فقد أشار الى أن
هنالك معاني ابتدعت ، يقول : " ولأن المتأخرين انما يجرون بريح المتقدمين

(١) عيار الشعر ٨٩

(٢) نفس المصدر ١٠٢

(٣) نفس المصدر ١٢٠

(٤) أخبار أبي تمام ١٤

(٥) نفس المصدر ١٦

ويصوبون على قوالهم ويستمدون بلعابهم وينتجعون كلامهم وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ^(١) .

ويقول " وليس أحد من الشعراء أعزك الله يعمل المعاني ويخترعها ويتكى على نفسه فيها أكثر من أبي تمام " ^(٢) .

ويميل الصولي الى أن كمال الشعر يرجع لقيمة اللفظ والمعنى معا مع طريقة البناء يقول عن أبيات لأبي تمام ناقلا رأى أحد النقاد ^(٣) : " كمل والله ان كان الشعر بجودة الألفاظ وحسن المعاني واطراد المراد واستواء الكلام فصاحبكم هذا أشعر الناس وان كان بخيره فلا أدري " ^(٤) .

وقد اهتم قدامة بن جعفر بهذه القضية ورأى أن الحكم على العمل الأدبي يجب أن يتعلق بحسن الصورة والصناعة وليس بالمادة - ويرى أن المعنى تمثل المادة وأن حسن السبك والصناعة هو الذي يخرج مادة المعاني في المظهر الذي يمكن أن يحكم عليها فيه بالجودة أو الرداءة ، يقول قدامة " ولما كانت للشعر صناعة وكان الغرض في كل صناعة اجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجديد والكمال ان كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان أحدهما غاية الجودة والآخرة غاية الرداءة ،

^(١) أخبار أبي تمام ١٧

^(٢) نفس المصدر ٥٣

^(٣) هو عمارة بن عقيل - انظر أخبار أبي تمام ٥٩

^(٤) أخبار أبي تمام ٦١

وحدود بينهما تسمى الوسائط وكأن كل قاصد لشيء من ذلك إنما يقصد الطرف
الاجود فان كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه آياه سمى حاذقا تمام
الحذق فان قصر عن ذلك نؤل له بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من
تلك الغاية والبعد عنها ^(١) .

فالجودة هنا هي ما يصل إليه الشاعر من صياغته فان كانت صياغته جيدة
كان العمل جيدا وكلما قلت الجودة في الصياغة كلما قلت الجودة في العمل
الأدبي - وأهم عناصر الصياغة الالفاظ والاوزان ومادتها المعاني .

ويرى قدامة أن المعاني معروضة للشاعر وأن عنصر الاحسان متعلق
بصياغة المعاني في صورة معينة يقول : " وما يجب تقدمته وتوطيده قبل
ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معروضة للشاعر وله أن يتكلم منها فسي
ما أحب وأثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ان كانت المعاني
للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة
فانه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها مثل الخشب للنجارة
والفضة للصياغة وعلى الشاعر اذا شرع في أى معنى كان من الرفعة والضعفة
والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة وغير ذلك من المعاني الجيدة أو الذميمة
أن يتوخى البلوغ من التجديد في ذلك الى الغاية المطلوبة ^(٢) .

(١) نقد الشعر ٦٤ - ٦٥

(٢) نفس المصدر ٦٦

وأشاد قدامة بالألفاظ ودورها في إبراز العمل الأدبي الى جانب المعنى والوزن والتقنية " فالأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر أربعة وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقنية - واللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلافها بعضها الى بعض معان يتكلم فيها " (١).

وتأتي مرتبة المعاني عند قدامة بعد الألفاظ فاللفظ هو الأساس الذي يحكم به على العمل الأدبي - أما المعنى فهو المادة التي يؤثر اللفظ في حسن بروزها .

ولا يهتم قدامة بقيمة المعنى كثيراً فان المعنى الفاحش عنده لا يسىء الى العمل الأدبي ما دام أن الصورة التي أبرزته رائعة ، يقول : " فاني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله :

فأمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيته عن ذي توائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقها لم يحول " (٢)

ويذكر أن هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته . (٣)

وأشار الى دور اللفظ في التفريق بين الفنون في العمل الأدبي فـ " ليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل كان

(١) نقد الشعر ٦٩

(٢) نفس المصدر ٦٦

(٣) نفس المصدر والصفحة

وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك * ^(١) وهذا ما يعرف بدلالة الألفاظ على المعاني.

ويرجع قدامة الفضل بين المديح والتأبين للفظ دون المعنى فأنه
 " لا فضل بين المديح والتأبين الا في اللفظ دون المعنى " ^(٢) . وضرب لذلك
 مثلا يقول كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه :

لعمري لئن كانت أصابت مصيبة أخى والمنايا للرجال شـمـوب
 لقد كان اما حلمه فـمـروح علينا وأما جهله فـغـريـب
 أخى ما أخى لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هـيـوب ^(٣)
 ويعتبر ذلك من اصابة المعنى ^(٤)

ويرى قدامة أن الالفاظ قوالب المعاني - مبينا بذلك ارتباطها ببعض
 وبشترط تبعا لذلك أن يكون اللفظ مساويا للمعنى ، يقول : " وهو أن يكون
 اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذه هي البلاغة التي
 وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال : كانت الفاظه قوالب لمعانيه أى هي مساوية
 لها لا يفضل أحدهما على الآخر وذلك مثل قول امرئ القيس :

فان تكتموا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نفقد
 وان تقتلونا نقتلكم وان تقصدوا الدم لا نقصد

ومثل قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم ^(٥)

-
- (١) نقد الشعر ١١٨
 (٢) نفس المصدر ١١٩
 (٣) نفس المصدر ١٢٠
 (٤) نفس المصدر ١٢٠ - ١٢١
 (٥) نفس المصدر ١٥٣

وقد اهتم قدامة بعلاقة الألفاظ والمعاني وأسهب في ذلك مبينا نعوت
اختلف اللفظ مع المعنى وهي المساواة والاشارة والاراداف والتمثيل والمطابق
والمجانس وضرب لها أمثلة من العمل الأدبي . (١)

ثم ذكر المعاني الدال عليها الشعر وبين أن نعوت أهم أغراض الشعراء
في المعاني تتمثل في نعت المدح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والتسيب (٢)
واشترط في المعاني لتحقيق نعوت تعم جميع المعاني الشعرية صحة التقسيم
والمقابلة والتفسير والتتيم والمبالغة والتكافؤ والالتفات . (٣)

(١) نقد الشعر ١٥٣ - ١٦٣ .

وقد قسم بعض الدارسين النقاد العرب المتقدمين الى أنصار للفظ وأنصار
للمعنى ومساوهم بين اللفظ والمعنى (النقد الادبي الحديث ٢٥٧) وقد
جعل قدامة والجاحظ من أنصار اللفظ معتمدا في ذلك على قول الجاحظ
أن المعاني مطروحة في الطريق وعلى رأى قدامة القائل أن المعاني هي
مادة العمل الادبي وأن المعول في الحسن ابراز المعنى في الصورة الالهية
التي تعتمد الالفاظ والوزن - ولست أرى ذلك - لأن قدامة لا يعنى بذلك
فصل المعنى عن اللفظ ولكنه يرى أن المعاني والالفاظ تكون في مجموعها
العمل الادبي وأن المعاني هي المادة التي لا يستغنى عنها الشاعر
وان الالفاظ هي المخرج لتلك الصورة - فكيف يكون من أنصار اللفظ - وإذا
كان قدامة يرى في المعنى أنه الموضوع التي تحسن الالفاظ حتى ولو
كان سيئا فليس معنى ذلك انحيازه للمعنى - فهما يكونان بنينة
واحدة هي العمل الادبي ولذلك فقد اهتم بمرئى علاقة الالفاظ

بالمعاني ١٥٣ - ١٦٣ .

(٢) نقد الشعر ٩٥ - ١٣٤ .

(٣) نفس المصدر ١٣٩ - ١٥٠ .

وبين قدامة نعت ائتلاف اللفظ والوزن ^(١) ونعت ائتلاف المعنى والوزن ^(٢) كما وضع المعبود الشعرية التي يرجع السبب فيها الى عيوب الألفاظ ^(٣) ، وعيوب المعاني ^(٤) .

وهذا يدل بلا شك على اهتمام قدامة باللفظ والمعنى ودورها في التأثير على العمل الأدبي .

مما سبق يظهر لنا مدى اهتمام النقاد العرب القدامى بقضية اللفظ والمعنى ودورها في تقييم العمل الأدبي - وبالرغم من المواقف المختلفة للنقاد الا أنهم يلتفتون في نقطة واحدة هي مدى تأثير هذه القضية على الانتاج الادبي للشاعر - ولذلك اهتم بها من جاء بعدهم من النقاد وفي مقدمتهم الاممى والجرجاني الذين عالجا الشعر في الموازنة والوساطة على ضوء ما لهذه القضية من أثر في ذلك الى جانب القضايا النقدية الأخرى .

— — —

-
- (١) نقد الشعر ١٦٥ وانظر أيضا المعبود العامة للمعاني ١٩٢
 (٢) نقد الشعر ١٦٦ وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى ٢٠٤
 (٣) نقد الشعر ١٧٢ وعيوب ائتلاف المعنى والوزن ٢٠٩
 (٤) نقد الشعر ١٨٤

الفصل الثالث

السَّرَقَاتُ الشَّعْرِيَّةُ

شغلت السرقات جانباً كبيراً من اهتمام النقاد والمهتمين بالشعر ، فقد زخر الشعر بكثير مما أخذ به الشعراء من معاني بعضهم البعض - فناقش المهتمون بالشعر ذلك وجعلوه مقياساً من مقاييس الحكم على الشاعر . فمستى كثرت سرقات الشاعر قللت من قيمة شعره الفنية وأخرته عن مرتبة غيره من الشعراء المبدعين .

وأول إشارة نجد لها لدى الشعراء ونستدل بها على أن الشعراء ساروا على نهج بعضهم في بعض المعاني التي عرضوها قول امرئ القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خدام ^(١)

فامرؤ القيس بين أنه يسير على نهج ابن خدام في بكاء الديار ومخاطبة الرفاق .

وقد أحصى النقاد على الشعراء كثيراً من سرقاتهم وسنعرض هنا بعضها ليظهر لنا موقف النقاد الذين سبقوا الامدى والجرجاني من السرقات .

قال الاصمعي * طفيل الغنوى في بعض شعره أشعر من امرئ القيس ويقال ان كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه ، وكان عمرو ابن قميئة دخل معه الروم الى قيصر * . ^(٢)

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٨ وجاء البيت برواية أخرى :

يا صاحبي قفا النواعج ساعة هه تبكى الديار كما بكى ابن حمام

(المصدر نفسه ١ / ٢٨)

قال ابن الكبي : أول من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام — معاوية وقال أبو عبيدة هو ابن خدام (الشعر والشعراء ١ / ٢٨) وورد ذكره في الموءتلف والمختلف ١٢٧ ، ٨ وطبقات فحول الشعراء ٣٩ وانظر البيهقي أيضاً في ديوان امرئ القيس ١١٤ .

(٢) الموضح ٣٢ .

ويقول الرياشي " يقال ان كثيرا من شعراء امرئ القيس ليس له وانما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره " . (١)

وقال أحمد بن أبي طاهر " كان الأعشى راوية المسيب بن علس والمسيب خاله وكان يطرد شعره ويأخذ منه " . (٢)

وقد نقل بعض الشعراء الجاهليين البيت كما هو من شاعر آخر ولم يغير فيه الا كلمة واحدة ، وقد نه النقاد الى ذلك .
" قال امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمل

فقال طرفة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد (٣)

واستمرت السرقات عند الشعراء بعد العصر الجاهلي فالاصمعي يقول " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وكان يكابر وأما جرير فما علمته سرق الا نصف بيت " . (٤)

وروى أبو عبيدة عن الضحاک ابن بهلول الفقي قال : بينا أنا بكائمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها :

(١) الموشح ٣٢

(٢) نفس المصدر ٤٧

(٣) طبقات فحول الشعراء ٥٩

(٤) الموشح ٩٦

أحين أعازت بى تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

إذا راكبان قد تدليا من نصف كاظمة متقنما فوقا يسمعان فلما فرغ
ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال : يا عبيد اضممها اليك - يعنى راويته-
وهو عبيد أحد بنى ربيعة بن حنظلة فقال ذو الرمة نشدتك بالله يا أبا فراس
انتحل ماشئت غيرها فانتحل أربعة أبيات :

أحين أعازت بى تميم نساءها	وجردت تجريد اليماني من الغمد
ومدت بضبعي الرباب ومالك	وعمرو وشالت من ورائي بنو سعد
ومن آل يربوع زهاء كأنه	دجى الليل محمود النكايه والورد
وكنا إذا الجبار صعر خده	ضربناه فوق الانثيين على الكرد (١)

ونقل عن الرياشي وعمر بن شبه قالا : " وكان الفرزدق مهيبا تخافه
الشعراء فمر يوما بالشمر دل اليربوعي وهو ينشد قصيدته حتى بلغ قوله :
وما بين من لم يعط سمعا واطاعة وبين تميم غير حز الحلا قم

فقال : والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك فقال : خذه على كره مني
لا بارك الله لك فيه فجعله الفرزدق في قصيدته التي أولها :
تحن بزوراء المدينة ناقتي حين عجلت تبتغي البوراءم (٢)

وذكر النقاد في قول الفرزدق :
كم من أب لي يا جرير كأنه قمر المجرة أو سراج نهار

(١) الموشح ٩٧ وطبقات فحول الشعراء ٤ هـ ورواية البيت الثالث فيها —
(. . . النكايه والرفد) .

(٢) نفس المصدر ٩٨

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابندي بتحل الأسمار

ان هذين البيتين للمراعي وأن الفرزدق انتحلها فصارت له * . (١)

" قدم الفرزدق المدينة فمر بجماعة من الناس قد استنكفوا على جميل وهو ينشد فوقف بين الناس يستمع له حتى قال :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا

وان نحن أو مانا الى الناس وقفوا

فصاح الفرزدق أنا أحق بهذا البيت منك فرفع جميل رأسه فعرفه فقال أنشدك الله يا أبا فراس قال : نحن أولى به منك وانصرف فانتحله * . (٢)

وذكر النقاد أن الفرزدق أدخل قصيدة كاملة للاعلم في شعره وهي :

إذا اغبر آفاق السماء وكشفت	شعور بيوت الحي حمراء حرجف
وهتكت الاطناب كل ذفيرة	لها تاطك من عائق النى أعرف
وجاء قريع الشول قبل افالها	زفيقا وجاءت خلفه وهي زفف
وباشر راعيها الصلى بلبانه	وكفيه حر النار ما يتمحرف
وأخذت الشعرى مع الليل نارها	وأمت محولا جلد ها يتوسف
وأصبح موضوع الصقيع كأنه	على سروات النيب قطن مند في
وقاتل كلب الحي عن نار أهله	ليريض فيها والصلى متكنف
وجدت النزي فينا اذا يبس الثرى	ومن هو يرجو فضله المتضيف

(١) الموشح ٩٩

(٢) نفس المصدر والصفحة

ثرى جارنا فينا يجير وان جنى فلا هو ما ينطف الجار ينطف
 " وهذه الابيات للاعلم كلها فأدخلها الفرزدق في قصيدته " عزفت بأعشاش
 مع ما سرق من جميل فيها " . (١)

وقال أبو عبدة " كان الفرزدق يجتلب القصيدة ويجتلب المعنى " (٢)
 ولم تقتصر سرقة الفرزدق على من عاصر من الشعراء واغمار على شعره ولكنه
 سرق معاني سبق اليها . " قال أحمد بن أبي ظاهر قال النابغة الذبياني :
 وصهباء لا تخفى القذى وهى دونه
 تصفق في را ووقها ثم تقطــــب
 تمزتها والديك يدعو صياحه
 اذا ما بنو نمش دنوا فتصوبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخا :
 واجانة ريا - المشروب كأنها اذا صفقت فيها الزجاجة كوكب
 تمزتها والديك يدعو صياحه اذا ما بنو نمش دنوا فتصوبوا (٣)
 وكان الفرزدق يعترف بالسرقة فهو يقول لعون بن ثعلبة وقد ادعى عليه بسرقة
 أبيات ابن عمه الأعلم : " اذهب خذها من الرواة " (٤)

(١) الموشح ١٠٠

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ١٠٢ وانظر ١٦٥ حيث أخذ بيتا للأشئ .

(٤) الموشح ١٠٠

ويقول أبو عمرو بن العلاء " لقيت الفرزدق في المبرد فقلت يا أبا فراس
أحدثت شيئاً قلت شيئاً ؟ قال خذ فأنشدني :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

قلت : سبحان الله هذا للمتلمس فقال اكتمها فلضوال الشعر أحب الى من
ضوال الابل " . (١)

وتتبع النقاد السرقات عند الشعراء المحدثين فأشاروا مثلاً الى سرقات
أبي نواس ومنها : قال الصولي : وقول أبي نواس :

يا شقيق النفس من حكمـ نمت عن ليلي ولم أنـم

من قول والبة بن الحباب :

يا شقيق النفس من أسـ نمت عن ليلي ولم أكـد " (٢)

وذكروا " أن للطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها^(٣)
وأشاروا الى أن أبا تمام سرق أكثر القصيدة التي رثى بها مكلف أبو سلمى زفائفة
العبيس والتي أولها :

أبعد أبي العباس يستعقب الدهر

وما بعده للدهر عتبي ولا عند ر

(١) الموشح ١٠١

(٢) نفس المصدر ٢٤٧

(٣) نفس المصدر ٢٨٤ وانظر فصل السرقات من الباب الثاني .

وقالوا : " سرق أبو تمام هذه القصيدة فأدخلها في شعره " ^(١) وأشا روا
الى سرقات البحترى من أبي تمام وقالوا " وسرقات البحترى من أبي تمام نحو
خمسائة بيت " ^(٢).

ومن السرقة مالا يأخذه الشاعر ولكن الرواة تحمله عليه فتنسب اليه شعر
غيره فقد أشاروا الى أن أكثر شعر مهلهل محمول عليه . ^(٣)

وتنبه النقاد الى أن الشعر المسروق لا يصل في جودته الى ما يبدعه الشاعر
قال الاصمعي : أفحم الناهضة ثلاثين سنة بعد قوله الشعر ثم نبغ فقال والشعر
الاول من قوله جيد والآخر كأنه مسروق وليس بجيد " . ^(٤)

ولم يغفل النقاد القدامى عما عرف بعد بتوارد الخواطر وقد أشاروا اليها
بشكل مجمل ، يقول الحاتمي عنها " تلك عقول رجال توافت على ألسنتها " ^(٥).

ولقد اهتم النقاد المؤلفون من القدامى في كتبهم بالسرقات وأطلقوا
عليها بعض المصطلحات التي اهتم بها النقاد المتأخرون أمثال الامدى والجرجاني
ووسعوها - وجعلوا التعريفات أكثر شمولاً واتساعاً وهم بذلك يقتفون أثر
المتقدمين ويستفيدون من مناهجهم في معالجة هذه القضية الهامة .

(١) الموشح ٢٩٥

(٢) نفس المصدر ٣٠٧ وانظر فصل السرقات من الباب الثاني .

(٣) الموشح ٦٧

(٤) نفس المصدر ٥٩ .

(٥) الرسالة الموضحة ١٤٣ .

ومن أول من تحدث في السرقات من النقاد المؤلفين " ابن سلام " وقد سمي السرقة اجتلابا ، وسماها استزادة ، وعرف الاستزادة بأنها ما كان يجرى مجرى المثل فيشارك الشعراء في الاستشهاد به ، يقول : " وأخبرني خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر فمن رواه للنابغة قال :

تمدو الذئاب علي من لا كلاب لله

وتتقي مريض المستشفرا الحامي

وهي الكلمة التي أولها :

قالت بنو عامر خالو ابني أسد يابؤس للجهل ضارا لأقوام

ومن رواه للزبرقان بن بدر قال :

ان الذئاب ترى من لا كلاب لله وتحتي مريض المستشفرا الحامي

ويروى " وتتقي " وهذا البيت في قوله :

" ابلغ سراة بني عوف مغلفة "

وسألت يونس عن البيت فقال هو للنابغة ، أظن الزبرقان استزاده فسي شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتبيا له ^(١) وبين أن " العرب تفعل ذلك لا تريد به السرقة " ^(٢) وضرب مثلا لذلك بقول أبي الصلت بن ربيعة الثقفي :

(١) طبقات فحول الشعراء ٥٧ - ٥٨ والمستشفرا الكلب يدخل ذنبه بين رجليه وخالوا : اتركوا .

(٢) نفس المصدر ٥٨ .

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بما فعادة بعد أبوالا
حيث أخذه النابغ الجعدي وقال في كلمة فخر بها ورد فيها على القشيري :
فان يكن حاجب ما فخرت به فلم يكن حاجب عما ولا خالا
هلا فخرت بيومي رحر حان وقد ظنت هوازن أن العز قد زالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بما فعادة بعد أبوالا (١)

وجعل من ذلك أيضا رواية عدد من الرجاز قوله :

عند الصباح يحمى القوم السرى (٢)

وأخذ طرفة قول امرئ القيس " وقفا بها صبحي . . . البيت " (٣) وهذا
كله ما سماه ابن سلام " الاستزادة " .

وسماها " اغارة وادعاء " يقول " حدثني أبو عبيدة قال كان قراد بن
حنش من شعراء غطفان وكان قليل الشعر جيدة وكانت شعراء غطفان تغيّر على
شعره فتأخذه فتدعيه منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات :

ان الرزية لا رزية مثلها ما تبتقى غطفان يوم أضلت
ان الركاب لتبتقى زامرة بجنوب نخل اذا الشهور أحلت
ولنعم حشو الدرع أنف لنا اذا نهلت من العلق الرماح وعلت
ينعمون خير الناس عند كريهم عظمت مصيبتهم هناك وجلت (٤)

(١) طبقات فحول الشعراء ٥٨-٥٩

(٢) نفس المصدر ٥٩

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٣٣ - ٧٣٤

وقد نبه ابن سلام الى الابتداء والاتباع ، وبين أن بعض الشعراء
يبتدع المعاني لا يسبقه اليها أحد ، فيتبعه المتأخرون ، ولا يرى ابن سلام
فسي ذلك عيبا ولكنه يقرر السبق للأول ويعترف له بفضل الابتداء يقول :
" واحتج لا مرى القيس من يقدمه قال : ما قال مالم يقولوا ولكنه سبق العرب الى
أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء استيقاف صحبه
والبكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المآخذ وشبه النساء بالظباء والبيض
وشبه الخيل بالعقبان والمصي وقيد الأواهد وأجاد في التشبيه وفصل بين
النسيب وبين المعنى " (١) .

وتحدث ابن قتيبة في السرقات وأشار الى ما ذكره ابن سلام من سبق
امرى القيس الى الاشياء ابتدعها واتبعته عليها الشعراء (٢) وقد سعى ابن قتيبة
السرقة الأخذ ، فقد ذكر أبياتا لامرى القيس وهى مما يتمثل به في شعره
وقال بعد ذلك " وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أخذ " (٣) ثم أشار الى
ما أخذه الشعراء من شعره في معان شتى (٤) والى ما أخذه من شعر
زهير . (٥)

ثم أشار الى أبيات في أوليات لامرى القيس لم يسبقه اليها أحد من
الشعراء وبين أن الشعراء قد قالوا مثل ذلك ، وسماه اتباعا . (٦)

(١) طبقات فحول الشعراء ٥٥ / ١

(٢) الشعر والشعراء ١١٠ / ١

(٣) نفس المصدر والجزء / ١١١ - ١١٢

(٤) نفس المصدر والجزء / ١٢٩ - ١٣٣

(٥) نفس المصدر والجزء / ١٤٤ - ١٤٥

(٦) نفس المصدر والجزء / ١٣٣

وقد أشار ابن المعتز في كتابه " البديع " الى لون من ألوان السرقات ، وهو ما عرف " بالاعتباس " حيث تتم سرقة المعنى من القرآن أو الحديث ، فقد قرر في كتابه أن أبا تمام سرق قوله :

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة أضاء لها من كوكب الحق آفلة
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات) ^(١)

وقد أفرد ابن طباطبا بابا في عيار الشعر " للسرقات " وأسماها المعاني المشتركة وبين أن الشاعر اذا تناول " المعاني التي قد سبق اليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه كقول أبي نواس :

وان جرت الألفاظ منا بمدح لفيرك انسانا فأنت الذي نعني

أخذه من قول الا حوص حيث يقول :

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة فما هي الا لابن ليلى المكرم ^(٢)
وذكر أبياتا عديدة تدل على ذلك . ^(٣)

(١) مشكلة السرقات في النقد العربي ص ١٠٤ ، وقد عدّ الدكتور محمد مصطفى هدارة هذا النوع من السرقات سرقة في لون من ألوان البديع وأشار الى أن هذا النوع قد تطور بعد ابن المعتز وظهر جليا عند الثعالبي في يتيمة الدهر (انظر مشكلة السرقات ص ١٠٤)

(٢) عيار الشعر ٧٦

(٣) نفس المصدر ٧٦ - ٧٧

وبين طباطبا أن من سلك هذا السبيل يحتاج الى " الطاف الحيلة
وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تخفي على نقادها
والبصراء بها وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق اليها فيستعمل المعاني
المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه فاذا وجد معنى لطيفا فسي
تشبيب أو غزل استعمله في المديح وان وجده في المديح استعمله في الهجاء
وان وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الانسان وان وجده في
وصف انسان استعمله في وصف بهيمة ، فان عكس المعاني على اختلاف
وجوهها غير متعذر على من أحسن عكسها واستعمالها في الأبواب التي يحتاج
اليها وان وجد المعنى اللطيف في المنشور من الكلام أو في الخطب والرسائل
فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن ويكون ذلك كالمصاغ الذي يذيب
الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه وكالصبغ
الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة " .^(١)

وقد أشار ابن طباطبا الى السرقات ضمنا عندما قال : " وقد سلك
جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها .."^(٢)

لقد نشأ حديث النقاد والشعراء حول السرقات منذ ظهور الحركات
النقدية واستمر عبر العصور الاسلامية - حتى اتجه النقاد الى التأليف - واستمر
عندهم حتى وصل الى الأمدى والجرجاني ، واستمر بعدها قضية مهمة فسي
نقد الشعر .

(١) عيار الشعر ٧٧-٧٨

(٢) نفس المصدر ٤٨

ونظرا لأهمية السرقات في النقد العربي فقد ألف كثير من المهتمين بها مؤلفات شتى - لا مجال لاستعراض تفاصيلها هنا - ومن تلك المؤلفات المهمة الخاصة في السرقات : سرقات أبي تمام لابن أبي طاهر ، وسرقات البحترى لأبي الضياء وسرقات أبي نواس لمهلل بن صهوت ، والرسالة الموضحة ، والرسالة الحاتمية والمنصف لابن وكيع والابانة عن سرقات المتنبي للمعدي والماخذ الكندية لابن الدهان وغيرها .. (١)

وخلاصة القول أن قضية السرقات قضية هامة في النقد العربي اهتم بها النقاد وتابعوها في الشعر منذ مراحله الاولى وكان للخصومات التي تدور حول الشعراء ومقدرتهم الفنية أثر كبير في ذلك فاهتم بها النقاد العرب قبل الامدى والجرجاني - كما اهتم بها النقاد ان فيما بعد ومن جاء بعدهما - ولا يخرج النقاد في الحكم على السرقات عن النقاط التالية :

أولا : أن السرقة لا تكون في المعاني المشتركة وانما تكون في الخاص الذي سبق اليه الشاعر .

ثانيا : أن الشاعر اذا سرق المعنى وزاد فيه وأحسن عد ذلك من فضائله - وانما قصر وأساء عد ذلك نقصا في مقدرته الفنية .

ثالثا : ان السرقة في اللفظ والمعنى معا عيب يؤخذ عليه الشاعر ويعد عليه .

وقد عني بعض الباحثين بمشكلة السرقات فدرسوها وراصة ضافية وافية أغنت النقد العربي (٢) في هذا المجال .

(١) انظر مشكلة السرقات في النقد العربي / ١٦٦-٢٠٢ حيث استعرض هذه الكتب ومناهج المؤلفين فيها - بطريقة جيدة .

(٢) انظر " السرقات الادبية - د. بدوي طبانة ، "مشكلة السرقات في النقد العربي" - د. محمد مصطفى هداره .

الفصل الرابع

التقديم والجديد

تعتبر قضية القديم والجديد من القضايا النقدية التي شغلت النقاد العرب الذين سبقوا الامدى والجرجاني ثم ظهرت بعد ذلك عند الامدى والجرجاني . (١)

وقد اخطفت مواقف النقاد من هذه القضية - ونكتفى هنا بالاشارة الى مواقف النقاد والاستشهاد ببعض النصوص التي صدرت عنهم في ذلك لنعطي صورة عن هذه القضية وكيف كانت قبل الامدى والجرجاني . (٢)

ظهرت قضية القديم والجديد عند النقاد المتقدمين فحصرها القديم في شعر العصر الجاهلي مما جعل اللغويين يمتنعون عن الاحتجاج بالشعر الاسلامي أو المفاضلة بين شاعر جاهلي وآخر اسلامي ، فأبو عمرو بن العلاء لا يستشهد بشعر الأخطل لأنه لم يدرك الجاهلية " ولو أدرك يوما واحدا

(١) انظر فصلي (القديم والجديد) من البابين الثاني والثالث من هذه الرسالة

(٢) حدد بعض النقاد بداية شعر المحدثين ببشار ، يقول الحصري " كان بشار أدق المحدثين ديباجة كلام وسمي أبا المحدثين لأنه فثق لهم أكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه . زهر الآداب ١ / ٣٣٤ " وبين الجاحظ أن مروان ابن أبي حفصة يسلك مسلك الاوائل في شعره وأن بشارا أول من سلك طريق المحدثين (البيان والتبيين ١ / ٧٤) وانظر حلية المحاضرة ١ / ٩٧ .

وذكر عبد الله بن المعتز أن الناس في زمانه يميلون الى أشعار المحدثين لان لكل جديد لذة ولذلك فقد أخذ من أخبارهم وأشعارهم من كل خير عينه ومن كل قلاوة هبتها (طبقات الشعراء لابن المعتز ٨٦) .

من الجاهلية ما قدم عليه أحدا". (١)

ويقول الأصمعي : " جلست الى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتاج
ببيت اسلامي " . (٢)

وقد امتدت هذه النظرة عند النقاد وخاصة اللغويين حتى انصرفوا عن
كتابة الشعر الجيد وحفظه والاستشهاد به لا لشيء الا لتأخر زمان قائله. (٣)

وبين الأصمعي أن طريق الشعر هو طريق القدماء ، فمن خرج عن
طريقتهم فليس بشاعر يقول " وطريق الشعراء هو طريق شعراء الفحول من
مثل امرئ القيس وزهير والناطقة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح
والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيال والحرب والافتخار " . (٤)

وانا كان النقاد القدماء يردون الجديد لجدته كما فعل الأصمعي
حين أنشده اسحاق الموصلي :

" هل الى نظرة اليك سبيل
فيروى الصدى ويشفى الغليل

ان ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تشدني فقال لبعض الأعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسرواني

(١) فحولة الشعراء ٢٤-٥١ وكذلك الحال بالنسبة لبشار (فحولة الشعراء ٥)

(٢) البيان والتبيين ٣٢١/٨ وانظر أثر النحاة في البحث البلاغي ٢٨٢ والبيان العربي ١٧

(٣) الموشح ٣٨٤ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٤) فحولة الشعراء ٤٢ ، ٥٣ .

(١)

قال انهما لليلتهما فقال : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بين فيهما

فانهم لم ينكروا حسنه - وذلك ظاهر من موقف الأصمعي السابق ومن موقف عمرو بن العلاء من الجديد ان يقول : " لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته يعني شعر جرير والفرزدق " (٢)

وقول ابن الأعرابي " انما أشعار المحدثين مثل الريحان يشم يومًا . . . ويدوى فيرمي به " (٣) فهو لا ينكر ما فيها من الحسن حتى ولو كان مؤقتا .

وقد يكون لتأخر الزمان أثر في تأخير الشاعر حتى ولو جاء شعره يقول حماد الراوية : " امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها وذو الرمة أحسن الاسلام تشبيها وما آخر القوم ذكره الا لحدثه سنه وانهم حسدوه وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره " (٤)

ويختلط موقف النقاد القدامى بمطلب اللغويين الذين لا يحتجون في اللغة بالشعر الحديث ولكنهم يميلون الى الاحتجاج بالقديم لوضع قواعد اللغة قبل فساد اللسان وتأثير الحضارة والثقافة في الشعر (٥) وما جلبه

(١) الموازنة ٢٣ / ١ - ٢٤

(٢) البيان والتبيين ٢٣١ / ١ وقد استحسّن الناس بعد أشعار المحدثين ففى زمانهم (طبقات الشعراء لأبى المعتر ٨٦) .

(٣) الموشح ٣٨٤

(٤) خزانة الأدب ٧٥ / ١

(٥) الرواية والاستشهاد باللغة ٣٣ - ٣٦

المولدون من ألفاظ فقد " يكون تفضيل القديم قد جاء من وجهة نظر لغوية
بحثة وهي أن أصح اللغة ما تكلم به القدماء " .^(١)

وقد استمر هذا الموقف عند النقاد فاستبعدوا الشعر الجديد ولعلمهم
لاحظوا ما طرأ عليه من تغيير في الصورة وخروج على عمود الشعر^(٢) فقد
" قام على صناعة الشعر أمشاج من العرب والموالي فكان طبيعياً أن تتطور
صورته وأن تختلف عن صورة الشعر القديم الذي كان يستمد علاقات
البادية وصلاتها الحسية والمعنوية " .^(٣) فلم يرقهم ذلك التغيير ، وأرادوا
للشعر أن يبقى على صورته محتفظاً بنظامه الذي رسمه الفحول كما يرى
الأصمعي .^(٤)

ونبه أبو العلاء المعري الى أن المولدين استحدثوا المقتضب
والمضارع في الأوزان الذين سجلهما الخليل ولم يستعملهما القدماء .^(٥)

وإذا كان الشعراء المحدثون قد خرجوا على سنن الشعر القديم فسي
الصياغة والأعاريض حيث " اهتدى بشار الى أوزان جديدة " نظم عليها شيئاً
من الشعر^(٦) ، ونظم أبو العتاهية أشعاراً يرى ابن قتيبة أنها خارجة عن

(١) الاسس الجمالية في النقد العربي ١٩٠

(٢) أخبار أبي تمام ١٦

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٩١

(٤) فحولة الشعراء ٤٢ ، ٥٣ ،

(٥) الفصول والفايات ١٣٢

(٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب ٩٩

أعاريض العرب وأوزانهم^(١) فان ذلك لا يعني استجابة النقاد القدامى لهذا التجديد واستحسانه .^(٢)

ولم تكن مواقف النقاد بعد ظهور الحركات التجديدية في الشعر واحدة - فبينما نجد الأصمعي وأبا عمرو وابن الأعرابي وغيرهم من النقاد اللغويين لا يميلون للتجديد ولا يحتجون به ولا يعدونه في ميزانهم - الشعر الجيد نرى بعض النقاد الذين عقوبتهم يقفون موقفا آخر . يقول الجاحظ " وقد رأيت ناسا منهم يهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير يجوهها ما يروى ولو كان له بصير لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان " ^(٣) ، ويقول عن أبيات لأبي نواس " وأبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر مهلهل فـ في أطراق الناس في مجلس كليب " ^(٤) ويقول عنه أيضا " وان تأملت شعره فضلته الا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر ، وان المولدين لا يقاربونهم في شيء فاذا اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوها " ^(٥) .

وهذا موقف منصف وضع فيه دور العصبية وكيف تكون سببا في الاساءة الى شعر جيد ورأى أن استهجان شعر المولدين لتأخر زمانهم باطل يجب

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٩١

(٢) تاريخ الادب العربي (بروكلمان) ١ / ٣٦ ، وانظر النقد المنهجي عند العرب ١١ .

(٣) الحيوان ٣ / ١٣٠

(٤) نفس المصدر والجزء ١٢٩

(٥) نفس المصدر ٢ / ٢٧

على الناقد المدول عنه ، وهذا موقف منصف تماما . (١)

وقد أوضح ابن قتيبة موقفه المنصف من هذه القضية حيث قال : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا سبيل من قلد واستحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل بين الفريقين وأعطيت كلا حظـه ووفرت عليه حقه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص بها قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباد الله في كل دهر وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية فسي أوله فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يمدون محدثين . " (٢) (٣)

وقد انتقد ابن قتيبة موقف أبي عمرو بن العلاء من الشعر المحدث وأورد

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٤٥ ، ١٤١ ، ٢٦٣ ، ٥٦٤ ، ٢ / ١٨٧ ، حيث استحسن شعرا جديدا واحتج به .

(٢) الخارجية : الخيل تخرج سابقه - والخارجي الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم في ذلك .

(٣) الشعر والشعراء ١ / ٦٢ - ٦٣ وانظر الكامل ١ / ١٨ فللمبرد رأى يشبه هذا الرأي تماما . " وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهديهتضم المصيب ولكن يعطى كل شئ ما يستحق " .

(١) استحسان أبي عمرو له لولاتعصيه ومناصرته للقديم .

وعلى الرغم من أن ابن قتيبة قد انصف الجديد وخرج على مبدأ النقاد القدامى وأنه شابه الجاحظ في ذلك إلا أنه حذر على الشاعر من أن يخرج على مبدأ الأوائل فيما رسموه في افتتاح القصائد ، يقول : " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدم من فبكي وشكا وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ليكمل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها إذ كان نازلة العمدة في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لا انتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلالاً وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد

(١) الشعر والشعراء ١ / ٦٣

يرى بعض الدارسين المحدثين أن ابن قتيبة يعد أول من أنصف الشعر الجديد ، يقول محمد زطلول سلام " أولهم ابن قتيبة وقف بين القدماء والمحدثين وحاول أن ينصر قضية الشعر الحديث والشعراء المحدثين بعد أن كان النقاد وعلماء اللغة ورواة الشعر يغمطونهم حقهم " تاريخ النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ٢١٩ . ويقول الدكتور عز الدين اسماعيل " بدأ القديم والجديد متساويان أمام أكثر نقاد القرن الثالث فيما يستأهلان من استحسان واستهجان ويسود هذا المفهوم الذي بدأه ابن قتيبة " - (الأسس الجمالية في النقد العربي ١٩٢) ولست أرى ذلك فإن أول من حاول أن يبين فضل الجديد هو الجاحظ (الحيوان ٢ / ٢٧٢ ، ٣ / ١٢٩ ، ٣٠ / ١٣٠) حيث بين فضل الشعر الجديد وبعض مزاياه وجعل تقدير الشعر راجع للجودة بصرف النظر عن الزمان والمكان . وقد أخذ ابن قتيبة عن الجاحظ (شذرات الذهب ٢ / ١٦٩ تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠) وقد ثبت أن الجاحظ متقدماً على ابن قتيبة مولداً ووفاءً ، فالجاحظ بين ١٥٠ - ٢٥٥ (الحيوان - المقدمة) وابن قتيبة ٢١٣ - ٢٧٦ (الأنساب ٤٤٣ وانباء الرواة ٢ / ١٤٣) .

وَألم الفراق وفرط الصباية والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه
وليستدعي به إصغاء الاسماع اليه لان التشبيب قريب من النفوس لائسط
بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الفزل وألف النساء
فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال
أو حرام فاذا علم أنه قد استوثق من الاصفاء اليه والاستماع له عقيب
بايجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهروسرى الليل وحرر
الهجير وإنشاء الراحة والبعير فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق
الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من الحكاره في المسير بدأ فـي
المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح وفضله على الأشباه وصغرفـي
قدره الجزيل (١) .

ثم يقول بعد أن عرض ذلك مفصلا : " فالشاعر المجيد من سلك هذه
الأسالب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر
ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد " (٢).

ومادام الأمر كذلك فقد رأى ابن قتيبة أنه لابد للمتأخر من الشعراء
التزام نهج المتقدمين في ذلك . يقول " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج
عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو ييكي عند
مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافى أو

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٤-٢٥

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٥-٢٦

يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبمير
أو يرد على المياه المذاب الجارية لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطواني
أو يقطع الى المدوح منابت النرجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على
قطع منابت الشيع والحنوة والعرار .^(١)

وانضم المسبرد الى الجاحظ وابن قتيبة في انصاف المحدثين ، يقول
" وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن
يعطى كل ما يستحق " .^(٢) وهذا غاية الانصاف .

ولابن طباطبا موقف من القديم والجديد ، فهو يرى أن " في أشعار
المولدين عجائب استفادوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم ولبسوها
على من بعدهم وتكثروا بإيداعها فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم
فيها وخرفتهم لمعانيها " .^(٣) فما جاء به المولدون يرجع فضله الى المتقدمين
- ولكن ابداع المولدين في هذه المعاني أوجب لهم التقدير " لأنهم قد
سبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح وحيلة لطيفة وخلاصة ساحرة " .^(٤) فهم
لذلك ان أحسنوا وأجادوا فقد جاءوا بما يعرف فضله لهم .

(١) الشعر والشعراء ٧٧-٧٦ / ١

(٢) الكامل ١٨ / ١

(٣) عيار الشعر ٨

(٤) نفس المصدر ٩

وقد اشترط على المحنسدثين أن يثقوا من جودة شعرهم قبل أن يخرجوه . " فينبغي للشاعر (في عصره) أن لا يظهر شعره الا بعد ثقتيه بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها وأمر بالتحرز منها ونهى عن استعمال نظائرها ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار وأنه يسلك سبيل من كان قبله ويحتج بالآبيات التي عييت على قائلها ^(١) فليس يقتدى بالمسيء وانما الاقتداء بالمحسن ^(٢) وأثنى على المتأخر الذي يتناول المعاني التي سبقه اليها القدماء ويحسن فيها ^(٣) . وبين ابن طباطبا أن لشهرة الشاعر وتقدمه أثر في استحسان شعره أو ما قلّد عليه فـ " أكثر من يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه " . ^(٤)

ولم يهضم حق المتأخرين في الاحسان فقد ذكر أبياتاً لبعض الشعراء المتأخرين تناولوا معانيها فأبرزوها في أحسن من الكسوة التي عليها فوجب لهم فضل اللطف والاحسان في المعاني ، وذكر منها قول أبي نواس . ^(٥)

وان جرت الألفاظ منابذ حسة^١ لفيرك انسانا فأنت الذي نعني
وقول دعبل : ^(٦)

أحب الشيب لما قيل ضيف كحبي للضيوف النازلينـا

(١) ومثل هذا ما فعله المتنبي وهو يدافع عن أخطائه ويستشهد بأخطائه^١ مشابه لمن سبقه من الشعراء المتقدمين المعدودين ، أنظر الوساطة ٢٤-٢٨ حيث ذكر الجرجاني أمثلة على ذلك الى جانب أمثلة منتشرة في الكتاب .

(٢) عيار الشعر ١٠

(٣) نفس المصدر ٧٦-٧٧

(٤) نفس المصدر ٧٦

(٥ ، ٦) نفس المصدر والصفحة

وهكذا يبين ابن طباطبا فضل المحدث اذا أجاد وأحسن ولا يفمطه
حقه ويقرر أن فضل المتقدم لا ينكر .

ويرى الصولي أن " الفاظ المحدثين مذ عهد بشار الى وقته كالمتنقلة الى
معان أبدع والفاظ أقرب وكلام أرق " .^(١)

فهو يرى أن الشعر المحدث قد حوى شيئا من الابداع لا ينكره
ولا يستهجنه كما فعل النقاد القدامى ، وان كان يرجع الفضل للأوائل ، يقول
" وان كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء وأنه لم
تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عيانا كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم
مشاهدة وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحارى والبر والوحش والابل والأخبية
فهم في هذا أبدا دون القدماء فيما لم يروه أبدا دونهم " .^(٢)

وهذه التفاتة جيدة من الصولي الذي يرجع تفوق السابقين في أمور
معينة الى أثر المعاصرة لها وأثر البيئة - فالقدماء أبدعوا فيما لم يره ولم
يعشه المتأخرون - والمتأخرون أبدعوا حينما تغيرت الحياة وفي أمور لم يدركها
المتقدمون .

ومهما كان الخلاف فان الصولي يرى أن المتأخرين " انما يجرون بريح
المتقدمين ويصبون على قوالبهم ويستمدون بلعابهم وينتجعون كلامهم " .^(٣)

(١) أخبار أبي تمام ١٦

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ١٧

ولا ينكر الصولي فضل المحدثين فيما أخذوه عن الأوائل فـ " قلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده " (١) بالاضافة الى تفوقهم فيما ابتدعوه فقد وجد في " شعر هؤلاء " معاني لم يتكلم القدماء بها ومعاني أومأوا اليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان والناس له أكثر استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبتهم " (٢)

وبين الصولي أن التفوق قد لا يقتصر على الأوائل فقد استحسن الناس لأمرى القيس " تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد قالوا لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله وهو قوله في وصف عقاب :

كأن قلوب الطير رطبا وبابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي (٣)

ومع ذلك فقد جاء في شعر المحدثين مثله " فقال بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوت كواكبه

وهذا أعمى أكمه لم ير هذا بعينه قط فشبهه حدسا فأحسن وأجمل وشبهه شيئين بشيئين في بيت واحد وقد نحا هذا منصور النمرى فقال :

ليل من النقع لا نجم ولا قمر إلا جبينك والمذروبة الشرع

وقال المنابى :

تبنى سنا بكها من فوق رؤوسهم سقفا كواكبه البيضى المباتير (٤)

(١) أخبار أبى تمام ١٧

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) أخبار أبى تمام ١٧-١٨ ، وذكر الصولى مقارنات بين القدماء والمحدثين فى جوانب تفوق فيها الفريقان - وكأنه بذلك يثبت فضل المتأخرين . أخبار أبى تمام ١٩-٢٨

فالصولي لا ينكر فضل المحدثين وبين تفوقهم الى جانب تفوق الأوائل وهو بذلك يعطي كل ذي حق حقه .

ولا نكاد نجد عند قدامة موقفا واضحا من القديم والجديد يحكم فيه على أحدهما صراحة - ولكنه يبدو مقتنعا بأن الصواب في الشعر هو أساس استحسانه سواء كان جديدا أو قديما يقول : " ومن نعوت الوزن الترصيع وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيديين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم " . (١)

فلا حسان عند قدامة هو اتباع قاعدة معينة - فإذا اتبعها الشاعر فهو محسن قديما كان أو حديثا " فأكثر الشعراء المصيين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المفزى ورموا هذا المرمى " . (٢)

وقد أشار قدامة الى أن تنظيم الشعر لم يكن قاصرا على أحد الفريقين ف " من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ووالى بين أبيينات كثيرة منه منهم أبو ضمير الهذلي ، ومنهم أبو المثلّم ومثل ذلك للمحدثين أيضا كثير " . (٣)

(١) نقد الشعر ٨٠

(٢) نفس المصدر ٨٣

(٣) نفس المصدر ٨٤ - ٨٥

وهذه تسوية بين القدماء والمحدثين عند قدامة . (١)

لقد شغلت قضية النظر الى قيمة الشعر كخبراً ملموساً في النقد العربي وأصبح النقاد القدامى ابتداءً باللغويين وانتهاءً بالنقاد الفنيين فريقين - فريق ناصر القديم وآخر نظر بميزان العدل . حتى جاء الآمدى والجرجاني ففصلا في هذه القضية وظهر موقفهما واضحاً في الحكم على أبي تمام والبحترى عند الآمدى وعلى المتنبي وموقف خصومه منه عند الجرجاني وهذا ظاهر فسي فصليهما من هذه الرسالة .

(١) وانظر نقد الشعر ، حيث يجعل الحكم مطلقاً اذا تحدث في مذهب من مذاهب الشعراء قائلًا " وانما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون الى ذلك لان بنية الشعر انما هي التشجيع والتقنية فالحكم عنده للشعراء المطبوعين قداماً كانوا أو محدثين .

الفصل الخامس

قضايا نقدية
أخرى

اهتم الناقدون الأوائل منذ حركة التأليف الأولى في النقد الأدبي ببعض القضايا العامة التي عرضها الآمدي والجرجاني فيما بعد ، ولعل من المهم أن نشير هنا الى معنى تلك القضايا وآراء النقاد حولها .

الشعر

اهتم النقاد بالشعر وبينوا أهميته ، يقول ابن سلام " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون " (١) " قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " (٢) وقال ابن سلام " ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقدُّ ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " (٣) .

وهذا يدل على أن النقاد المتقدمين كانوا ينظرون الى الشعر على أنه علم من علوم العرب الهامة يبين فصاحتهم ولغتهم ويروى تاريخهم وأحداثهم ويظهر مدى ما وصلت اليه مقدرتهم الفنية والبيانية .

وقد درس النقاد الشعر وقسموه أنواعا ، يقول ابن سلام : " وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف ...

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٤ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٥ /

وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه ^(١) وقد بين أن الشعر صناعة وثقافة كسائر أصناف العلم والصناعات ^(٢) وكان من مظاهرها اهتمامهم بالشعر أن درسوا عيوبه وحددوا متونه وتحدثوا في ذلك حديثا مستفيضا ^(٣).

وقد نظر ابن قتيبة في الشعر فقسمه الى أربعة أضرب : " ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بنى أمية :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم
يفضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين ييتسّم
فلم يقل في الهيبة شيء أحسن منه ^(٤)

" وضرب منه حسن لفظه وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائسة في المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حذب المطايا رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو راع
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأبا طح

(١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٥ /

(٣) انظر الموشح ١٣، ٢٥، ٥٤، ٤٠، ٧٩، ٤٧، ٧٤-٧٨، وغيرها وانظر

جمهرة أشعار العرب ١ / ٤٠ حيث طلب أبو زيد الايجاز في الشعر.

(٤) الشعر والشعراء ١ / ٦٤ وانظر بقية أمثلة هذا الضرب في فنون شتى ٦٥، ٦٦

وقال أبو زيد القرشي " مر أبو عبيدة معمر بن العثني برجل ينشد شعرا فطول فيه فقال أبو عبيدة : أما أنت فقد أتعبت نفسك بما لا يجدي عليك وما كان أحسن من أن تقصر من حفظك في هذا الشعر ما طال ، ألم تعلم أن الشعر جوهرا لا ينفد معدنه فمنه الموجود المهدول ومنه المعوز المصون فعليك بالبحث عن مصونه يكثر أدبك ودع الاسراع الى مبدوله كي لا يشغل قلبك " . (١)

وعرف ابن طباطبا الشعر بأنه " كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم الذي ان عدل عن جهته مجتته الاسماع وفسد على الذوق ونظمه معلوم محدود " . (٢)

وبين أن ميزانه العروض ، وان للذوق دورا في تصحيحه وتقويمه (٣) وأن من أدواته : " التوسع في اللغة والبراعة في فهم الاعراب والرواية لغنون الآداب والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبتهم ومثالبهم والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه في كل فن قالت العرب فيه وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطبتها وحكايتها وأماليها والسنن المستدلة منها وتعريضها وتصريحها وأطنابها وتقصيرها وإطالتيها وإيجازها ولطفها وخلابتها وعذوبة الفاظها وجزالة معانيها وحسن مباديها وحلاوة مقاطعها وإيفاء كل معنى حظها من العبارة " . (٤)

(١) جمهرة أشعار العرب ١ / ٤٠

(٢) عيار الشعر ٢

(٣) نفس المصدر ٣

(٤) نفس المصدر ٤

وبين أن " أحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها حتى يطابق
المعنى الذى أريدت له ويكون شاهدها معها لا تحتاج الى تفسير من غير ذاتها
كقول جندب أخت عمرو ذى الكلب :

فأقسمت يا عمرو لونهـاك	إذا نبها منك داء عضالا
إذا نبها ليث عريسة	مقيتا مفيدا نفوسا ومـالا
وخرق تجاوزت مجهولـه	هوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسـه	وكنت دجى الليل فيه الهلالا (١)

ويرى قدامة بن جعفر أن الشعر " قول موزون مقفى يدل على معنى (٢)
كما يرى أن " للشعر صناعة " (٣) وبين أن له " طرفان أحدهما غاية الجودة
والاخر غاية الرداءة ، وحدود بينهما تسمى الوسائط " (٤) وأن من وصل من
الشعراء غاية الجودة في شعره سمي حاذقا ومن وصل غاية الرداءة فهو
من ضعف صناعة ، ومن قصر عن الجودة وعلا عن الرداءة نزل له اسم
بحسب الموضع الذى يبلغه في القلوب من تلك الغاية أو البعد عنها .

وعرف الناشء الأكبر الشعر بقوله : " الشعر قيد الكلام وعقال الادب
وسور البلاغة ومحل البراعة ومجال الخبان ومشرح البيان وذريعة المتوسل
ووسيلة المترسل وذمام الغريب وحرمة الأديب وعصمة الهارب وعذر الراهب
وفرحة العتمل وحاكم الاعراب وشاهد الصواب " (٥)

(١) عيار الشعر ١٢٧

(٢) نقد الشعر ٦٤

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) نفس المصدر بتصرف ٦٥

(٥) تاريخ النقد الادبى عند العرب - نقد الشعر - ٦٤

وقد اهتموا بالشاعر ودوره فالزموه بطرق معينة ليصل شعره الى المستوى المأمول فذكر ابن طباطبا أنه " ينبغى للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستخفي من الكلام والمخاطبات " (١) " وينبغي - له - أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتتنظم له معانيها ويتصل كلامه منها . . . " (٢)

وقد اهتم ابن قتيبة بالشاعر وجعل الثقافة أساسا هاما لتكوين قدرته الفنية . (٣)

وقد عرض صاحب الموشح كلاما طويلا عن الشاعر وما ينبغي له اتباعه . (٤)

أثر البيئة في الشعر

وقد ذكر النقاد القدامى أثر البيئة في الشعر وبينوا أن الشعر يتأثر بالبيئة ويكون نتاجا لها .

يقول أبو عمر بن العلاء " لم أربد ويا أقام في الحضر الا فسد لسانه " (٥) ويقول الاصمعي عن الكميث " ذاك جرمقاني من أهل الموصل ولا آخذ بلغته " (٦)

(١) هيار الشعر ١٢٢ / ١٢٣ .

(٢) نفس المصدر ١٢٤ ويقول الباقلاني " ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذ أتى بالموزون قصرو نقص نقصانا بينا ومنهم من يوجد بصفة ذلك (اعجاز القرآن ٣٧) .

(٣) الشعر والشعراء ٨٢ / ١ - ٨٤

(٤) انظر الموشح ٢٤٨ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ .

(٥) خزانة الادب ٢٢٠ / ١

(٦) المزهري في علوم اللغة ٣٧٤ / ٢

وقد أدرك ابن سلام ذلك وبين أن شعر البادية يختلف عن شعري القرى
 فشعر البادية فيه من القوة وفخامة الالفاظ وجزالة المعاني ما يميزه عن
 شعر القرى الذي يتصف باللين لان مراكنة الريف ونزول الحواضر سبب في
 لين الشعر " فعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويركن الريف فلان لسانه ^(١)
 " وأشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال ^(٢) . وبين أن الحوادث
 التي تقع وترتبط بهيئة معينة لها أثر في الشعر ، فالبادية تكثر فيها الحروب
 بين القبائل المتطاحنة بينما تقل في المدن والقرى حيث الترف وانشغال الناس
 بالتجارة وغيرها كما ظهر ذلك في مكة والطائف قبل البعثة ، يقول في ذلك
 " وبالطائف شعر وليس بالكثير وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين
 الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل
 شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عمان ^(٣) .

وقد ثبت أن لحياة الصحراء أثرا في قوة ملكة الشعر عند العربي
 " يروى أن النابغة قال للنعمان :

تراك الارض ارضا مّا خفيا دتحي ان حييت بها ثقيا

فقال النعمان : هذا بيت ان أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان الى الهجاء
 أقرب منه الى المدح ، فأراد ذلك النابغة فمسر عليه فقال أجلني فقال أجلتك

(١) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٠

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٤٥ /

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٥٩ /

ثلاثا فان أنت اتبعته بما يوضح معناه فلك مائة من العصافير النجائب
والا فضربة بالسيف أخذت منك ما أخذت ، فأتى المناطقة زهير بن أبي سلمى فأخبره
الخبر فقال زهير : أخرج بنا الى البرية فان الشعر برى . ^(١)

وقد أشار ابن سلام الى أثر البيئة في شعر الشاعر بما نقله عن شعـر
ذي الرمة قال : " مر الغزدق بذى الرمة وهو ينشد :

أمتزلتى مي سلام عليكـا هل الا زمن اللائى بضين رواجه

فوقف حتى فرغ منها فقال : كيف ترى يا أبا فراس ؟ قال أرى خيرا ، قال
فما لي لا أعد في الفحول قال يمنعك عن ذلك صفة الصحارى وأبعار الابل " ^(٢)

وقد امتنع علماء العربية عن الاستشهاد بشعر أهل المدر واكتفوا بشعر
أهل الدير لسلامة لسان البدو وأثر البيئة في فصاحة اللغة . ^(٣)

الناقد

واهتم النقاد المتقدمون بناحية هامة يقوم على أساسها النقد السليم وهى
- ثقافة الناقد - فابن سلام يقول " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم
كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن ومنها
ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان . " ^(٤)

(١) الموشح ٤٣

(٢) طبقات فحول الشعراء ٥٥٣ / ٢

(٣) الخصائص ٥ / ٢

(٤) طبقات فحول الشعراء ٥ / ١

وبينوا أنه يجب على الناقد معرفة أحوال الشعر ونقده - وأن يكون متخصصا عالما به محيطا بكل فنونه وأوزانه حتى يكون نقده مقبولا وحكمه مقنعا (١) . . . " وان كثرة المدارس لتعدى على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهمل العلم به " (٢) .

فالثقافة في الشعر والتخصص ركيزتان هامتان يجب توافرها في الناقد الى جانب الذوق والطبع اللذين لا بد لهما من الارتباط بالدربة والممارسة والتخصص " قال قائل لخلف اذا سمعت أنا بالشعر استحسنته فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك قال : اذا أخذت درهما فاستحسنته فقال لك العراف أنه رديء فهل ينفعك استحسانك اياه ؟ " (٣) .

--

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ٦ / ١ - ٧ وانظر مقدمة شرح الحماسة ١ / ١٤ - ١٥

(٢) طبقات فحول الشعراء ٦ / ١

(٣) نفس المصدر ٧

الباب الثاني

النقد عند الآمدي

- الفصل الأول - الموازنة
- الفصل الثاني - أخطاء الشعراء
- الفصل الثالث - اللفظ والمعنى
- الفصل الرابع - السرقات الشعرية
- الفصل الخامس - التقديم والتأخير
- الفصل السادس - قضايا نقدية أخرى

الفصل الأول

الموازنة

اهتم الآمدى بالموازنة بين أبي تمام والبحتري ، وجعلها غاية ، ولأجل ذلك ألف كتابه - وسماه " الموازنة " بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري .

وقد دفعه الى ذلك ما وجد عليه رواية الشعر المتأخرين الذين جعلوا همهم الحكم على أي الشاعرين أشعر . يقول الآمدى :

" هذا ما حثت أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد عليه وبعثني على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري في شعريهما ، وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة وأحسن في اعتماد الحق وتحري الصدق وتجنب الهوى - المعونة بحنه ورحمته ، ووجدت أطل الله بقاءك أكثر من شاهدته ورأيت من رواية أشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيده جيد أمثاله ، وروية مطروح مرزول فلهذا كان مختلفا لا يتشابه وأن شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيح السبك ، حسن الديباجة ، ليس فيه سفاسف ولا ردى ولا مطروح ، لهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضا " (١)

وقد وجد الآمدى أن ما شاهده من رواية أشعار المتأخرين الذين اختصوا بنقد الشاعرين قد خاضوا في شعرهم وشمل نقدهم جوانب عديدة ، فقد فاضلوا

بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيدهما وهدائعهما " (١) وكذلك تحدثوا عن غموض المعاني ودقتها عند أبي تمام وكثرة ما يورده ما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج - وكذلك عمد من فضل البحترى الى نسبة شعره الى حلاوة اللفظ وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة وقرب المأثري وانكشاف المعاني . وبين الآمدى أن هؤلاء هم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة ، وأن أولئك هم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام . (٢)

وقد وجد الآمدى أن المتخصصين في الشاعرين ، لم يتفقا على أيهما أشعر ، وأن ذلك منهج النقاد عامة . يقول " . . . لم يتفقا على أيهما أشعر كما لم يتفقا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والاسلام والمتأخرين " ويعلل لعدم اتفاق المتخصصين في أبي تمام والبحترى أن ذلك يعود " لميل من فضل البحترى الى الطبع ، وميل من فضل أبي تمام الى مذهب الصنعة " . (٣)

ووجد الآمدى أن فئة من النقاد جعلوها طبقة واحدة ولكن الآمدى يخالف هؤلاء اذ يقول : " . . . وكان كان كثيرا من الناس قد جعلها طبقة ، وذهب الى المساواة بينهما ، وانهما لمختلفان ، لأن البحترى أعرابي الشعر مطبوع . وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحش الكلام . فهو أن يقاس بأشجع السلمى ،

(١) الموازنة ١ / ٤

(٢) انظر ما يدل على ذلك في الموازنة ١ / ٤

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

ومنصور النمرى وأبى يعقوب المكفوف الخزيمى وأمثالهم من المطبوعين أولى .

ولأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ويستكره الالفاظ والمعاني وشعره لا يشبه أشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستمرارا ت البعيدة والمعاني المولدة فهو أن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن هذا حدوه - أحق وأشبه .

وعلى أنى لا أجد من أقرنه به لأنه ينحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه ، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب لكثرة محاسنه وبدائمه واختراعاته .^(١)

هذا ولم يجزم الآمدى بأيهما أشعر ولا يسوغ ذلك لسواء من النقاد كما قال : " ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى لتباين الناس في العلم ، واختلاف مذاهبيهم في الشعر ، ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدف لدم أحد الفريقين ، لان الناس لم يتفقوا على أى الاربعة أشعر ، فى امرى القيس والنابغة وزهير والاعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والاخطل ، ولا فى بشير ومروان ؛ والسيد ولا فى أبى نواس وأبى المعتاهية ومسلم والعباس بن الاحف لا اختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبيهم فيه ."^(٢)

ثم يبين الآمدى أن الموازنة بين الشعراء لا يمكن أن تعطى حكما عاما

(١) الموازنة ٤ / ١ - هـ

(٢) الموازنة ٥ / ١ - هـ

لأن شمة شاعرا أشعر من شاعر في ناحية معينة وقد لا يكون أشعر في جانب آخر من جوانب شعره . يقول عن الشاعرين : " فان كنت أدام الله سلا متك من يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صراحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة .

وان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغسوى والفكرة ولا تطوى على ماسوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة .^(١)

وقد بين الآمدى منهجه في الموازنة بينهما قائلا : " فأما أنا فلسست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ثم أحكم . أنت حينئذ ان شئت على جملة ما لكل واحد منهما اذا أحطت علما بالجيد والردى ."^(٢)

ويقول : " وأنا ابتدئ بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما وان ذكر طرفا من سرقات أبي تمام واحالاته وظلمه ومساقط شعره ومساوى البحترى في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام وغير ذلك من غلظه في بعض معانيه . ثم أوازن بين قصيدة وقصيدة اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ، فان محاسنهما تظهر في تغايف ذلك وتنكشف ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجودة من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه .

(١) الموازنة ٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٦ /

وأُفِرِدُ باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وباباً للأفعال ، اختتم
بهما الرسالة .

ثم أُتْبِعُ ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفاً على حروف
المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شاء الله تعالى .^(١)

وهذا المنهج الذي رسمه الآمدي لنفسه واتبعه في الموازنة جعله يهتم
بجوانب عديدة تعتبر قضايا هامة من قضايا النقد لعل أهمها السرقات وأخطاء
الشعراء وقضية الألفاظ والمعاني والبديع وفنون الشعر وهو ما عني به الآمدي
في كتابه ودرسه عند الشاعرين دراسة واضحة استوفيناها في فصول أخرى
.. ليجعلها أساساً من أسس الموازنة ويوازن بين الشاعرين فيها موازنة تعطى
حكماً نقدياً ظاهراً على كل شاعر .

وعلى الرغم من أن الآمدي جعل الموازنة أساس مؤلفه واهتم بها ورسم
منهجه فيها الا أننا نجد أن الآمدي يوازن بين الشعراء في مواضع شتى عند
تعرضه لقضية من القضايا النقدية التي عرضها في كتابه كالسرقات وأخطاء
الشعراء والألفاظ والمعاني ..

ففي السرقات يوضح الآمدي سرقات الشاعر وما أخذه من غيره من المتقدمين
أو المعاصرين ، ويوازن في ذلك بين سرقات الشاعر ومن أخذ عنه - ويبين

مواطن الفضل والتقصير والاحسان ويتعرض أثناء ذلك للمفاضلة والمقارنة بينهما.

يقول : قال الاعشى :

وأرى الغواني لا يواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمرداً

فأخذ الطائي المعنى وألطفه فقال :

أحلى الرجال من النساء موقعا من كان أشبههم بهن خدوداً * (١)

ويقول : " قال الطائي :

والشيب ان طرد الشباب بياضه كالصبح أحدث للظلام أفسولا

أراد قول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهـار

فقصر عنه * (٢)

وقد بين في مقارنته بين السرقات أن الشاعر قد يخلط (٣) وقد يزيد في

المعنى (٤) وقد يجمع بين الزيادة والاحسان (٥) وقد يخطئ * (٦) وقد يسرق البيت

ويصوب المعنى (٧) وقد ينقل المعنى لغرض آخر (٨) وقد يعكس المعنى (٩) السـي

(١) الموازنة ٦١ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء / ٦٤

(٣) نفس المصدر والجزء / ٦٥

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٥) نفس المصدر والجزء / ٨٤

(٦) نفس المصدر والجزء / ٦٥

(٧) نفس المصدر والجزء / ٧١

(٨) نفس المصدر والجزء / ٧٦

(٩) نفس المصدر والجزء / ٩١

آخر ذلك مما عرضه أثناء حديثه عن السرقات .

وتأتي مقارنة الأمدى ومفاضلته بين الأبيات التي أوردها ليستشهد بها على السرقات لايضاح قدرة الشاعر ، وهي وقفة نقدية سليمة عصب اليها الأمدى عند دراسته السرقات مبينا موقفه من ذلك ومفاضلا بين بيت وبيت ، فهو يذكّر السرقة ثم يوازن بين البيتين ، ليبين أيهما أفضل وأسلم . ويعطى بذلك حكما على الشاعر فان كان البيت المسروق خيرا من المسروق منه كان للشاعر العذر في السرقة ، أما ان كان البيت المتأخر أردى فهذا ما يتحمل الشاعر مسؤولية التقصير - وتعتبر هذه الموازنة هامة ، لان الأمدى رسم في منهجه النقدي في الموازنة أنه يوازن بين البيت والبيت أو القصيدة والقصيدة اذا اتفقتا في الوزن والقافية وهذا مخرج من مخارج النقد اعتمدها الأمدى في كتابه .

وبالاضافة الى ذلك فان دراسته للسرقات مثلا دليل يظهر به مكانة الشاعر النقدي ، ويحكم على انتاجه ويجعله مدخلا الى الموازنة بينه وبين الشاعر الاخر ، فاذا قلّت سرقة الشاعر كانت سببا في تقديره وتفضيله - وهكذا وكذلك الحال بالنسبة للا لفاظ والمعاني - فقد عرضها الأمدى في كتابه وقارن ووزن بين الشعراء في ذلك .

يقول :

قال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

قتلت رعا جلبها المدير فلم تقدر فاذا به قد صيرته قتيلا

أخذه الطائي فأحسن الأخذ :

(١) اذا اليد نالتها بوثر توقرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل

فهو يوازن بين المعنيين في البيتين ويهين أن الطائي أحسن في المعنى الذي أخذه .

(٢) وقد أشار الى أمثال ذلك في مواضع عدة من الكتاب .

وعلى الرغم من أن كتاب الموازنة الذي ألفه الآمدي - جعله للموازنة بين أبي تمام والبحتري ، إلا أنه عرض في كتابه أنواعا من الموازنة بين الشعراء الأقدمين - مع الشعراء المعنيين بالموازنة ، مبينا سبب المفاضلة أحيانا .

يقول عن اللحن الذي ظهر في شعر الشعراء ، مبينا أنه أيضا وقع في شعر الأقدمين " . . ما نعلمنا على أبي تمام اللحن وهو في شعره أكثر وأشنع ، فتنعوا مثله على البحتري ، لأن اللحن لا يكاد يمرى منه أحد من الشعراء المحدثين ، ولا سلم منه شاعر من شعراء الإسلاميين ، وقد جاء في أشعار المتقدمين ما علمتم من الاقواء وغير الاقواء ما لا يقوم العذر فيمنه إلا للتأويلات البعيدة . . " (٣) وهذا من الموازنة العامة على الشعر والشعراء .

(١) الموازنة ٦١ / ١

(٢) أنظر أمثلة لذلك في الموازنة ١ / ١٠٥ ، ٢ / ٩١ ، ٢ / ٩٧ ، ٢ / ١١٠ ، ٢٨ / ٨٦

(٣) الموازنة ٢٩ / ١

وقال الآمدى عن البيت التي وصف فيه أبو تمام الزجاجة ، وهو قوله :
 يخفى الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير اناء

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن العباس بن جريج الرومى يصف قدحا :
 تنفخ الممين فيه حتى تراها أخطأته من رقة المستشف
 كهواء بلا هباء مشوب بضياء أرقق بذاك وأصف
 وسط القدر لم يكبر لجرع متوال ولم يصفر لرشف
 لا عجول على العقول جهول بل حلیم عنهن في غير ضعف
 ما رأى الناظرون قدا وشكلا فارسا مثله على بطن كف

يقول الآمدى عن هذه الابيات موازنا بينها وبين بيت البحترى :
 " فالزجاجة اذا صفت ورقت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها ، فان اذا
 وقع فيها الشراب الرفيق اتصل الشماعان وامتزج الضياءان ، فلم تكد الزجاجة
 تتبين للناظر ، ولو صببنا دها أو عسلا أولبنا أو ماء كدرا فى اناء هـذه
 صفته فى الرقة لما خفى الاناء عن الناظر لان هذه الاشياء لاشماع لها ولا ضياء
 يتصل بشماع الاناء وضوئه .

ثم يستمر في موازنته قائلا : وقد سبقه الى هذا المعنى على بن جبلة فقال :
 كأن يد النديم تدیر منها شمعا لا تحيط عليه كاس^(١)
 ويقول فى قوله " ويروق السحاب قبل رعوده " .

فانه أقام الرعد مقام الغيث لانه مقدمة له ، وعلم من أعلامه ودليل مسن أقوى دلائله ، ألا ترى أن برق الخلب لا رعد معه ، فاذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف " ، وقد قال الأعشى :

والشعر يستنزل الكريم —————
استنزل رعد السحابة السَّـبـلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر .

وقال الكميـت :

وانت فى الشتوة الجماد اذا أخلف من أنجم رواعدها
واذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف " . (١)

ووازن بين بيت النابغة وأبي نواس :

اذا ارتعشت خاف الجبان رعائهما

ومن يتملق حيث علق يفــــرق

فجعل القرط يخاف ويفرق .

وهذا قريب من قول أبى نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلق

بل أبو نواس أعذر لان قوله " لتخافك " يريد لتكاد تخافك والشعراء تسقط
تكاد فى الشعر وهى تريد ها . (٢)

(١) الموازنة ٣٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٠ /

ومن طرق الموازنة عند الآمدى معرفة فضل الشاعر ان يرى الآمدى أنه
لا بد من معرفة ما للشاعر من الفضل ان درس شعره وأظهرت معانيه - يقول :
" فلم يكن أحد من متقدم ولا متأخر في خطئه ولا سهوه ولا غلظه بمجهول
الحق ولا مجهود الفضل بل عفى عندكم احسانه على اساءته وغطى تجويده على
تقصيره . . " (١)

ويقول :

" وقد سمعت أبا علي محمد بن العلاء السجستاني يقول : انه ليس له
(يعنى أبا تمام) معنى انفرد به واخترعه الا ثلاثة معان وهى قوله :
تأبى على التصريد الا نائلا الا يكن ماء قراها يمدق
نزرا كما استكرهت عائر نفحه من فأرة المسك التى لم تفتق

وقوله :

بنى مالك قد نهيت حامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
رواكد قيس الكف من متناول وفيها على لا ترتقي بالسلالم

وقوله :

واذا أراد الله شرف ضليحة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
ولست أرى الا مر على ما ذكره أبو علي ، هل أرى أن له - على كثرة ما أخذه من
أشعار الناس ومعانيهم - مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة ، وأنا أنكرها عند ذكر
محاسنه باذن الله " (٢)

(١) الموازنة ٥١ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ١٣٧ - ١٣٨

ونستطيع تقسيم الموازنة في كتابه الى أنواع حسب ما نرى منها :

الموازنة المطلقة

وهي التي يطلق فيها الآمدى الحكم على الشعر كله عندما يوازن بين شاعر وشاعر ، ولعله ينسبها الى النقاد - ولكنه منهج واضح في موازنته - يقول : " فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر ، يقولون : جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيد لم يضره ما يؤثر من رديئه " .^(١)

ويقول مشيرا الى رأى خصوم أبي تمام من النقاد :^(٢)
 " وهذا عندي أنا هو الصحيح ، لأنني نظرت في شعر أبي تمام والبحترى في سنة سبع عشرة وثمانئة ، وأخترت جيدهما وتلقت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الاوقات ، فما من مرة الا وأنا ألحق في اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما " .^(٣)

الموازنة بين بيت وبيت

وازن الآمدى بين بيت وبيت فقط مبينا أيهما الفضل شارحا السبب أحيانا وهو لا يلتزم بذلك في أن يوازن بين أبي تمام والبحترى فقط بل بين أحدهما وأي شاعر آخر . . مثال ذلك :

(١) الخوازنة ١ / ٥٤

(٢) انظر ذلك في نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء ٥٥ /

قال منصور النمرى في مدح الرشيد :

وعين محيط بالبرية طرفها سواً عليه قربها وسعيد ها

أخذه أبو تمام فقال :

أطل على كلى الآفاق حتى كأن الأرض في عيني دار
عجز هذا البيت حسن جداً - وبیت النمرى أحب إلى ، لأن معناه أشرح .^(١)

وقال المرار الفقعسى في وصف الاثافي :

أثر الوقود على جوانبها بخدودهن كأنه لطم

فأخذه أبو تمام فقال :

أثاف كالخدود لظمن حزننا ونؤى مثل ما انفصم السوار

أورد المعنى في مصراع ، وأتى في المصراع الثانى بمعنى آخر يليق به
فأجاد ، إلا أن بيت المرار أشرح وأظهر معنى ، لقوله : " أثر الوقود على جوانبها
فأبان المعنى الذى من أجله أشبهت الخدود الطومة ."^(٢)

وقال ابن الخياط في قصيدة يمدح بها المهدي - فأجازه جائزة فرقها

في الدار ، فبلغه فأضعف له الجائزة :

لمست بكفى كفه ابتغى الفنى ولم أدر أن الجود من كفه يمدى

(١) الموازنة ٦٧/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٦٨

أخذه أبو تمام فقال :

علمنى جودك السماح فـما أبقيت شيئاً لدى من صلتك
وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود .^(١)

" وقال مسلم بن الوليد في الحجاب ، فأخطأ في المعنى :

كذلك الفيث يرجى في تحجبه حتى يرى مسفراً عن وابل المطر

أخذه أبو تمام فقال :

ليس الحجاب بمقص منك لى أملا ان السما تـرجى حين تحتجب

الا أن لبيت أبي تمام وجهها من الصواب ، قد ذكرت في باب من هذا الكتاب
مع ما أخذ على مسلم بن الوليد في بيته من العيب .^(٢)

" وقال البحتري :

كوعول الهضاب رهن ومايمـ لكن الا صم الرماح قرونـا

وهذا من نادر المعاني ، وما أعرف مثله الا قول نصر بن الحجاج بن
علاط السلمي ولعله منه أخذه :

تـرى غابة الخطى فوق متونهم كما أشرفت فوق الصوار قرونـها^(٣)

" وقال البحتري :

ولست أعجب من عصيان قلبك لى عمدا اذا كان قلبى منك يعصينى

(١) الموازنة ٧٠ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة ، وانظر موازنات مشابهة فى ٧٣ / ١ ، ٧٢ / ١ ، ٨٤ / ١ ، ٨٦ / ١ ، ١٣٠ / ١ ، ١٣١ / ١ والا مثله كثيرة .

(٣) الموازنة ٣١٥ / ١

أخذه من قول الحسين بن الضحاك الخليع :
وتطمع أن يطيعك قلب سعدى وتزعم أن قلبك قد عصاكما * (١)

وقال أبو تمام :

وما نفع من قد مات بالاس صا د يا اذا ما سماء اليوم طال انهما رها

فقال البحتري وقصر :

واعلم بأن الغيث ليس بنا فاع للناس ما لم يأت في ابانسه (٢)

الموازنة بين المعاني دون تقيد بعدد الأبيات

وازن الآمدى بين أكثر من بيت بين شاعرين فى معنى واحد : من ذلك :
وليل كجلباب العروس أد رعته بأربعة والشخص فى العين واحد
أحمّ علافس ، وأبيض صبارم وأعبس مهرى ، وأروع ماجد

أخذه أبو تمام فقال وقصر وليس هو المعنى بعينه :

البيد والعيس والليل التمام معا ثلاثة أبدا يقرن فى قرن

والذى تبع ذا الرمة فأحسن الاتباع الوليد بن عبيد البحتري فى قوله :

يا خليلي بالسواجير من ود د بن معن وبحتري بن عتود
أطلبها ثالثا سوى فائسى رابع العيس والدجى والبيد (٣)

(١) الموازنة ٣١٦ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء / ٣٢٨ وانظر ٣٣٨

(٣) نفس المصدر والجزء / ٨٣-٨٤

" وقال الفرزدق يرثى امرأة كانت حاملا :

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أمهلت لياليا

أخذه أبو تمام فأجاد الاخذ وأحسن اللفظ وأصاب في التمثيل ، فقال (يرثى
ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر) :

لهفى على تلك المخايل فيهما لو أمهلت حتى تكون شمائل
ان الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا (١)

وقال مسلم بن الوليد :

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه أبو تمام وأساء الاخذ وتعسف اللفظ فقال :

أبدلت أرؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطى مدعما

أو أخذ المعنى جميعا من قول جرير :

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا : غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا* (٢)

الموازنة مع تفصيل طريقة الشعراء الاوائل

يقول الأمدى :

(١) الموازنة ٨٦/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨١/

وأنكر أبو العباس قول أبي تمام :
 رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه يكفيك ما ماريت في أنه بـيررد
 وقال هذا و الذي أضحك الناس منذ سمعوه و الى هذا الوقت . ولم يزد على
 هذا شيئاً .

والخطأ في هذا البيت ظاهر ، لأنني ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية
 ولا سلام وصف الحلم بالرقّة ، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ،
 ونحو ذلك كما قال النابغة :

وأعظم أحلاماً وأكثر سيّداً وأفضل مشفوعاً اليه وشافعاً

وكما قال الأخطل :

شمس المداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وكما قال أبو ذؤيب :

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب ذكي^(١)

ويقول :

وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

هذا
 ولم يذكر موضع العيب فيه ولا أراه علمه ، وأنا أنكره وألخصه فأقول : إن
 الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب وهو من أقبح ما وصف به النساء . . .^(٢)

(١) الموازنة ١ / ١٤٣ - ١٤٤ وانظر الى آخر ١٤٦ .

(٢) الموازنة ١ / ١٤٧

ويقول :

" ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهيف وطى الكشح ودقة الخصر
الا اذا ذكرت معه من الاعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والرى والغلظ ، على
ما عرفتك ، كما قال ذو الرمة :

عجزاء مكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب

وكما قال أيضا :

أناة تلوث المرط منها بدعصة ركام وتجتأب الوشاح فيقلق

وكما قال أيضا :

وفي الحاج منها والد ماليج والجرى

قنا مالى * للعين ريان عهم

ترى خلفها نصف قناة قويم

ونصفا نقا يرتج أو يتمر

وكما قال الشنفرى :

فدقت وجلت واسهكرت وأكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

أى دق منها ما ينبغى أن يدق ، وجل منها ما ينبغى أن يجل ، وهذا هو
كمال الوصف . (١)

الموازنة بين الشعراء في أغراض الشعر

وقد اهتم الآمدي بهذه الناحية اهتماما عندما وازن بين أبي تمام والبحتري^١ في اغراض عدة من فنون الشعر ، عارضا شعرا أبي تمام وشعر البحتري ، وقد عرض ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب ومن أمثلة ذلك :

" التسليم على الديار

قال أبو تمام :

د من ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الالمام

هذا المصراع الاول في غاية الجودة والبراعة والحسن والصحة والحلاوة، وعجز البيت أيضا جيد بالغ .^(١)

وقال البحتري :

هذي المعاهد من سعاد فسلم واسأل وان وجعت فلم تتكلم

وقال أيضا :

امحلتني سلمى بكازمة اسلما وتعلما أن الهوى ما هجتما

وهذا هو ابتداء ان جيدان .

وهذا أيضا :

حييتما من مرهم ومصيف كانا محلى زينب وصدوف
هذا ابتداء صالح .^(٢)

(١) الموازنة ١ / ٤٤١

(٢) نفس المصدر والجزء ٢ / ٤٤٢

فهو يوازن بين الابيات مبينا أنهما أجادا . ولا يقتصر على ذلك بل
بين ما قصرا فيه وأساءا - مبينا سبب الاساءة ، يقول :
قال أبو تمام :

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الايام والقسم
وهذا ابتداء ليس بالجيد ، لانه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ ، وانما
يحسن اذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله فى أشعار الناس ، والردى لا يؤتم
بسه . (١)

وقال البحتري :

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها نعم ونسألها عن بعض أهليها
وهذا بيت ردى ، لقوله " نعم " وليس بالمعنى اليها حاجة ، فجاء بها
حشوا ، ومن الحشور ما لا يقبح و " نعم " هنا قبيحة . (٢)
هذا فى التسليم على الديار . .
ووازن بينهما فى ابتداءاتهما فى ذكر تعقبة الدهور والازمان للديار
يقول :

قال أبو تمام :
لقد أخذت من دار ماوية الحُقبُ أنحلَّ المفاني لليلى هي أم نهب

(١) الموازنة ١ / ٤٤١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

وقال :

قد نابت الجزع من أروية النوب واستحقت جدّة من ريعها الحقب

وقال البحترى :

أرسوم دار أم سطور كتاب درست بشاشتها على الاحقاب^(١)

ولا يذكر الآمدى مفاغلة بينهما ولكنه يكتفى بعرض الابيات - وتحليل
الفاظها ومعانيها فقط^(٢) ، دون بيان أيهما أجود أو أنهما اشتركا في
الاساءة أو في الاحسان .

وقد نهج الآمدى هذا النهج - أو زاد عليه كأن يذكر أن ذلك ابتداء
جيد أو ابتداء ردى في مواضع كثيرة من الكتاب^(٣) .

ويقول الآمدى بعد أن عرض أبياتا للشاعرين في سؤال الديار واستعجابها
عن الجواب :

" فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات في الباب وليس لهما فيه بيت
بارع ، والجيد فيه للبحترى قوله :

" لا دمنة بلوى خبت ولا طلل "

وقوله : " عست د من بالابرقين خوالسى "

(١) الموازنة ٤٤٥ / ١ - ٤٤٦

(٢) انظر فلك في الموازنة ٤٤٥ / ١ - ٤٤٦

(٣) انظر مثالا على ذلك ٤٤٧ / ١ وما بعدها .

والجيد لأبي تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين
والطف . وبيتا البحترى أجود لفظا ، وأصح سبكا ، فاجعلهما في هذا الباب
متكافئين .^(١)

وهذا من الموازنة الجيدة في منهج الآمدي . . حيث وازن بين بيتي
أبي تمام :

الدار ناطقة وليست تنطق	لد ثورها أن الجديد سيخلق
وأبي المنازل أنها لشجون	وعلى العجومة أنها لتبين ^(٢)

وبين بيتي البحترى وهما :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل	ترد قولا على ذي لوعة يسئل
عست د من بالابرقتين خوالسى	ترد سلامى أوتجيب سؤالى ^(٣)

وقد نجد الآمدي في موضع آخر يعطى حكما عاما في المفاضلة دون تفصيل
فقد عرض أبياتا لأبي تمام وأخرى للبحترى " فيما يخلف الطاعنين من الديار من
الوحش وما يقارب معناه " ثم أعطى حكما في نهايتها ، وتلك الابيات هي :

" قال أبو تمام :

١ - أطلالهم سلبت دماها الهيفا	واستبدلت وحشا بهن عكوفنا
٢ - أطلال هند ساء ما اعتضت من هند	أقايضت حور العين بالعين والرشد

(١) الموازنة ٤٥٩/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٥٥

(٣) نفس المصدر والجزء ٤٥٦، ٤٥٩

٣ - أرامه كنت مألّف كل ريسم لو استمتعت بالانس القد يسّم

وقال البحتري :

- ١ - ربح خلا من بدره مغمناه ورعت به عين المها الاشباه
- ٢ - عهدى بربك مأنوسا ملا عبه أشباه آرامه حسنا كواعبسه
- ٣ - عهدى بربك مثلا آرامسه يجلى بضوء خدود هني ظلامه
- ٤ - أرى بين ملتف الاراك منازل موائل لو كانت مهاها موائل

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو ، والبحتري في أبياته أشعر من أبي تمام في أبياته " . (١)

وقد ذكر الامدى شعرهما فيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى في الواقفين بها ، وذكر رأيه في كل بيت - ثم وازن بينهما في النهاية والابيات هي :

" قال أبو تمام :

أقشيب ربهم أراك دريسا وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا
وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

وقال البحتري :

مغانى سليبي بالعقيق ودورها أجد الشحى اخلاقها ودورها
وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته .

(١) أنظر الابيات ومفاغلة الامدى في الموازنة ١ / ٤٦٠ - ٤٦١

وقال أيضا :

لعمري المغاني يوم صحراء أرشد لقد هيجت وجداعلى ندى توجّد

وقال أيضا :

ما جوّ خبت وان نأت ظمّته تاركنا أو تشوقنا دمنّـه

وقال أيضا :

كلما شاءت الرسوم المحيلـه هيجت من مشوق صدر غليلـه
وهذه كلها ابتدئات جياذ ، وهى مع بيت أبى تمام متكافئة .^(١)

ثم ذكر شعرهما في الدعاء للدار بالسقيا ، وذكر أبياتا خمسة لأبى تمام^(٢)
وعلق عليها مبينا جيدها من رديئها ، وأبياتا سبعة للبحترى^(٣) مبينا وجهـة
نظره النقدية فيها وجعلها جيدة المعنى بارة اللفظ ، ثم وزن بـيـن
الشاعرين في ذلك . قائلا : فهذا ابتداء^(٤) به من الدعاء للدار بالسقيا وهما
عندى متكافئان .^(٥)

ثم ذكر شعرهما في لوم الاصحاب في الوقوف على الديار^(٥) . وبين موقفـه
النقدى من كل بيت للشاعر مبينا مواطن الحسن والجودة أو الرداءة .

(١) الموازنة ١ / ٦٦٢

(٢) نفس المصدر والجزء / ٦٣ - ٦٤

(٣) نفس المصدر والجزء / ٦٥ - ٦٧

(٤) نفس المصدر والجزء / ٦٥ - ٦٦

(٥) نفس المصدر والجزء / ٦٧ - ٦٩

وقد نفى عن أبي تمام تمام الابتداء الصالح في لوم الاصحاب " وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الاصحاب في غير هذين البيتين " وهما :

- ١ - أراك أكبرت اد ماني على الدّ من وحملى الشوق من باد ومكتمن
- ٢ - ما عهدنا كذا نحيب المشوق كيف والد مع آية المعشوق (١)

وقال : " فأما البحترى فأنه تصرف فيه في ابتداءات جيايد حسان بارعة حلوة " وذكر له سبعة أبيات في ذلك :

- ١ - قيم ابتد اركم الملام ولوعسا أبكيت الا دمنة وربوعسا
- ٢ - خذا من بكائي في المنازل أودعا وروحا على لومي بهن أو اربعا
- ٣ - ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا مقصرا من ملامتي أو مطيلا
- ٤ - أخرى الخطوب بأن يكون عظيما قول الجهول : ألا تكون حلينا
- ٥ - ما أنت للكف المشوق بصاحب فاذ هب علي مهل فليس يذاهب
- ٦ - في غير شأنك بكرتي وأصيلسى وسوى سبيلك فى السلو سبيلسى
- ٧ - بعض هذا العتاب والتفنييد ليس ذمّ الوفاء بالمحمود " (٢)

ثم ذكر شعرهما في تأنيب العذال في غير الوقوف على الديار (٣) ، مفضلا البحترى على أبي تمام بقوله " وقد تصرف البحترى في هذا الباب أحسن تصرف وأبلغه وأعجبه " (٤) وقوله " ولا خفاء بفضل البحترى على أبي تمام في هذا الباب " (٥)

(١) الموازنة ١ / ٦٧ ٤

(٢) نفس المصدر والجزء / ٦٧-٤٦٩

(٣) نفس المصدر والجزء / ٦٩-٤٧٣

(٤) نفس المصدر والجزء / ٧١

(٥) نفس المصدر والجزء / ٧٣

ووازن بينهما في شعرهما في أوصاف الديار والبكاء عليها فلا يوازن بسين
أبيات أبي تمام والبحترى لأنهما ليسا في معنى واحد ولكنه يذكر ما خالف فيه
البحترى أبا تمام ، يقول :

قال أبو تمام :

وَكُفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدًا	طَلَلُ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا
يَمْنًا لَدَى آرَامِهَا وَحَقُّودًا	بِمَنْ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِبًا
وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدِّمَعِ فِيكَ بَعِيدًا	قَرَبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى
وَطَنًا سَرَى قَلَقِ الْمَحَلِّ طَرِيدًا	خَضَلًا إِذَا الْعِبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا

وقال :

دَمْعٌ عَلَى وَطَنِ لِي فِي سَوَى وَطَنِي	فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَحْشَاءِ أَبْرَدُ مِنْ
---	---

وقال :

فَلَا تَكْفَنَ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا	أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَزْكَرَنَّ مَا سَلَفَا
لِلدَّمْعِ بَعْدَ مَضَى الْحَيِّ أَنْ يَقْفَا	لَا عُدْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يَقْنِيَ السَّلْوَ وَلَا
فِي الرَّبْعِ حَسَبُ مَنْ عَيْنِيهِ قَدْ رَعَفَا (١)	حَتَّى يَظْلَ بِمَاءِ سَافِحٍ وَ د م

يقول بعد هذه الابيات :

" ولا أعلم البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذي قبله
في وصف الدمع ، ولكنه يمتدز مرة بقلته دمع ، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بفخره ، وفي
كل ذلك يحسن ويجيد " .

(١) الموازنة ١ / ٤٧٤ - ٤٧٥ وقد رعا - أصابه العراف

فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها :
 فِيمَ ابْتَدَأَ رُكْمَ الْمَلَامِ وَلَوْعَا أَبْكَيْتِ إِلَّا دُمْنَةً وَرُبُوعَا
 يَادَارُغِيرَهَا الزَّمَانُ وَفَرَقَتْ عَنْهَا الْحَوَادِثُ شَمْلَهَا الْمَجْمُوعَا
 لَوْ كَانَ لِي دَمْعٌ يَحْسَنُ لَوْعَتِي خَلَيْتُهُ فِي عَرَصَتِكَ خَلِيفَا
 لَا تَخْطُبِي دَمْعِي إِلَيَّ فَلَمْ يَدَعْ فِي مَقَلَّتِي جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا (١)

وذكر شعرهما في وصف الاطلال وآثارها . . وذكر أبياتا لأبي تمام وأبياتا
 للبحتري ولكنه لم يفاضل بينهما ولم يبين أيهما أشعر ، بل عرض أبياتا كثيرة لعدة
 شعراء من القدامى - وقال في آخر ذلك " وهذا كله أحلى وألطف معانسي
 وألوط بالنفس من كل ما قال الطائيان " (٢)

وذكر شعرهما في محو الريح للديار (٣) ، وذكر معه شعرا لغيرهما (٤)
 ثم فضل البحتري مطلقا - وذكر أبياته التي فضل بها . يقول : " وصما لا مزيد عليه
 ولا غاية لحسنه وبراعته ولطف معناه قوله :

أَصْبَا الْأَصَائِلَ إِنْ بَرَقَ مَنَشِدٌ تَشَكُّوا خِثْلًا فَكَ بِالْهَيُوبِ السَّرْمِدِ
 لَا تَتَعَبِي عَرَصَاتِهَا إِنْ الْهَوَى مَلَقَى عَلَى تِلْكَ الرِّسُومِ الْهَمْدِ
 دَمْنٌ مَوَائِلُ كَالنَّجُومِ فَإِنْ عَفَتْ فَبِأَيِّ نَجْمٍ فِي الصَّبَابَةِ تَهْتَدِي

(١) الموازنة ٤٧٦/١ وانظر الى نهاية ٤٨٢

(٢) نفس المصدر والجزء / ٤٨٣-٤٩١

(٣) نفس المصدر والجزء / ٤٩٢

(٤) نفس المصدر والجزء / ٤٩٧

وقد قرأت شعرا كثيرا ، فى وصف الرياح وتعفيتها للدار ، لشعراء الجاهلية
والاسلام ، فما سمعت بأحسن من هذا ، ولا اعرف ولا أبداع . (١)

ثم ذكر شعرهما فى سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليهما
أيضا ، وجعل الموازنة بين الشاعرين فى هذا الباب مبنية على طريقة أخرى
من طرقه فى الموازنة وهى اتباعهما أو خروجهما على التقليد المعروف لدى الشعراء
فى هذا الغرض يقول :

” قال أبو تمام :
مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَا تُجِيبُنَا
فَصَوَابٌ مِنْ مَقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَنَا
فَسَأَلْنَهَا وَاجْعَلْ بِكَ أَجْوَابَنَا
تَحِدِ الشُّوقَ سَائِلًا وَمَجِيبًا ”

يقول :

” وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذهب أبي تمام ، ليس على مذهب الشعراء
ولا طريقتهم ومثله قوله :

تَجَرَّعَ أَسَىً قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَعَ الْفَرْدُ وَدَعَّ حَسِيَّ عَيْنٍ يَجْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ
إِنْ أَنْصَرَفَ الْمَحْزُونُ قَدْ قَلَّ صَبْرُهُ سَأَلَ الْمَغَانِي فَاَلْبَكَاءُ لَهُ رَدُّ (٢)

ثم يوازن بين هذا وبين شعر البحترى فى هذا الباب ، فيقول :
” ولم يسلك البحترى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذهب الناس
فقال :

(١) الموازنة ١ / ٩٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٩٩ / ٥٠٠ وفلَّ صبره : ذهب صبره .

وَقَفْنَا عَلَى ذَاتِ التَّخِيلَةِ فَانْجَبَتْ سَوَاكِبُ قَدْ كَانَتْ بِهَا الْعَيْنُ تَبْخُلُ
عَلَى دَارِسِ الْآيَاتِ عَافِيَتَا قَبَلَتْ عَلَيْهِ صَبًا مَا تَسْتَفِيقُ وَشِمَالُ
فَلَمْ يَدِرْ رَسْمَ الدَّارِ كَيْفَ يُجَيِّنَا وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ^(١)

ويقول الآمدى معطيا حكمه فى الموازنة بينهما :
" وقول أبى تمام وان كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة
وأحلى فى النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء " .^(٢)

ثم يذكر أبياتا لهما فى هذا الباب^(٣) ويختتم بالحكم قائلا :
" فأبو تمام فى هذا عندى أشعر من البحتري " .^(٤)

وذكر شعرهما فى وصف الديار وساكنيها^(٥) وقد جعل موازنته خاضعة هنا
للاغراض وليس للمعاني ، وبين وجهة نظره النقدية فى ذلك : يقول : " وليس تكساد
فى القطعة التى تشتمل على عدة أبيات ، أن تكون سائر أبياتها موافقة فى معانيها
لسائر أبيات القطعة الاخرى ، وإنما يوازن بين بيت وبيت اذا اتفقا أو بين غرض
وغرض اذا تقاربا ، وأغراض هذا الباب هى من جنس واحد وان اختلفت المعانى " .^(٦)

-
- (١) الموازنة ١ / ٥٠٠
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) نفس المصدر والجزء / ٥٠٠ - ٥٠١
(٤) نفس المصدر والجزء / ٥٠١
(٥) نفس المصدر والجزء / ٥٠٩ وما بعدها
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة

ثم يعرض الآمدي أبياتاً لأبي تمام ويناقش معانيها مبينا الجيد والردى
ثم أبياتاً للبحتري معلقا عليها ، ثم يوازن بين الابيات موازنة تبين وجهــــة
نظره التى وازن بينها . يقول :

” قال أبو تمام :
 قد عهدنا الرسوم وهى عكاظُ
 أكثرُ الارض زائرا ومــــزورا
 وكعابا كأنما ألبستهمــــا
 بينَ البينِ فقدَها ، قلّما تعبُ
 للصبا تزدِ هيكَ حسنا وطيبا
 وصعودا من الهوى وصبويا
 غفلاتُ الشبابِ بردا قشيبا
 عرفَ فقدنا للشمسِ حتى تغيبا

وقال البحتري :
 رحل الظاعنون عنك وأبقوا
 أين تلكَ الظباءُ أشبهن فى الحد
 قد وجدن السلو بردا سلاما
 فى حواشي الأحشاء حزنا مقيما
 سن بدورا وفى اليعادِ نجوما
 ان وجدنا الهوى عذابا أليما

وهذا كلام حلو ، وغرض حسن .

وقوله : ” أشبهن فى الحسن بدورا وفى اليعادِ نجوما ” أجود وألطف من
 قول أبي تمام : ” قلّما تعرف فقدنا للشمس حتى تغيبا ” لانه جمع البدر والنجوم
 فى بيت ، وجعل التشبيه بمعنيين مختلفين ، وأيضا فان أبا تمام لم يصف المرأة
 فى بيته بالحسن ، والبين من أوصاف النساء ، ولا يقول مثله عاشق ، وانما يوصف
 بمثله صديق أو حميم ، فيقال : قد بان على فقدّه لما غاب ، أو يكون وصفا لملك
 أو سيد فيقال : غاب فغاب عنا فضله ونائله ، وبعد فبعد عنا خيره ومعروفه ،

(١) فى الموازنة (البيت) وهو خطأ وصحته (البين) ليستقيم المعنى .

أَشَقِيقَةُ الْعَلَمِينَ هَلْ مِنْ نَظْـسَرَةٍ فَتَبَلَّ قَلْبًا لِلْغَلِيلِ شَقِيقًا
وَسَمْتِكَ أَوْدِيَّةُ السَّمَاءِ بِدَيْمِهِ تَحْيَى رَجَاءً أَوْ تَرَدَّ عَشِيقًا
وَلَعَنَ تَنَاوُلَ مِنْ بِشَاشَتِكَ الرَّدَى طَرَفًا وَأَوْحَشَ أَنْسَكَ الْمَوْمُوقَا
فَلَرَبَ يَوْمٍ قَدْ غَنِينَا نَجْتَلِسِي مَغْنَاكَ بِالرَّشَاءِ الْإِنِيقِ أَنْيَقَا
عَلَّ الْبَخِيلَةَ أَنْ تَجُودَ بِهَا النَّوَى وَالِدَارَ تَجْمَعُ شَائِقًا وَمَشُوقَا

يقول الآمدى :

قوله : " لو كان العقيق عقيقا " كما عهدت وهذا مثل قول أبى تمام " ولا الديار " .

وبيت البحتري أجود ، لان صدره أحسن معنى من قول أبى تمام : " لا أنت أنت " . (١)

وهنا نجد الآمدى قد حلل الأبيات الأولى لآبى تمام تحليلًا وافيا شارحا لها ومبينًا مواطن الضعف فيها ، وشرح أبيات البحتري ، وختم بأن البحتري ذهب إلى قول جرير :

أَلَا أَيْهَا الْوَادِى الَّذِى ضَمَّ سَيْلَهُ أَلَيْسَ نَوَى ظُمِيَاءَ حَيِّتِ وَادِيَا
وقال : وهذا من حر الشعر ، ورصين المعانى " . (٢)

(١) الموازنة ١/٥١١، ٥١٢

(٢) انظر ذلك وميت جرير فى الموازنة ١/٥١٤

ثم يعرض الآمدى أبياتا لأبى تمام ويعلق عليها شارحا وناقدا ^(١) ولكنه
لا يوازن بينه وبين البحترى الا فى بيتين منها وهى :
" وعهدى بها ان ناقض العهد بدىرها
مراح الهوى فيها ومسرحه الخصب
موزرة من صنعة الويل والنسدى
بوشى ولا وشى وعصب ولا عصب (٢)

يقول فى ذلك موازنا :
" . . . وهذه كلها معان حسنة متقنة وألغاز بارعة فصيحة ^(٣) الا البيتين
الاولين ، فان فيهما اضطرابا والبدر أيضا ليس هذا موضعه وانما يحسن ذكر
البدر فى مثل هذا ، اذا كان فى الكلام ذكر لسماء أو نجوم أو ليل ، ولو قال
" ان ناقض العهد ريمها " كان أشبه وأليق .

وقال البحترى فى مثل هذا ، ولكنه فيه أعذر من أبى تمام وذلك قوله :
ريح خلا من بدره مغناهاه رحت به عين المهى الاشباه
أراد أن ريع المرأة خلا منها ، وخلفتها العين التى هى أشباه يشبه بعضها
بعضا ، وباعد المرأة من شبهها فجعلها بدرا ، أى أخلى الريح من هو كالبد ر
وخلفته العين ، كأنه يخس أمرها ، كما يقال : انظروا من بقى ومن مضى . فاحتاج
البحترى الى ذكر البدر أكثر من حاجة أبى تمام اليه فى قوله " وعهدى بهـ
ان ناقض العهد بدرها " .

(١) الموازنة ١ / ٤٥
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) يعنى الابيات الأخرى - غير هذين البيتين الاولين .

وأحسن من هذا وأجود لفظا ومعنى قول البحتري أيضا :
وتهدى بها من قبل أن يحكم النوى على عينها ألا تدم عهد هـا
بعيدة ما بين المحبين والجوى ومجموعة غيد الليالى وغيد هـا
قوله : ومجموعة غيد الليالى وغيد هـا " لفظ ومعنى ما لحسنهما نهاية .
وانما أخذ المعنى من قول أبى تمام :
كواعب زارت في ليل قصيرة يخيلن لى من حسنهن كواعبا
وبيت البحتري أجود لفظا ، وأحلى سبكا " (١)

وقد وازن بينهما فى بعض المعانى فأورد أبياتا لأبى تمام وهى قوله :
" وقال أبو تمام :

أزعمت أن الربيع ليس يتـــميم	والدمع فى د من عفت لا يسجم
ياموسم اللذات غالتك النسوى	بمدى فربحك للصبابة مو سم
ولقد أراك من الكواعب كاسبها	فاليوم أنت من الكواعب محرم
لحظت بشاشتك الحوادث لحظة	مازلت أعلم أنها لا تسلم (٢)

يقول الأمدى :

" وهذا كله جيد ، ويأتى بمد هذه الابيات ما هو جيد نادر ، وردى ساقط
وقد ذكرت ذلك فى باب العزاء فى أوصاف النساء .

(١) الموازنة ٥١٢/١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

وقوله " أزعمت أن الدمع ليس يتيماً " معنى حسن وقد أورد به البحتري أحسن من هذا الأيراد والطف ، فقال وهو من احسانه المشهور :

لقينا المغاني باللوى فكأنما	لقينا الغواني الانسات عواطلا
وقتل المحبين العيون ولم أكن	أظن الرسوم الدارسات قواتلا
هواجر شوق لوتشاء يد النسوى	لجاد تبمن تهوى فعادت أصائلا
ومذ هب حب لم أجد عنه مذ هبا	وشاغل بث لم أجد عنه شاغلا

وهذا الذى طلبته الشعراء ، فأعجزها ادراكه . (١)

وهذا القول يفضل به الآمدى البحتري على جميع الشعراء فى هذا المعنى .
" وقال أبو تمام :

طلل وقت عليه أسأله السى	أن كاد يصبح ربه لى مسجدا
وظللت أنشده وأنشد أهله	والحزن خدنى ناشداً ومنشدا
سقى لمعهدك الذى لولم يكن	ما كان قلبى للصبا به معهدا

وهذه أبيات لا حلاوة لها ولا طلاوة عليها ولكن الحلوى العذب على هذا

الوزن قول البحتري :

عهدى برىءك للغواني معهدا	نضبت بشاشة أنسه فتأبدا
بخلت جفون لم تعرك دموعها	وقسا فؤاد لم يبيت بك مقصدا
ما حاج لى نوح الحمام وما دعا	من صبوتى وصبا بتى ان غردا (٢)

(١) الموازنة ١ / ٥١٢

(٢) نفس المصدر والجزء ٤ / ٥١٨

فهذه الموازنة تتعلق بالحلاوة والرونق وتجعل الوزن أساسا . . . وقد يوازن الآمدى بين الشاعرين ، مطلقا المفاضلة ، فهو مثلا يورد أبياتا عدة لأبى تمام من قصائد متفرقة فى هذا الباب ، ثم يوازن بينه وبين البحترى قائلا :

" ومن جيد هذا الباب ونادره قول البحترى :

نعم قد تشاكينا على الشعب ساعة ومن دونه شعب لليلى مفرق (١)
الى آخر الابيات

فقد اكتفى الآمدى بالاشارة الى أن أبيات البحترى هى من الجيد النادر فى هذا الباب التى ذكر منه عدة أبيات من قصائد متفرقة لأبى تمام ، ولم يوازن بين الأبيات بالتفصيل كما فعل في مواطن متقدمة .

وقد ختم الآمدى الموازنة بينهما فى هذا الباب بقوله :
" وأقول الان فى الموازنة بينهما أن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحترى فى هذا الباب ، ويقولون ان أبا تمام استقصى الوصف في نعوت النساء وأحسن وأجاد .

وقد كان ذلك لعمري مع ما فيه من الاساءات والالفاظ الرديئة التى ذكرتها .

والمطبعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعانى

والاغراق فى الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم فى الالمام بالمعانى ، وأخذ
العفو منها كما كانت الاوائل تفعل ، مع جودة السبك ، وقرب المأتى .

والقول فى هذا قولهم ، واليه أذهب ، الا أنى أجعلهما فى هذا الباب
متكافئين ، لكثرة احسان أبى تمام فيه .^(١)

وذكر شعرهما فى الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات ، فذكر أبياتا
لأبى تمام وأبياتا للبحتري - وقد اكتفى فى هذا الباب بتحليل الابيات وشرح
معانيها - وذكر الجيد لكل منهما دون أن يفاضل بينهما بل يكتفى بالاشارة
الى الجيد فى ذلك كقوله مشيرا الى عدة أبيات لهما ، " وهذا كله جيد حسن
لفظه ومعناه " ^(٢) وقوله عن جملة أبيات للبحتري : " وهذا أيضا حلو حسن
لفظه ومعناه " . ^(٣) وعن جملة أبيات للبحتري أيضا " وهذا معنى فى غاية اللطافة
والحسن وكثرة الماء " ^(٤) وعن أبيات له أخرى " وهذا جيد بالغ لفظه وسبكه
ومعناه " ^(٥) وعن أبيات له أخرى " وهذا لا مزيد على براعة لفظه وجودة سبكه
وكثرة مائه " .^(٦)

ويقول متعرضا للاغراض عن أبيات للبحتري :

أدارهم الاولى بداره جلجل سقاك الحيا روحاته هواكـره
وجاءك يحكى يوسف بن محمد فروتك رياه وجادك ماطره

-
- (١) الموازنة ١ / ٥٢٤ ، ٥٢٥
(٢) نفس المصدر والجزء / ٥٢٧
(٣) نفس المصدر والجزء / ٥٢٨
(٤) نفس المصدر والجزء / ٥٣٠
(٥) نفس المصدر والجزء / ٥٣١
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة

وهذا أحسن ما يكون من المدح ، ويسمى الاستطراد ، وقد ذكر أباسعيد
محمد بن يوسف في غير موضع ، على هذا المعنى ونحوه ، يتسبب الى مدحه فسى
مدائح غيره . (١)

وقد يهتم بذكر الجيد في المعنى الواحد يقول : وقوله " يتكافى ابيضاضه
واحمراره " ما لحسنه نهاية . (٢)

وذكر شعرهما في ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها :
ونجد الآمدى في هذا أتى بطريقة في الموازنة - لا يوازن فيها بين الأبيات
بالتحليل وبيان مواطن التفضيل كما فعل في أبيات سابقة ، وانما يذكر أبياتا
لأبى تمام يخاطب الريح :

قد كنت معهوداً بأحسن ساكن	ثاو فأحسن دمنة ورسوم
أيام للأيام فيك غصارة	والدهر فيّ وفيك غير مليم
وظباء أنسك لم تبدل منهم	بظباء وهشك ظاعنا بمقيم
من كل ريم لو تهذل قطعت	أحافظ مقلته فؤاد الريم (٣)

ثم يقول :

"والصحيح المستقيم قول البحترى :

يامفانى الاحبابصرت رسوما
وغدا الدهر فيك عندى ملوما (٤)

وهذا من الموازنة بين المعانى .

-
- (١) الموازنة ٥٣١ / ١
(٢) انظر في ذلك الموازنة ٥٢٧ / ١
(٣) الموازنة ٥٣٤ / ١
(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

ثم ذكر شعرهما في هذا الباب مبينا مواضع الحسن والاساءة - دون تفضيل أحدهما على الآخر ، وانما يفاضل في نهايته بينهما مجتمعين - وبين شعرا آخرين . يقول : " وأجود من هذا ومن جميع ما قاله الطائيان في هذا الباب وأبرع لفظا وألطف معنى ما أنشده ابراهيم الموصلي :

وما يستفيق القلب الا انبرى له	توهم ضيف من سعاد ومربع
أخادع من عرفانها العين أنه	متى تعرف الا طلال عيني تدمع
عهدت بها وحشا عليها براقع	وهذى وحوش أصبحت لم تبرقع
تشابه في اجيادها وعيونها	ولم يثفق أشباه سموق وأذرع ^(١)

ويكتفي بذلك في موازنته بينهما في هذا الباب .

ثم ذكر شعرهما في الوقوف على الديار وفي تعنيف الاصحاب اياهما على ذلك ، واهتم الأمدى في هذا الباب اهتماما كبيرا وظاهرا بتحليل الابيات للشاعرين وبيان معانيهما وبيان مواطن الأجادة ومواطن الاساءة وربط بين شعرهما في ذلك وبين شعر الاقدمين - ويظهر ذلك كله خلال عرضه أشعارهما في هذا الباب - الا أننا لا نكاد نجد موازنة صريحة ظاهرة بين الشاعرين الا بشكل عام لا تفصيل فيه ولا بيان لمواطن الاحسان التي فاق بهما أحدهما الآخر . ومن موازنته العامة :

" قال أبو تمام :

فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم فرط الصباة مسعد وحزين
لا تمنعنى وقفة أشفى بها داء الفراق فأنها ما عـون
واسق الأثافي من دموعك ربيها ان الضنين بد معه لـضنين^(١)

يقول الامدى

" والقريب من الصواب قول البحترى :

هل مغرم يعطى الهوى حق الجسوى
منكم فينفد د معه أو مسعد^(٢)

وقال البحترى :

وما انفك رسم الدار حتى تهللت د موعى وحتى أكثر اللوم صاحبى
وقفنا فلا لال ردات اجابة ولا المذل أجدى فى المشوق المخا^{طب}
تمادت عقابيل الهوى وتطاولت لجااجة معتوب عليه وعاتـب

وهذا معنى حسن ، ولغظ له ماء ورونق ، وهو أجود وأسلم من قول
أبى تمام :

وما صار يوم الدار عندك كله عدوى حتى صار جهلك صاحبى^(٣)

ثم ذكر شعرهما فى ترك البكاء على الديار والنهى عنه

وقد نهج طريقته فى الباب السابق - واهتم بالتحليل وبيان المعانى
وناقش ذلك دون بيان للمفاضلة بينهما أو الإشارة اليها - واستشهد أثناء تحليله
بأشعار المتقدمين .

-
- (١) الموازنة ١ / ٥٤١
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) نفس المصدر والجزء / ٥٥٨

ولعل الأمدى هنا يكتفى بذكر مواطن الجودة والرداءة وتحليل المعانسي
ليبين ضمناً مقدرة كل منهما ويرصد له الحسنات وعليه المآخذ .

ثم ذكر شعرهما في ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء علي
الظاعنين :

وقد رسم الأمدى للموازنة في هذا الباب منهاجاً اهتم فيه بافتتاح الباب بما
جاء عنهما من الابتداءات في هذا المعنى ، وبوبها أبواباً ، وذلك لتصح الموازنة
كما يقول .

وبدأ يذكر ابتداءاتهما في ذلك ووازن بينهما - وانتهج طريقة الموازنة
هنا دون تحليل أو تعليل أو ذكر لنسب المفاضلة كما فعل في بعض الأبواب
المتقدمة ، يقول :

" قال أبو تمام :

يابعد غاية دم العين ان بعدوا

هي الصباهة طول الدهر والكمد

هذا أجود ابتداءاته في هذا المعنى ، وأبلغها .

وأجود منه وأحلى قول البحترى :

قلب مشوق عناء البث والكمد ومقلّة تهذل الدم الذي تجد " (١)

وقد يذكر الابيات للشاعرين ولكنه لا يبين أيهما أشعر في ذلك بل يكتفي
بعرض الابيات ، وعرض رأيه فيها . يقول :
" وقال أبو تمام :

هي فرقة من صاحب لك ما جد ففدا اذابة كل د مع جامد
وهذا ابتداء جيد .

وقال البحتري :
رحلوا فأية عبرة لم تسكسب أسفا وأى عزيمة لم تغلب
وهذا أيضا ابتداء جيد حسن . (١)

ثم يذكر الآمدى عدة أبيات للبحتري في هذا المعنى ويعلق عليها قائلا
" وهذه كلها ابتداءات جيدة عذبة شبيهة " . (٢)

ويذكر له بيتا آخر وهو قوله :
دع د موعى في ذلك الاشتياق تتناجى بذكر يوم الغسق

ثم يقول :
" وهذا بيت ردى " قد عابه ابن المعتز وقال : ما أقبح قوله : " فسى
ذلك الاشتياق - وهي لعمري قبيحة لا أعرف له مثله " . (٣)

(١) الموازنة ٦ / ٢

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

ثم يذكر الآمدى حسن ابتداءات أبي تمام - في البكاء على النساء المفارقات ويحللها ، ويبين مواضع الجودة والرداءة فيها ، ويشير الى بعض أبيات المتقدمين في هذا المعنى - ولكنه لا يذكر شيئاً للبحتري ولا يوازن بين الشاعرين .^(١) ثم يذكر ابتداءاتهما من باب الفراق في معان شتى في جملة أبيات لأبي تمام متتالية في البداية ويحللها ويوضح معانيها ويبين الجيد من الواضح ، من الصالح من الابتداءات^(٢) ، ثم يذكر طائفة من ابتداءات البحتري بعد ذلك ولكنه لا يحللها جميعاً بل يكتفى في نهاية مجموعة منها بقوله " وهذه كلها ابتداءات جياذ حسان مختارة المعاني " .^(٣)

(٤)
ثم يذكر طائفة أخرى للبحتري ، ولكنه يحللها ويعلق عليها تعليقا جيدا دون أن يوازن بينهما .

ثم يوازن في أبيات أخرى بينهما ولكنها موازنة من ضرب جديد ، فهو يذكر أبياتا للبحتري في هذا المعنى ، ثم يقارن بينه وبين أبي تمام : يقول :
" قال البحتري :

ماكفى موقف التفرق حـتى	عاد بالبت موقف الاجتماع
اعناق اللقاء أثلّم فى الاحـ	شاء والقلب ، أم عناق السوداع؟

وقال أيضا :

-
- (١) الموازنة ٢ / ٩-٧
(٢) نفس المصدر والجزء / ١٠-١٢
(٣) نفس المصدر والجزء / ١٤
(٤) نفس المصدر والجزء / ١٥-١٦

لم يكن يومنا طويلا بنعمنا ن ولكن كان البكاء طويلا
وانما ذهب أبو تمام في معنى طول يوم الفراق الى ما يعهده النسب
ويتعارفونه من أن وقت البؤس ، وزمان المحنة أبدا - طويل . ولعله ما كان
سهجورا قبل يوم الفراق ، ولا كانت حاله حال التي وصفها البحتري
ثم ذكر شعرهما في البكاء على الظاعنين - وقد وزن بينهما في بعض
شعرهما ، وبين أن المفاضلة هنا كانت صادرة من الناس - ولعله يعني بهم
أهل العلم بالشعر والنقاد .

يقول :

" وقال (أبو تمام) أيضا فأحسن كل الاحسان :
رد الجموح الصعب أسير مطلبها من رد دمع قد أصاب مسيلا
وقال البحتري في هذا ضد هذا المعنى .
وقفنا والصيون مشغلات يغالب دمعها نظر كليلا
نهته رقبة الواشين حيتي تعلق لا يغيض ولا يسيلا
والناس لبيت البحتري - ونحو مذهبه فيه - أشد استحسانا لكثرة
ما يشاهد مثله " (٢) .

ومن ضروب الموازنة التي عرضها الأمدى بيان الاتباع في الخطأ ، يقول :
" وقال أبو تمام أيضا :

(١) الموازنة ١٦ / ٢
(٢) نفس المصدر والجزء ٢٠ /

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة فلبّاه ظل الدمع يجرى ووابله
 بيوم تريك الموت في صورة النوى أواخره من حسرة وأوائله^(١)
 ثم يعلق على أبيات أبي تمام مبيّنا موطن الخطأ . ثم يقول :
 " ولكن البحتري اتبع أبا تمام في خطئه بقوله :
 نصرت لها الشوق اللجوج بأد مع تلاحقن في أعقاب وصل تصرما^(٢)
 ثم وازن بين شعرهما في بكاء النساء المفارقات : فعرض أبياتهما في ذلك وحللها
 وبين معانيهما وما أخذ عليهما من الخطأ^(٣) وقد وازن بينهما بقوله :
 " فعذاب المذهب الذي سلكه البحتري أولى بالصواب في وصف النساء
 المفارقات ، وأشبه بأحوالهن من مذهب أبي تمام في وصفه إياهن يشدة الجزع
 والولس وبكاء الدم ولطم الوجه والاشفاس على الهلكة واطهار التجلد وقلة
 الاحتفال بهن " .

وهو بذلك يشير الى قول أبي تمام :
 وقالت أتتسى البدر قلت تجلدا اذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر^(٤)

ثم ذكر شعرهما في ما ذكرناه من استيلاء النوى على الاحباب المفارقين
 واهتم بالشرح والتعليل ، ونجد أن الأمدى يوازن بين شعريهما في هذا المعنى
 ضمنا ، فهو يقول عن بعض معاني أبيات أبي تمام الاولى : " معنى غير جيد

(١) الموازنة ٢٢ / ٢ وانظر تعليق الأمدى وبيان الخطأ فيها (٢٢ - ٢٣)

(٢) الموازنة ٢٣ / ٢

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٨ - ٤٠

(٤) نفس المصدر والجزء ٣٧

ولا صحيح ^(١) . وبين وجهة نظره في ذلك ، ثم يقول عن أبيات البحتري في نفس
المعنى " وقال البحتري وهو حسن ^(٢) .

ونجد الآمدى يشير أحيانا في موازنته الى آراء النقاد . يقول عن بيت
أبي تمام :

أتري الفراق يظن أني غافل عنه وقد لمست يداه لميسا
مازلت أسمع الشيوخ من أصحاب أبي تمام المتعصبين له دون من سواهم يقولون
أتراه أى شىء أراد أن يصنع بالفراق : يقطع يديه أو رجله أو يصلبه على
جذع ؟ ^(٣)

ثم يذكر شعرهما في ذكر الانفاس والحرق والزفرات عند الفراق :
وهو في موازنته يتبع طريقته في التحليل وبيان الاخطاء ومواطن الاحسان
ويكتفى أحيانا في الموازنة بالاشارة الى لفظة تدل على التفضيل - يقول عن بيت
أبي تمام :

أمر التجلد بالتلد حرقه أمرتجمود دموعه بسجوم
يقول عن معنى هذا المعنى " فان هذا من أحق المعاني وأولاها بالاستحالة " .
ويقول " وأى لفظ أسخف أيضا من أن جعل الحرقه آمرة ، وانما العادة
في مثل هذا أن تكون باعثة أو جالبة أو نحو هذا ، فأما الامر فليس هذا موضعه ^(٤)

-
- (١) الموازنة ٢ / ٤١
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٤
(٤) نفس المصدر والجزء / ٥٤

ثم يذكّر بيت أبي تمام :
 ومن زفرة تعطى الصباة حقها
 وتورى زناد الشوق تحت الحشا الصلد
 يقول موازنا بينه وبين البحتري :
 " ولله در البحتري ان يقول :
 باتوا جميعا ، ثم فرق شملهم
 بين كتقويض الجهام المقلع
 ووراءهم صعداء أنفاس اذا
 ذكر الفراق أقمن عوج الأضلع (١)
 ونراه يوازن بينهما وبين شاعر آخر . نناقلا رأى ابن الأعرابي في هذه الموازنة .

يقول بعد قول البحتري :
 وكم نافسوا من حرقة اثر فرقة
 تعجب من أنفاسنا وامتدادها
 فهذا موضع الحرقة والفرقة " .

يقول " وأجود من هذا كله ما أنشدناه أبو الحسن موسى بن سليمان
 الهمداني عن أبي دلف هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي الأعرابي ، وحكى
 عن أبي دلف قال :

دخلت على ابن الأعرابي ، وعنده البحتري ، قال : فتذاكرنا شعر الرجل
 فقال ابن الأعرابي ما استحسنت له شيئا الا قوله :

ولم أقض منها حاجة المتزود	فلما تبينت المنازل بالحمى
سراويل أبدان الحد يد المسرد	زفرت اليها زفرة لو حشوتها
تلين كما لانت لداود باليد	لذابت حواشيها وظلت بحرهما

والرجل العلوى البصرى أشعر من أبي تمام والبحتري فى هذا الباب. (١)

وقد ذكر شعرهما فى زوال الصبر وقلة التجلد :

واهتم بالموازنة بينهما فى هذا المعنى كتحفيها بالاشارة فقط، يقول مثلاً بعد ذكر أبيات أبي تمام وأن معناها حسن أو سخيـف كما يراه عن كل بيت أو ما رآه من الجهل والعى واللكنة وضيق الحيلة فى الاستعارة (٢) - نراه يقول عن أبيات البحتري فى المعنى ذاته :

" وهذا لعمر الله لفظ ومعنى فى غاية الحسن والبراعة " . (٣)

ثم يوازن بين طائفة أخرى من الأبيات ، ويبين أن أبا تمام قد سرق بعض معانيه من بعض الشعراء ، ويبين أبيات البحتري فى نفس المعنى ، ثم يختم بالمفاضلة بينهما قائلاً :

" وأبو تمام فى أبياته - مع ما فيها من المسرق - أشعر من البحتري فى أبياته " (٤)

وذكر شعرهما فى ما قالاه فى قتل الفراق للمفارق وسفك دمه :

ثم وزن بين شعريهما فى هذا المعنى إلى جانب اهتمامه بشرح الأبيات وتوضيح معانيها والحكم على جزئيات من المعاني ، إلا أنه اكتفى فى الموازنة بالاشارة إلى مواطن الجودة عند البحتري ، فبعد أن ذكر أبياتاً لأبي تمام فى هذا المعنى . قال :

(١) الموازنة ٢ / ٤٦ - ٤٧

(٢) نفس المصدر والجزء / ٤٩

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٤) نفس المصدر والجزء / ٥٠

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن قولي : نقل . . . ويذكر البيت^(١) .
 وما يشير إليه من المفاضلة أن يجعل الشعر يفوق كل شعر في معناه ، ومن
 هنا يفهم تفضيله الشاعر على الشاعر الذي يقارنه معه :
 يقول :

وما أبر فيه على احسان كل محسن قوله :
 أيا سكنا فـات الفراق بـأنسيه
 وحال التعادى دونه والتزيل
 بكرهى رضا العذال عنى وانه
 مضى زمن كنت فيه أعذل^(٢)
 فلا تعجبا ان لم يفل جسمى الضنى
 ولم يخترم نفسى الحمام المعجل
 فمن قبل بان الفتح عنى مودعا
 وفارقنى شغفا له المتوكل
 فما بلغ الدمع الذى كنت أرتجى
 ولا فعل الوجد الذى خلتي فعل
 وما كل نيران الجوى تحرق الحشا
 ولا كل أدواء الصباة تقتل^(٣)

ويخالف الامدى آراء النقاد فى أن أعذب الشعر أكذبه . يقول : " وقد
 كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده الا صدقه
 اذا كان له من يلخصه هذا التلخيص ويورده هذا الايراد على حقيقة الباب ..^(٤)

(١) الموازنة ٥٦/٢

(٢) يهدو عجز البيت غير مستقيم وأعتقد صحته (مضى زمن قد كنت فيه
 أعذل)

(٣) الموازنة ٥٧/٢-٥٨

(٤) نفس المصدر والجزء ٥٨/٤

ثم ذكر شعرهما فيما قالاه في الغزل من أوصاف النساء . . . الخ ؛
فبدأ بابتدأتهما في هذا الباب - وفاضل بينهما بشكل مجمل ان جعل
الحكم في ذلك عامة . يقول بعد أن عرض ابتدئات أبي تمام وحللها وبين مواطن
الحسن والمؤاخذة فيها وفاضل بين أبياته خاصة ، قال " وقد تصرف البحتري
في الابتدئات بهذا المعنى تصرفاً حسناً " ^(١) ثم ذكر ابتدئاته .

وبعد أن ذكر أبيات البحتري ختم بقوله : " وهذا كله من ذكر الطباء
غاية في حسنه وصحته وحلاوته على اختلاف فنونه ومعانيه . ولست أعرف لأبي
تمام غير البيتين الاولين من ذكر البقر " ^(٢)

فهو بين فضل البحتري - الى جانب قلة شعر أبي تمام في هذا المعنى ، وكأنه
يفاضل بينهما مفضلاً الاكثر أبياتا هنا .

ثم ذكر شعرهما في ابتدئاتهما بذكر الثغور :
وعرض لأبي تمام والبحتري - فذكر لأبي تمام بيتاً واحداً ، وللبحتري أبياتاً
- ولكنه وازن بينهما في بيتين فقط وألم بأبيات البحتري الاخرى ، فوازن بين
بيت أبي تمام :

وثناياك انها اغري ضُ
ولالِ توم وسرق وميضُ

(١) الموازنة ٦٢ / ٢

(٢) نفس المصدر والجزء ٦٣ /

وبين بيت البحتري :

تَبَسَّمَ عَنْ وَاضِحٍ ذِي أَشْـرَرٍ وتنتظر من فاتر ذِي حُـورٍ
وقال بعد أن شرح كلا من البيتين :

" فأجعلما في البيتين متكافئين ، وسائر أبيات البحتري فضل " . (١)

ثم ذكر شعرهما في ابتداء^١ اتها بذكر البكاء^٢ والدموع :

وذكر فيه بيتا لأبي تمام وعشرة أبيات للبحتري - وجعل الفضل في هذا
المعنى للبحتري دون تصريح . حيث عبر عن ابتداء^٣ أبي تمام في هذا
المعنى بقوله لصالح وليس جيد ، وجعل بيت البحتري " من مشهور أبياته في
الحسن والجودة " (٢) وبين أن بيته الثاني " معنى حلو حسن " (٣) وأن جميع
الابيات الباقية^٤ ابتداء^٤ ات جياذ " (٤)

ثم يجعل الفضل في هذا المعنى مطلقا لبيت البحتري :

قلب مشوق عناء البث والكمد ومقلة تبذل الدمع الذي تجد

ويقول عنه : " وأجود منها ومن كل ابتداء^٥ في هذا الباب وغيره بذكر
البكاء^٥ والدمع " (٥) ويذكر البيت .

(١) الموازنة ٢ / ٦٤-٦٥

(٢) نفس المصدر والجزء ٦٧ /

(٣) نفس المصدر والجزء ٦٧ /

(٤) نفس المصدر والجزء ٦٨ /

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة

ثم ذكر شعرهما في ابتداءاتهما بذكر السهر وطول الليل :

وقد بين في بداية ذلك أنه " لا يعرف لهما في وسط كلامهما من هذا الباب شيئا يعتد بمثله كنحو ما جاء في الشعر القديم والمحدث . " (١)

ثم يوازن بين بيتين لأبي تمام والبحترى - ويجعل الفضل لأبي تمام - لأن البحترى أخذ المعنى منه ووقع دونه . يقول :

" قال أبو تمام :

أفنى وليلى ليس يفنى آخره هاتَا مَوَارِدُهُ فأين مصادره ؟
وهذا ابتداء حسن وكلام سَجَسَج ، ومعنى جيد بالغ .

وقد أخذ البحترى معنى هذا الصدر فوقع دونه فقال :

له الويل من ليلٍ بَطَاءٍ أو آخره وَوَشَكَّ نَوَى حَيٍّ تَزَمَّ أَبَاعِرُهُ " (٢)

ثم ذكر أبياتا للبحترى في هذا المعنى ثم قال عنها :

" وهذه أبيات كلها جيدة المعنى ، بارعة اللفظ ، حسنة السبك ، كثيرة الماء والرونق " (٣) ولكنه لا يوازنها مع أبيات لأبي تمام وكأنه يجعل الفضل له في هذا المعنى مطلقا .

ثم يذكر شعرهما في ابتداءات آخر :

ويوازن بينهما مبينا الفضل للبحترى ، ومعللا لذلك : يقول :

(١) الموازنة ٢ / ٦٩

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء / ٦٩ - ٧٠

قال أبو تمام :

متى أنت عن زهلية الحي ذاهل وصدرك منها مدة الدهر آهل ؟

وقال البحتري :

ضمان على عينيك أني لا أسلسو وأن فؤادي من جوى بك لا يخلو
فعجز هذا البيت مثل عجز بيت أبي تمام ، وهو أجود لتصريحه بذكر
الجوى وصدر البيتين متقاربان ، وبيت البحتري أجود وأبرع " . (١)

ونراه يوازن بيت أبي تمام بأكثر من بيت للبحتري فيقول :
" هواها على أن الصدود سبيلها مقيم بأكناف الحشا ما يزولها
وهذا البيت أيضا أجود من بيت أبي تمام لفظا ومعنى " (٢)

ثم يذكر أبياتا للبحتري في نفس المعنى ويقول عنها " وهذا كله غاية فسي
الحسن والجودة " (٣) ويذكر طائفة أخرى للبحتري في المعنى ذاته ، ويختتمها
بقوله : " فأنظر الى هذا التصرف الحسن والالفاظ المختلفة في المعانى
المتقاربة " . (٤)

ثم يقول موازنا بينهما : " ولا أعرف لأبي تمام في هذا كله شيئا " . (٥)

-
- (١) الموازنة ٧١ / ٢
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) نفس المصدر والجزء ٧٢٠
(٤) نفس المصدر والجزء / ٧٢-٧٣
(٥) نفس المصدر والجزء / ٧٣

ويذكر بعد ذلك ما قاله في (الهجر) ويرصد عدة أبيات للبحترى -
وبينا واحدا لأبي تمام - ويبين أنه ردى . وهذا ضرب من ضروب المفاضلة
عند الآمدى . (١)

وقد يفرد الآمدى أحدهما بما ذكره في بعض المعاني ، فقد ذكر ما جاء في
ابتداء البحتري في ذكر المعيون - وذكر له أبياتا عدة ولكنه لم يبين مواطن
الاجادة أو الرداءة فيها - وبين أنه " ليس لأبي تمام في معناه شيء " . (٢)

ونرى الآمدى يعتذر للبحترى في هذا الباب في وصفه " لى البنانة "
وهو قوله :

ان الفراق جلالنا عن غداة بيضاء تجلو عن شتيت أشنب
ألوت بموعدها القديم وأياست منه بلى بنانة لم تخضب

وقد تعرض الآمدى لشرح هذا المعنى وقرنه بمعنى مماثل قبله للبحترى نفسه
ثم بين مواطن المواخذة فيه . واعتذر له قائلا : " وما أظن البحتري قال هذا
عيا ولا جزافا ولا قاله ، الا أن البنانة لم تكن مخضوبة ، فوصف الحال على
مذاهب الناس ومذهبه في وصف الشيء على ما هو لان هذا اذا أورده على
ما هو لم تكن فائدة فأقول :

انه قد يجوز أن يكون - والله أعلم - ذهب الى أحد معنيين :
اما أن يكون خطر بباله عند نظم البيت قول الشاعر :

(١) الموازنة ٢ / ٢٣-٢٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٧٥

وان حلفت لا ينقض النأى عهدا فليس لمخضوب البنان يمين
 فقال هو : " وأياست منه بلى بنانة لم تخضب " ، لان المرأة لا عهد لها
 مخضوبة البنان كانت أو غير مخضوبة ، ألا ترى الى قوله بعد هذا :
 وأرت عهد الفانيات ضابستي ألا جرى ووميض برق خلسب
 فذلك هذا على أنه خطر ذلك البيت بباله فذهب الى ذلك المعنى
 أى من كان يذم عهد مخضوبة البنان فهذه غير مخضوبة وأنا أذم عهدا أيضا .
 فهذا المعنى - ان شاء الله - جيد لائق .

والمعنى الآخر: أن يكون أراد أنها عزفت عن الصبا ، وتركت الزينة ،
 لانه قال : " ألوت بموعدها القديم " فدل على أنه انما انتجزها موعدا قديما
 وان حالها الان غير تلك الحال .

وهذا أيضا وجه قوى دقيق . وكأنه أولى من المعنى الاول بالصواب والله
 أعلم . وقوله " ولحظا يشوق الفؤاد الطرويا " بالنصب انما أراد ألشوق
 بالسلام بنانا خضيا ، ولحظت لحظا يشوق الفؤاد " (١)

ولم يعتذر الآمدى لأبي تمام عندما عرض خطأه في معنى مشابه . (٢)

ثم ذكر ابتداءات اليحترى في التشوق - وبين " أنها جيد لفظا ومعنى " (٣)
 وقال موازنا . . ولا أعرف لأبي تمام في نحو هذا شيئا " . (٤)

(١) الموازنة ٢/ ٧٧-٧٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٩٩

(٣) نفس المصدر والجزء ٧٩-٨٠

(٤) نفس المصدر والجزء ٨٠

ثم ذكر ابتهالات البحترى في معان شتى وهى كثيرة ، وقد عد أبياتا كثيرة^(١) ولكنه لم يعلق عليها شيئا ، وبين أن البحترى قد انفرد عن أبي تمام في هذا الباب أيضا .

ثم ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس والبدور والنجوم وغير ذلك .

وقد ذكر أبياتا لأبي تمام - وحللها وبين قيمتها النقدية - مشيرا الى بعضها بأن معانيها " صحيحة مستقيمة واستعارات لا ثقة بما استعيرت له " ^(٢) وبين أن بعضها لفظه حسن ، وأن بعضها ليس بالجيد اللائق * ^(٣)

ثم يوازن بين أبيات أبي تمام والبحترى ، مبينا أن أبيات البحترى أجود فنراه يقول بعد أبيات لأبي تمام :
 " والجيد الصحيح المعنى قول البحترى :
 اذا نضون شغوف الربط آونسة قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدقا
 مبينا العذر لأبي تمام بقوله :

" والعذر لأبي تمام أن يقال : انما أراد أنها خلقت لابسة صدف الا حصا
 لا الصدف ، أى ليست كاللؤلؤ الذى خلق في الصدف " . ^(٤)

(١) الموازنة ٢ / ٨١

(٢) نفس المصدر والجزء / ٨٥

(٣) نفس المصدر والجزء / ٨٥-٨٦

(٤) نفس المصدر والجزء / ٨٧ وميت أبي تمام الذى يشير اليه هو قوله :

لألى كالنجوم الزهر قد لبست أبتها صدف الإحصان لا الصدف

وعلى الرغم من اعتذاره لأبي تمام فإنه يكرر فضل البحترى . قائلا :
 " وسيت البحترى أجود " .^(١)

ولعل الذى جعله يفضل البحترى أنه رأى أن أبيات أبي تمام " متكلفة " ^(٢)
 وأن قوله " فابتكرت بكرا ولكن غدا هجرانها نصفاً " غير شىء ولا مَرِيءٍ اللَّفْظِ
 ولا المعنى .^(٣)

ثم يقول : ولله در أبي عبادة إذ يقول على هذا الوزن :
 وفي الخدور بدور قلما طلعت إلا تصرم ضوء البدر أو كسفا (الابيات)
 وهو يوازنها مع أبيات أبي تمام :
 وفي الخدور مها لو أنها شمعت به طغت فرحا ، أو ألبست أسفا (الابيات)
 " فهو يفاضل بينها بعد أن شرح أبيات أبي تمام . . ثم يقول " ولله در أبي
 عبادة . . والمفاضلة هنا في المعنى والوزن .

ثم يوازن بين أبيات أخرى لأبي تمام والبحترى : ويفضل أبيات البحترى
 قائلا " وحسبك بهذا حسنا وصحة وجودة . . . الخ " ^(٥) وهذه من طرق الأمدى
 في الموازنة .

ويستمر الأمدى على هذه الطريقة في الموازنة حتى نهاية الباب ^(٦) مشيرا إلى
 مواطن الجودة عند البحترى ، والمواخذة على أبي تمام .

-
- (١) الموازنة ٨٧ / ٢
 (٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
 (٣) نفس المصدر والجزء والصفحة
 (٤) نفس المصدر والجزء / ٨٦ - ٨٨
 (٥) نفس المصدر والجزء / ٧٨ - ٧٩
 (٦) نفس المصدر والجزء / ٧٩ - ١٠٤

ثم وازن بينهما فيما قالاه في وصف الشغور :

وعلى الرغم من أنه ذكر أن أبيات أبي تمام في ذلك غاية في الحسن إلا أنه فضل البحترى . يقول : قال أبو تمام :

وشناياك انهما اغريــــــــــــض ولآل توم ، ويرق وميــــــــــــض^(١)
 " وهذه لعمر الله - يمين في غاية الحسن والحلاوة والملاحة " .^(٢) (الأبيات)

ثم يذكر أبيات البحترى في هذا المعنى :

لها غرائب دل ما يزال لــــــــها على الغرام به حث وتحريــــــــض^(٣)
 ويقول :

" ... أحسن وأصح من قول أبي تمام " .^(٤)

وهذه الموازنة في أجزاء معاني الأبيات ، وليست في الأبيات عامة .

ثم يذكر أبياتا للبحترى في هذا المعنى ويطلق عليها أحكاما نقدية تدل على تفضيله للبحترى على أبي تمام . كقوله : " وهذا أحسن كلام ، وأصح ، وأحلاه " .^(٥)

وقوله : " وقد أحسن البحترى كل الاحسان في قوله " .^(٦)

وقوله : " ومن احسانه المشهور لفظا ومعنى " .^(٧)

(١) الموازنة ٢ / ١٠٥

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء / ١٠٦

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٥) نفس المصدر والجزء / ١٠٧

(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٧) نفس المصدر والجزء / ١٠٨

ويعرض أبياتا لأبي تمام فسي هذا المعنى ولكنه لا يشير الى فضل—
واحسانه فيها - ولا يفاضل بينه وبين البحتري ، بل يكتفى بالعرض وبيان المعنى .^(١)

ثم يذكر شعرهما في وصف القدود والخصور والأخفاف وثقل الأرداف ،
وحسن المشى :

وقد عرض أبياتا للشاعرين ووازن بينهما
وعلى الرغم من أنه يهتم باظهار محاسن الشاعر ومواطن اجادته أو اظهر
ما أخذ عليه - الا أنه يجعل الاحسان مطلقا أحيانا . ويظهر ذلك في ذكره
بعض أبيات للبحتري يوازنها مع أبيات لأبي تمام - ثم يقول مطلقا على أبيات
البحتري :

" وهذا نمط البحتري الحلو .. " ^(٢) " وهذا من احسانه المشهور " ^(٣)
" وهذا أيضا من احسانه المعروف " . ^(٤)

ثم يقول :

" ولله در أبي عبادة ان يقول :

غدت قضبان أسحلة عليها	لفرط الجدل أو شحة تجول
يُقوم من تثنيها اعتدال	تكاد تقول من هيف : نُحول
مشين على خمائل ذى طلوح	وقد ضاقت بما فيها الحبول
فقلت : أزيد من سقم فؤادى ؟	وهل يزداد من قتل قتييل ؟

(١) الموازنة ٢ / ١٠٨ - ١٠٩

(٢) نفس المصدر والجزء / ١١٢

(٣) نفس المصدر والجزء / ١١٣

(٤) نفس المصدر والجزء / ١١٤

فهذا - والله - هو الشعر ، لا تعليقات أبي تمام بطهاقه وتجنيسه وفسرط
تقميره ، وكثرة احالاته ، وما زلت أسمع الشيوخ يفضلون هذا البيت الأخير على
كل ما سمعوه في الغزل .^(١)

ثم ذكر شعرهما في الحزن والوجد :
واكتفى بالاشارة الى الجودة والاحسان لكل منهما ، وبين أن معنى البحتر
أجود وأحلى .^(٢)

ثم ذكر شعرهما في الشوق والصبابة :
وجعل الفضل للبحترى على أبي تمام ، على الرغم مما ذكره من الجيد
لأبي تمام^(٣) من بعض شعره في هذا الباب . . وهو يثنى على البحترى بقوله :
" ولله در أبي عبادة ان يقول . . . " ^(٤) وقوله " وهذه طريقة البحترى التى
يخبر فيها بالشىء على ما هو فيعفى على كل ما هو بديع واستعارة اذا اعتمدها
وذلك لحسن عبارته وتلخيصه . . " ^(٥) وقد تصرف البحترى في جملة معانئى
هذا الباب تصرفا كثيرا حسنا . . .^(٦)

ثم يختم الباب بقوله " ولا خفاء بفضل أبي عبادة على أبي تمام في هذا
الباب " ^(٧)

-
- (١) الموازنة ٢ / ١١٧ - ١١٨
(٢) نفس المصدر والجزء / ١٢٢
(٣) نفس المصدر والجزء / ١٣٢
(٤) نفس المصدر والجزء / ١٢٩
(٥) نفس المصدر والجزء / ١٢٤
(٦) نفس المصدر والجزء / ١٣٢
(٧) نفس المصدر والجزء / ١٣٧

ثم ذكر شعرهما في نوح الحمام :
 وذكر معه شعرا كثيرا لشعراء آخرين . . وهو ما يشبه ما قالاه . . ولا نكاد
 نجد موازنة في هذا الباب الا قوله :
 " والجيد النادر ، واللفظ الحسن ، والعبارة الصحيحة قول البحترى :
 نهته رغبة الواشين حـتى تعلق ما يفـيض وما يـسيل ^(١)
 (الابيات)
 وقوله :

" والجيد الحسن أيضا لفظا ومعنى قوله (يعنى البحترى) :
 مَالِخَضِرٍ يَنْحَنُ فِي قُضْبِ الْخَضِرِ ر على كل صاحب مَفْقُورٍ ^(٢)
 (الابيات)

وقوله : وقال البحترى :
 وورق تداعى بالبكاء بعثن لى كمين أسى بين الحشار والحيازم
 وصلت بد معنى نوحهن وانما بكيت لشجوى ، لا لشجو الحمام
 وهذا أيضا جيد حسن " ^(٣)

ثم يقول : " ولست أعرف لهما في ذكر الحمام غير هذا " . ^(٤)

ثم ذكر شعرهما في وصف الايام التى خلت ، والأزمان التى حمداها
 والتذكر لها والا سى عليها ويتصل بذلك شىء من ذكر النساء وأوصافهن :

-
- (١) الموازنة ١٥٦ / ٢
 (٢) نفس المصدر والجزء* والصفحة
 (٣) نفس المصدر والجزء* / ١٥٧
 (٤) نفس المصدر والجزء* والصفحة

وقد بدأ بذكر ابتدائيهما - وذكر انهما ثلاثة أبيات هي :

" قال أبو تمام :

أأيا منا ما كنت الا مواهبها وكنت باسعاف الحبيب حباؤها

وقال :

أحسن بأيام العقيق وأطيبب والعيش في اظلا لهن المعجب

وقال البحتري :

ليالينا بين اللوى فـرزود مضيت حميدات الفعال فعودى" (١)

ووزان بينهما قائلا :

" بيتأبى تمام الاول أجود من الابیات الثلاثة .

ولفظ البحتري لا زيادة على حسنه وجودته . " (٢)

ثم يذكر ما جاء عنهما في طرق الخيال : ويذكر شعرهما في ذلك ويوازن بينهما - جاهلا الفضل للبحتري - وهو لا يخرج عن أساليبه التي مرت بنا فـسى التفصيل . " (٣)

ثم يذكر شعرهما في الشيب والشباب ووصف الكبر والعزوف عن الصبا ونحو ذلك :

(١) الموازنة ١٥٨ / ٢
 (٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
 (٣) نفس المصدر والجزء / ١٦٧ - ١٨٩

وقد افتتح هذا الباب بما لهما من ابتداءات القصائد في نحو معانيه .
وقد تعرض الآمدى لشرح معاني الأبيات .

ونرى الآمدى هنا ينسب شعر أبي تمام في هذا الباب الى الفسار
والرداءة^(١) ، وينسب شعر البحتري في هذه الابتداءات الى التصرف الحسن
والافتنان الحلو^(٢) ولا يزيد عن ذلك بشيء من الحكم والتعليق ، الا أنه
يختم ذلك بقوله : " وهذا باب أبر فيه البحتري على أبي تمام "^(٣)

ثم يذكر شعرهما في هذا الباب في وسط الكلام ، ويذكر لأبي تمام
أبياتا فيها معان كلها جياذ صحيحة مستقيمة^(٤) ، وأغراضها حسنة مستقيمة^(٥) -
وبين أن البحتري قد أخذ منها^(٦) .

ويذكر للبحتري أبياتا حسنة جدا^(٧) وجملدة أبيات يعلق عليها بقوله : " وهذا
هو الذى يأخذ بمجامع القلوب ، ويستولى على النفس ، ومن حذق الشاعر أن يصور
لك الاشياء بصورها ، ويعبر عنها بالفاظها المستعملة فيها ، واللائقة بها ،
وذلك مذهب البحتري وصناعته ، ولهذا فاكثر الماء والرونق في شعره ، وقالوا
لشعره دياجة ، وما قيل فلك في شعر أحد من المتأخرين غيره "^(٨)

-
- (١) الموازنة ٢ / ١٩٠-١٩١
(٢) نفس المصدر والجزء / ١٩٢
(٣) نفس المصدر والجزء / ١٩٥
(٤) نفس المصدر والجزء / ١٩٦
(٥) نفس المصدر والجزء / ١٩٧
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٧) نفس المصدر والجزء / ١٩٨
(٨) نفس المصدر والجزء / ١٩٩

وهذا تفضيل مطلق للبحترى في هذا الباب على أبي تمام - وفي كافة شعره على سائر الشعراء المتأخرين .

ثم ذكر شعرهما في كره النساء للمشيب :
وأورد أبياتا لابي تمام - وذكر مواطن الاجادة والحسن وصحة المعنى فيها -
ومواطن المؤاخذة ^(١) ثم ذكر أبيات البحترى وأطلق لها التفضيل على أبي تمام
في هذا الباب بأساليب مختلفة ، يقول تارة : " وهذا من فاخر هذا الباب
وعجيب مذاهبه ، ومن احسان أبي عبادة المشهور " ^(٢) وتارة " عهدى بالشيخ
من أهل العلم بالشعر اذا تذكروا ما قيل في المشيب لا يقدمونه على قوله :
وحملت عندك ذنب المشيب " ^(٣)

يعنى قول البحترى :
وحملت عندك ذنب المشيب حتى كأنى ابتدعت المشيبا " ^(٤)

ثم يذكر شعرهما في نزول الشيب قبل حينه :
وأورد أبياتا لابي تمام في هذا المعنى ، وشرح الفاظها ومعانيها - وبين
مكانة بعضها النقدية - فنجده يقول : " والابيات الثلاثة الاولى من فلسفته
الحسنة الصحيحة المستقيمة ومن مشهور احسانه " ^(٥)

-
- (١) الموازنة ٢ / ٢٠٣-٢٠٤
(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٠٥
(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٠٦
(٤) نفس المصدر والجزء / ٢٠٧
(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٦) نفس المصدر والجزء / ٢١٢-٢١٣

ثم ذكر أبياتا في هذا المعنى للبحترى ووازن بينها وبين أبيات أبي تمام
- وبين أن بيتا من أبيات أبي تمام أجود من بيت البحتري الذي هو :
وكان جد يدها فيها غريبا فصار قديمها حق الغريب
وبيت أبي تمام الاجود هو :

(١) طال انكارى البياض وان عمدا رت شيئا انكرت لون السواد

(٢) وقد وزن بينهما في أبيات أخرى مثبتا الفضل والاحسان فيها للبحترى
- وخاتما الباب بقوله : " وقد تصرف البحتري في هذا الباب تصرفا حسنا " (٣)
ولكنه لم يذكر شيئا لأبي تمام .

ثم ذكر شعرهما في البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا :
وقد ذكر أبياتا للبحترى تفوق كثيرا ما قاله أبو تمام من حيث عددها ، ولكنه لم
يفاضل بينهما - ولم يعمد الى شرح الابيات وبيان مواطن الاحسان فيها كما
فعل في أبواب أخرى - وكأنه اكتفى بكثرة ما قاله البحتري - ورآه سببا لفضله
على أبي تمام في هذا الباب . (٤)

ثم ذكر شعرهما في مدح الشيب والتعزى عنه : وعرض أبياتا للبحترى
وأبي تمام في هذا الباب - ولم يعلق عليها الا شارحا بعض الغاظها ومبينا بعض

(١) انظر الابيات - الموازنة ٢ / ٢١٦-٢١٧

(٢) الموازنة ٢ / ٢١٨-٢٢٠

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٢٠

(٤) نفس المصدر والجزء / ٢٢١ - ٢٢٥

مواطن الاحسان فيها - ولم يفاضل بينهما في هذا الباب . (١)

ثم ذكر شعرهما في الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال ؛
وقد ذكر أبياتا للبحتري كثيرة (٢) ، وختم بتفضيل البحتري قائلا :
" وهذا احسان البحتري الذي لا يفي ببراعة معناه شيء " (٣)

ثم ذكر شعرهما في ذكر الزمان وظلمه واعوجاجه وتعذر الرزق على نوى
الحزم والفهم وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفي التعزى والصبر والقناعة ،
وشعرهما في ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض في طلب الرزق ، والسير على
الابل ، وقطع الفياق وفي مواعظ وآداب (في وسط الكلام) (٤) وقد ذكر
أبياتا للشاعرين ونراه يفضل البحتري في ذلك على أبي تمام ، لان ما قاله أبو تمام
عابه الناس عليه - ويراه الآمدى قبيحا (٥) بينما يرى أن ما قاله البحتري في هذا
المعنى " لا مزيد على حسنه وجودته لفظا ومعنى " (٦) وأنه غاية " في الفصاحة
والبلاغة وحلاوة الالفاظ الحلوة المتمكنة والمعاني القرينة المعجبة " (٧)

ثم ذكر شعرهما في الصبر والقناعة ؛
وأورد أبياتا لابي تمام وأخرى للبحتري ، وقد بين معايب أبي تمام في هذه

-
- (١) الموازنة ٢ / ٢٢٧-٢٢٩
(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٣٠-٢٣٢ ولم تظهر أبيات أبي تمام لبياعى في الاصل .
(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٣٢
(٤) اختص البحتري فيما قاله في الابتداء في هذه المعاني .
(٥) الموازنة ٢ / ٢٣٦
(٦) نفس المصدر والجزء / ٢٣٧
(٧) نفس المصدر والجزء / ٢٣٨

الابيات ، وهى المتعلقة بالمثل والمعنى ^(١) والقبح ^(٢) ، ولم يذكر شيئا من هذه المعايير للبحترى - بل اعتبر شعره " كلام يجرى من رفته وحسنه " ^(٣) وانه " لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته " ^(٤) و " انه غاية في الحسن والصحة والبراعة " ^(٥) ثم يفضل البحتري على أبي تمام في هذا المعنى قائلا : " ولا خفاء بفضل البحتري في هذا الباب على أبي تمام " ^(٦) .

ثم ذكر شعرهما في ذم ذوى الفنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل :

وقد وازن بين شعريهما في هذا الباب مبينا فضل أبي تمام - وانه أجاد وأحسن في هذا المعنى ، وفضل البحتري وأنه أجاد وأحسن حسنا ما عليه من مزيد ثم ختم بالحكم على شعريهما في هذا المعنى قائلا : " فأقول فى الموازنة بينهما أنهما أحسنا جميعا في هذا الباب وأجادا ، واجعلهما متكافئين مع ما فيه لابي تمام من الاساءة " ^(٧) .

(١) الموازنة ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٧

(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٥٢

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٤٩

(٤) نفس المصدر والجزء / ٢٤٧

(٥) نفس المصدر والجزء / ٢٤٨

(٦) نفس المصدر والجزء / ٢٥٣

(٧) نفس المصدر والجزء / ٢٦٢

وقد ذكر بعض ما انكره النقاد على أبي تمام .

ثم ذكر شعرهما في طلب الرزق والنهوض اليه :
وبين أن ماجاء به أبي تمام في المعنى أكثره مسروق ، على الرغم من حسنه
(١) وجوده .

وأشار الى قول أبي تمام :
وأخرى لحتنى حين لم أتبع الهوى قيادى ولم ينقض زماعى ناقصه
أرادات بأن يحوى الرغبات وادع وهل يفرس الليث الطلى وهو راض
قائلا : " وهذا بسيت الباب كله ، فانه لا يمر فيه أجود منه ، ولا أليق ، ولا أحسن
وعلى أنه معنى مأخوذ من مثل للأسد : قيل له : لم أنت غليظ الرقبة ؟ فقال :
لا ألزم خدرى وأتكل فى فريستى على غيرى .

وقد سمعت فيه شعرا أيضا منظوما ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن
المعنى جدا " . (٢)

ثم ذكر أبيات البحترى في هذا المعنى - وبين أنها جياة حسنة لطيفة
المعاني (٣) وأن بعضاً جزائها غاية في الحسن والبراءة " (٤)

وعلى الرغم من أن الآمدى ذكر لأبي تمام الجيد الحسن من أبياته والنادر
الذى فاق به كل شاعر في هذا المعنى - الا أنه يميل لتفضيل البحترى ولكن -
يجعلهما متكافئتين لبراءة بيت أبي تمام : يقول :

(١) الموازنة ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٧٠

(٤) نفس المصدر والجزء / ٢٧٢

" ولولا أن محاسن أبي تمام في هذا الباب هي أبياته الاربعة والجميع من معانيها مسروقة ، لفضلته على البحترى ، الا في بيت الطحلب فانه معنى ما علمت أحدا سبق اليه ، ولا قيل في وضوح الصبح أبرع منه ، فاجعلهم متكافئين " . (١)

ثم ذكر شعرهما في سرى الابل :
وأورد لهما شعرا كثيرا ، وبين أنهما أحسنا فيه وأجادا : يقول " وقد أجاد كل واحد منهما وصف ابله على الطريقة التى قصدها واعتمدها ، وان كانت معانى البحترى فيما ذهب اليه من الضمر حلوة جدا . . فأقول : انهما في الباب متكافئتين " . (٢)

ثم ذكر شعرهما الذى خرجا فيه من النسيب الى المديح : مبينا مواطن خروجهما في اشعارهما والجيد الحسن لهما ، " وأنهما جميعا قد تعملا فى بعض قصائد هما النسيب وصلابه النسيب بالمديح ، واعرضا في كثير من اشعارهما عن هذا المعنى وابتدأ بالمدح متقطعا عما قبله ، وكلا الوجهين قد فعله شعراء الجاهلية والاسلام ، وكانوا كثيرا ما يقولون اذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الاغراض " فدعنا " فتجنبا المتأخرون واستقبحوها ، وكذلك قولهم " فعد عن ذا " وهى عندهم أحسن " . (٣)

(١) الموازنة ٢ / ٢٧٣ ويعنى بيت الطحلب قول البحترى :

حتى تبدى الصبح من جنباتـه كالما يلمع من خلال الطحلب (٢٧٠ / ٢)

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٨٣ / ٢٨٣ ومتكافئتين ورد هكذا ، والصواب عندى - متكافئان لانه خبر لان .

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٩١ / ٢٩١

ثم ذكر الامدى ما قطعاً به من غرض الى غرض . . ووازن بينهما فى ذلك ولم يحكم بأيهما أفضل بل قال بعد أن عد أمثلة كثيرة من شعرهما " فهذا الجنس من الخروج الى المدح هو الاعم فى اشعارهما " (١)

ثم وازن بينهما فى الوجوه التى يجعلونها سبباً ليصل النسيب بالمدح - وذكر لهما أبياتاً فى معان شتى - وقد جعل الفضل للبحتري - على الرغم مما أشار به من اجادة أبي تمام واحسانه فى بعض المخارج . يقول : " ولا خفاءً بفضل البحتري فى سائر ما أوردته على أبي تمام " (٢)

ثم ذكر ما خرجا به الى المدح بيمين يحلفان بها :
ومنه لأبي تمام :

حلفت برب البيض تد مى نحورها	ورب القنا المنار والمتقصد
لقد كف سيف الصامتى محمد	تباريح ثار الصامتى محمد (٣)

ومنه للبحتري :

حلفت بما حجت قريش وحجبت	وحاز المصلى والحطيم وزمزم
وأهل منى ان جاوزوا الخيف من منى	وهم عصب شتى محل ومحرم
يَهْلُونَ من حيث ابتد الصبح يرتقى	سناه الى حيث انتهى الليل يظلم
لقد جشم الفتح بن خاقان خطاة	من المجد لا يستطيعها المتجشم (٤)

ثم يقول : " وهما فى هذا الباب متكافئان " . (٥)

-
- (١) الموازنة ٢ / ٢٩٥
(٢) نفس المصدر والجزء / ٣١٠
(٣) نفس المصدر والجزء / ٣١٣
(٤) نفس المصدر والجزء / ٣١٣-٣١٤
(٥) نفس المصدر والجزء / ٢١٤

ثم ذكر خروجهما الى المديح بطرق شتى ^(١) وقد عرض أشعارهما في ذلك وبين مواطن الحسن والتقصير فيها وعرض معها أشعاراً للمتاخرين في الوسيلة ذاتها . . ثم يفضل البحترى قائلاً :

" وهذا الباب في الخروج من النسيب الى المديح مما لا خفاء بفضل البحترى فيه على أبي تمام " ^(٢) .

ثم ذكر شعرهما في باب المديح ، وتنوع أساليبه ^(٣) وقد جمع فيه كثيراً من أشعارهما مبينا الجيد النادر من غيره ، ومظهرا فضل البحترى وتقصير أبي تمام ، مفضلاً أبا تمام في مدح الخلفاء ، يقول : " فأبو تمام في هذا الباب - على أساءته في الأبيات المتقدمة أشعر من البحترى ^(٤) وكذلك فهو أشعر فيما ذكر من باب المجد والسؤدد ^(٥) وأنها تساويا في مدح الخلفاء " وليس لأحدهما فضل في هذا الباب على صاحبه " ^(٦)

وقد رصد الآمدى للبحترى شعراً في أبواب ليس فيها لأبي تمام شعر ، وبين فضله فيها - وكأنه يفضل على أبي تمام لا اختصاصه بهذه المعاني دونه .

-
- (١) الموازنة ٢ / ٣١٥ - ٣٢٨
 (٢) نفس المصدر والجزء / ٣٢٨
 (٣) نفس المصدر والجزء / ٣٤٢ ، وانظر ٢ / ٣
 (٤) نفس المصدر والجزء / ٣٥٨
 (٥) نفس المصدر والجزء / ٣٦١
 (٦) انظر جميع ذلك في الموازنة ٢ / ٣٦٢ - ٣٧١

فذكر شعر البحتري في ائتلاف المحبين ، ووازن بهنه وبين شعراء آخرين
يقول عن ذلك شارحا وموازنا :

قال البحتري :

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافقين الماء والراح
وهذا حسن جدا وأظنه أخذه من بشار :
وان نلتقي خلف العميون كأننا سلاف عقار بالنقاخ مشوب
أخذه أيضا مع قول ابن أبي عيينه فقال :
ذاك ان روحها وروحي مزاجا ن كأصفي خمر بأعذب ماء
وقول البحتري أيضا أجود من البيتين . . .^(١)

ونجد الآمدى يطلق له المفاضلة عامة . يقول :

وقال البحتري :

ولم أنس ليلتنا في العننا ق لف الصبا بقضيب قضيبا
وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون أن هذا البيت أجود ما قيل في العنلق
لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ ، وأحسن نظم .^(٢)

ويقارن بين البحتري وشعراء آخرين في أبيات في هذا المعنى ، ويفضل
البحتري .^(٣)

(١) الموازنة ٢ / ١٣٨

(٢) نفس المصدر والجزء ١٣٩ /

(٣) نفس المصدر والجزء ١٣٩ - ١٤٠

ثم يختم بقوله : ولست أعرف لأبي تمام في هذا الباب شيئا " . (١)

وذكر شعره في الاعتذار من الشيب - وعرض له أبياتا في ذلك ، ولم يشر الى مفاضلة " ما " في هذا المعنى بينه وبين أحد من الشعراء - ولكنه حلل بعضا من أبياته - وقال معلقا :

قوله :

كل عذر من كل ذنب ولكون أعوز العذر من بياض العذار
مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عذر من كل ذنب موجود ممكن
غير العذر من الشيب فانه غير موجود ، وهذا أليق وأشبه " . (٢)

ثم ذكر شعره في ذكر الزمان وما تعلق به .
وقد انفرد البحتري في هذه المعاني بالابتداءات فقط حيث يقول
الآمدى " وافتتح هذا الباب بأبيات الابتداءات في نحو هذه المعاني ولا أعرف
لأبي تمام في شيء من هذا شعرا " . (٣)

وقد ذكر أبيات البحتري في هذه الابتداءات ولكنه لم يعلق عليها بشيء
أبدا . (٤)

ثم ذكر شعر البحتري في المواعظ وعلق على ذلك قائلا :

-
- (١) الموازنة ٢ / ١٤١
(٢) نفس المصدر والجزء ٢٢٦ /
(٣) نفس المصدر والجزء ٢٣٣ /
(٤) نفس المصدر والجزء ٢٣٣ - ٢٣٤

" فهذا والله الوعظ الذي لو سمعه أبو العتاهية لزلت مقاليدته " (١) . . . وهذا تفضيل للبحترى على شعراء الزهد عامة . .

وقد ذكر شعر البحترى فيما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم وذكر طاعتهم والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم ، وقد أورد أبياته في مدح المتوكل والمعتز بالله والمهدي - ولم يعلق على هذه الأبيات بشيء .

وأشار إلى أنه لا يعرف لأبي تمام في هذه المعاني شيئاً . (٢)

٥٥

ومن دراستنا للموازنة بين أبي تمام والبحترى يظهر لنا أن الأمدى يفضل البحترى على أبي تمام في جميع أبواب الموازنة التي عرضها ، حتى في تلك التي أشار إلى أن أبا تمام أجاد فيها .

وأول ما يظهر لنا هذا التفضيل في عرضه خصومة الناقدين من أنصار أبي تمام والبحترى ، فقد أشار الأمدى أثناء ذلك إلى أن أكثر من شاهدتهم وراهم من رواة أشعار المتأخرين يرون " أن شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيده جيد أمثاله ، ورديه مطرح مرذول ، فلهذا كان مختلفاً لا يشابهه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحترى صحيح السبك وحسن الديباجة ليس فيه سفاسف ولا ردى ولا مطروح ، ولهذا صار مستويًا يشبهه بعضه بعضاً " . (٣)

(١) الموازنة ٢ / ٢٤٣

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٤٣-٣٤٤

(٣) الميزانة ١ / ٣

وهذا تفضيل واضح للبحثرى . .

ويرى الآمدى أن النقاد من انصارهما لم يتفقوا على أيهما أشعر، ولكنسه نسب رأى من يفضل أبا تمام ونسبه الى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج وهم أهل المعاني وأصحاب الصنعة.

ونسب رأى من فضل البحثرى الى ميلهم الى حلاوة اللفظ وحسن التخلص ووضع الكلام فى مواضعه وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعنى وهم الكتاب والاعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . (١)

وهذه الميزات في شعر البحثرى تفوق شعر أبي تمام .

ويعرض الآمدى احتجاج الخصوم لكل منهما ، وتراه في كل ما عرضه يجعل شعر البحثرى ألصق بالنفس والوط بالقلب وأقرب للصواب . (٢)

وعند عرضه مساوىء الشاعرين - نراه يعرض سرقات أبي تمام بشئ من الاستقصاء والتفصيل والاحاطة - وشمول السرقات عند أبي تمام لكافة أغراض الشعر ، وللمعاني والالفاظ . (٣)

ثم يرصد بعد ذلك أخطاء أبي تمام في الالفاظ والمعاني (٤) - ويعرض أثناء ذلك الى بيان الجيد عند البحثرى . (٥)

- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | الموازنة ٤ / ١ |
| (٢) | نفس المصدر والجزء ٥٦-٦ / |
| (٣) | نفس المصدر والجزء ١٢٣-٥٨ / |
| (٤) | نفس المصدر والجزء ٢٥٥-١٤١ / |
| (٥) | انظر مثلا ١٦٠ / ١ |

ثم يذكر المزدول من الفاظه والساقط من معانيه ، والقبيح من استعاراته
والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ^(١) - مينا أن ذلك انما يكون نزرا يسيرا -
وشيثا نادرا عند الشعراء ^(٢) وقد شاع ذلك عند أبي تمام وتجاوز حدود العادة
كثيرا حتى أصبح عيبا ظاهرا من عيوبه وميزة في شعره .

ثم ذكر عيوب شعره المتعلقة بمروض الشعر من الزحاف واضطراب
الوزن ونحوه . ^(٣)

ولكنه عند ما يعرض ما أخذ على البحترى في السرقات - لا يميل إلى
استقصاء كل ما صدر عنه - ويقرر ذلك قائلا : " . . . ولم استقصى باب البحترى
ولا صرفت الاهتمام إلى تتبعه . . . " ^(٤)

أما بالنسبة للأخطاء الأخرى سوى السرقات ، فإنه يرى أن البحترى
لم يقع فيها وقوع أبي تمام : يقول " فأما مساوى البحترى من غير السرقات
فقد حرصت واجتهدت في أن أظفر له بشىء يكون بازا ما أخرجته من مساوى
أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها - فلم أجد في شعره لشدة تحرزه .
وجودة طبعه ، وتهذيب الفاظه ، من ذلك إلا أبياتا يسيرة أنا ذاكرها عند
الفراغ من سرقاته ان شاء الله تعالى " . ^(٥)

(١) الموازنة ٢٥٩/١ - ٣٠٥

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٥٩/

(٣) نفس المصدر والجزء ٣٠٦ - ٣٠٩

(٤) نفس المصدر والجزء ٣١٢ وانظر ٣٢٣ حيث يقرر ألا مدى أنه لم يستقصى

سرقات البحترى وأنه لو استقصاها لكانت على نحو ما خرجته من سرقات أبي تمام
أو تزيد .

(٥) الموازنة ٣١٢/١

ثم نجد الآمدى يدافع عن البحترى في بعض ما أخذه عن أبي تمام من المعاني وما رصده عليه النقاد ، ويوضح العذر للبحترى في ذلك ^(١) دفاعاً عنه .

ويقول الآمدى " وما وجدت شيئاً مما عيب به أبو تمام الا وجدت في شعر البحترى مثله الا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحترى قليل " . ^(٢)

وعندما وازن بينهما بما افتتحا من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها ، والدعاء بالسقيا لها والبكاء فيها وذكر استعجابها عن جواب سائلها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفي تعنيف الاصحاب ولومهم على الوقوف عليها ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها - ثم ما ذكره من أغراض أخرى - نجده يفضل البحترى - ~~ويبين أن جيده في ذلك~~ أكثر من جيد أبي تمام - يبينه عرضاً أحياناً ، وضماً أحياناً ... ^(٣)

ونجد الآمدى يصرح بتفضيل البحترى على أبي تمام في مواطن من كتابه يقول : " ... نظرت في شعر أبي تمام والبحترى في سنة سبع عشرة وثلاثمائة واخترت جيدهما وتلقت محاسنهما ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وأنا الحق في اختيار شعر البحترى مالم أكن اخترته

(١) الموازنة ١ / ٣٤٨ - ٣٧٠ وانظر دفاعه عن عيوب البحترى في الموازنة ١ / ٣٨١ - ٤٠٧

(٢) الموازنة ١ / ٤٠٨

(٣) انظر ذلك في الموازنة من ١ / ٤٢٩ الى نهاية الجزء الثاني .

من قبل - وما علمت أنني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما ^(١) .

وبهذا يكون الآمدى قد رسم لنا صورة للموازنة التي جعلها غايته فسي كتابه - فوازن بينهما في رأى النقاد - ثم وازن بينهما في السرقات والاطاء - ثم وازن بينهما فيما قالاه في ضروب شتى من أغراض الشعر ومعانيه - ورسوم منهجا نقديا في ذلك اتضح فيما مريين أيدينا . . . وأقام ذلك على أساس الكثرة حيناً - والجودة حيناً - والالتزام بالطريقة التي سلكها الشاعر في شعره حيناً - فقد فضل البحترى في التزامه طريقة المطبوعين - ودم أبي تمام لانتسابه الى التعقيد والصنعة والاغراق في البديع . .

الفصل الثاني

أخطاء الشعراء

اهتم الآمدى بأخطاء الشعراء - وجعلها أساسا من أسس الموازنة فسي كتابه ، وحصر أخطاء أبي تمام ودرس أثرها في شعره ، وبين أخطاء البحترى ووازن أحيانا بين الشاعرين في ذلك .

فهو يرى أن الخطأ لم تسلم منه الشعراء الفحول المتقدمون - بل وقع في شعرهم منه الكثير - وكأنه بذلك يعتذر لأبي تمام في أخطائه وما أخذه أيضا على البحترى - فقد ذكر الآمدى أن النقاد ساروا " أحدا من شعراء الجاهلية والاسلام سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ^(١) وقد رصد أخطاء المتقدمين في المعاني - وقسمها أقساما - وذكر مواطن العيب - يقول :

" هذا الاصمعي قد عاب امرأ القيس بقوله :

وأركب في الروع خيفانسة كسا وجهها سعف منتشر

وقال : شبه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر اذا غطى العين لم يكن الفرس كريما ، وذلك هو الغم ، والذي يحمد من الناصية الجثلة ، وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غما ، والغم مكروه ، ولم تفرط فى الخفة فتكون الفرس سفوا ، والسفاء أيضا مكروه فى الخيل ^(٢)

وبين الآمدى أن ^٣ الجيد فى وصف الفرس ما قال عبيد بن الابرص :
مضبر خلقها تضبر ^١ ينشق عن وجهها السبيب ^(٣)

(١) الموازنة ٣٧ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٧ - ٣٨

(٣) نفس المصدر والجزء ٣٨

وذكر من عيوب الشعراء خطأ امرئ القيس في قوله :
 لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر
 لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم يستجب منه التمريق ، وكذلك الوجه كما قال
 طفيل الغنوى :
 " معرفة الالهى تلوح متونها " (١)

وأخذ على امرئ القيس قوله :
 فللسوط ألهب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهبذب
 وقالوا : هذه فرس بطيئة ، لأنها تحوج الى السوط ، والى أن تركض بالرجل
 وتزجر .

ويقال أن أول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة
 الفحل فغلبت علقمة عليه فطلقها " . (٢)

وأخذ عليه قوله :
 أغرك منى أن حبك قاتلنى وأنك مهما تأمرى القلبي يفعل
 وقالوا : اذا لم يفرها هذا فأى شئ يفر ؟ (٣)

وقال الامدى :
 " وعيب زهير بن أبى سلمى بقوله :

-
- (١) الموازنة ٣٨ / ١
 (٢) نفس المصدر والجزء ٣٨ - ٣٩
 (٣) نفس المصدر والجزء ٣٩

يخرجن من شربات ماءها طمحل على الجذوع يخفن الغمر والغرقا
 وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغمر والفرق وانما ذلك لأنها تبيض
 في الشطوط " (١).

"وعيب على كعب ابنه قوله :

" ضخم مقلدها فعم مقيد هـا "

وقالوا : انما توصف النجائب بدقة المذبح " (٢).

وأخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول :

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاها ومن يتعلق حيث علق يفرق
 فجعل القرط يخاف ويفرق " (٣).

وأخذ على النابغة قوله :

ألكني يا عيين اليك قــــولا ستحملة الرواة اليك عني
 وقالوا : قوله ألكني ، أى كن لى رسولا ، فكيف يكون ألكني اليك قولا أى كن
 رسولى الى نفسك ، ثم يقول ستحملة الرواة اليك عني " (٤).

وأخذ على المرقش الأصغر قوله :

صحا قلبه عنها سوى أن ذكــــرة اذا خطرت دارت به الارض قائما
 وقالوا : من اذا ذكرت له دارت به الأرض ليس بصاح " (٥).

-
- (١) الموازنة ٣٩ / ١
 (٢) نفس المصدر والجزء / ٤٠
 (٣) نفس المصدر والجزء والصفحة
 (٤) نفس المصدر والجزء / ٤١
 (٥) نفس المصدر والجزء / ٤٢

ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه بيت واحد ، فقال :
 ومن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته الا ضعيف العزائم
 فقال له الحجاج : الطير تتقى الثوب ، وتتقى الصبي ، ما جئت بشيء ، وانما
 أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يد . " (١)

وهذه الأخطاء جميعا تخالف ما عليه الواقع فالمعنى الذى جاء به
 الشعراء لا يرسم صورة صادقة صحيحة للحالة التى قصد الشاعر اليها ، وانما
 هي معان تخالف الواقع والحقيقة .

ومن الأخطاء التى عدّها الآمدى وأحساها على الشعراء المتقدمين أخطاء
 تتعلق باستعمال اللفاظ فى غير مواضعها ، بحيث لا تعطى مدلولاً للمعنى الذى
 يرمى اليه الشاعر - فيكون اللفظ غير مناسب للمعنى ومنها ما ذكره الآمدى يقول :
 " وأخذ على المسيب قوله :

وقد أتتأسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
 وقالوا : الصيعرية سمة للنوق لا للفحول فسمعه طرفة بن العبد - وهو صبي -
 فقال : استنوق الجمل ، وضحك منه فذهبت مثلاً " . (٢)

وأخذ على عدى قوله :
 " يئذ الجياد فارها متتابعا "

(١) الموازنة ٤٧/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٤١/٤٢

وقالوا : لا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له جواد وكريم والفارح للبغل والحصار .

وأخذ عليه أيضاً قوله في صفة الخمر :

والمشرف الهندي يسقى به أخضر مطموثا بماء الحريص
الحريص : سحابة تحرس وجه الأرض : أى تقشره لشدها ، ويقال : الحريص
اسم نهر بناحية الحيرة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره^(١)

"وعيب على أيمن بن خريم قوله يمدح بشر بن مروان :

فانا قد وجدنا أم بششـــــر كأم الاسد مذكارا ولودا
وقالوا : أخطأ في أن جعل أم الاسد ولودا ، لان الحيوانات الكريمة عسرة نزرة
النتاج ."^(٢)

"وسمع اسحاق ابن ابراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجوير :

لما تذكرت بالديرين أرقــــنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
فقال : أخطأ والله أبوك ، التأنيـن لا يكون الا فى أول الليل ، وقال من طلب
المذر لجريـر أراـد (أرقنى) انتظار صوت الدجاج ."^(٣)

"ومن خطأ الشعر قول عدى بن الرقاع يذكر الله تبارك اسمه :

وكفك سبطة ونداك ســـــح وأنت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه امرأ .

(١) الموازنة ٤٢/١ - ٤٣

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٦

(٣) نفس المصدر والجزء ٤٧ (ولعل الصواب : التأنيـن لا يكون أول الليل) وقد وردت (إلا) في نص الموازنة بين قوسين مزيدة من نسخة أخرى كما أثبت المحقق .

وغايه الاصمعي في قوله :

لهم راية تهدى الجموع كأنها اذا خطرت في ثعلب الرمح طائر
وقال : الراية لا تخطر انما الخطر للرمح .^(١)

وبين أن من الاخطاء ما يتعلق باللفظ - يقول :

" ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذى الرمة :

فأضحت مباديها قفار ارسومها كأن لم سوى أهل من الوحش تؤهل
أراد : كأن لم تؤهل سوى أهل من الوحش .^(٢)

ويقول :

وأخذ على الاعشى قوله :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى شاول مثل شلول شلش شول
وقالوا : هذه الالفاظ كلها التى بعد شأ ومتقاربة المعنى .^(٣)

وبين أن من أخطاء المتقدمين ما يتعلق باللغة : يقول :

" وعاب الاصمعي ذى الرمة في قوله :

حتى اذا دومت فى الارض أدركه كبر ولو شاء نجى نفسه الهرب
وقال : الفصحاء لا يقولون دومت فى الارض ، وانما يقولون : دومت فى السماء ، ان حلق
ودوى فى الارض اذا ذهب .^(٤)

(١) الموازنة ٩ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء ٣ / ٤

(٤) نفس المصدر والجزء ٤ / ٤

وكان الاصمعي أيضا يعنيه في قوله :

" ونقرى عبيط الشحم والماء جامس "

ويقول : انما يقال للماء جامد ، وللسمن وما أشبهه جامس وروى عنه أبوهاتم^(١)
ويقول :

وحكى أبو نصر عن الاصمعي قال : كنا نظن الطرمّاح شيئا حتى قال :

وأكره أن يعيب على قومسى هجائي الرذلين ذوى الحنات
لأنها أحنة واحن ، ولا يقال حنات .^(٢)

وبين أن من الأخطاء عند المتقدمين ما يقع في الاستعارة ، يقول :

" وأخذ على آخر قوله :

فما رقد الولدان حتى رأيتـه على البكر يمر به بساق وحافر
فسمي رجل الانسان حافرا ، وهذه استعارة في نهاية القبح "^(٣)

" وكذلك قول الآخر :

قد أفنى أنا مله عضه فأمسى يعض على الوظيفة
فجعل له وظيفا مكان الرجل .

وكذلك قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها الى ملك اطلاقه لم تشقق

(١) الموازنة ١ / ٤ : ٤٥

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٥

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

وقال الحطيئة :

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مضافه^(١)

وبين أن من الأخطاء عند القدمين ما يتعلق بالمعنى فقط - وذلك
كالتقصير في المعنى بالرغم من سلامة الالفاظ وجوده البناء . يقول :

" وقال جرير :

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من موابيها
فقل لرجل من بني حنيفة : من أى الاثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث الملقى^(٢) .

وبين أن من الأخطاء عند المتقدمين ما يتعلق بفنون الشعر حيث لا يكون
الشعر مناسباً للفن الذى قيل فيه . يقول :

" وعيب على الاخطأ قوله في عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم لأبيض لا عارى الخوان ولا جذب
وقالوا : هذا لا يمدح به خليفة .

وأراد أن يمدح رجلاً ، من بني أسد كان أجاره ، فهجاه ، وكان يقال لقوم
الرجل : القيون ، يَمَيَّرُونَ بذلك ، فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالיום طير عن أشوابه الشرر

أى فالיום نفى ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبه عليه ، وقد كان له فى المصادح
متسع .

(١) الموازنة ١ / ٤٥ - ٤٦

(٢) نفس المصدر والجزء ٤ / ٦٦

لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب ، وإنما أراد أهل بيته ،
لأنه قال فيهم من الشعر ما قد قال ولان بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر
أشد النكير على من يتحقق بهم ويفرق في الثناء عليهم والوصف لهم .^(١)

وأرى أن العذر للكميت في ذلك أقرب إلى الصواب .

وبين أن من الأخطاء ما هو متعلق بالبنا - يقول :
" وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبي سود :

إذا التقت الأبطال أبصرت لونه مضيئاً وأعناق الكماة خضوع
فقالوا : أساء القسم ، وأخطأ الترتيب ، وإنما كان يجب أن يقول : أبصرت
سامياً وأعناق الكماة خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكماة كاسفة .^(٢)

وبين أن من الأخطاء عند المتقدمين ما تعلق بالوصف - حيث جاء الشاعر
بوصف لا يلائم الموصوف ويقلب المعنى . يقول :
" وقرئ على الأصمعي قول أبي نؤيب الهذلي :

قصر الصبوح لها فشرح لحمها بالنى فهي تثوخ فيها الأصبع
تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فانه يتبضّع

فقال : هذه الفرس لا تساوى درهمين ، لانه جعلها كثيرة اللحم ، رخوة تدخل
فيها الأصبع ، حرونا ، إذا حركت قامت ، إلا العرق فانه يسيل .^(٣)

(١) الموازنة ١ / ٥٠

(٢) نفس المصدر والجزء ٩ / ٤٩

(٣) نفس المصدر والجزء ٤٤ / ٤٤

وقرىء على الاصمعى أيضا قول أبي النجم :
 " يسبح أخراه ويطفوا أولســـــــــــــــــه "
 فقال : حمار الكساح - اذا - أفره منه " .^(١)

ومن هنا ، نرى أن الآمدى قد اهتم بأخطاء الشعراء المتقدمين محصيا بعض الأخطاء ، ومبيناً مواقع الخطأ وما يتعلق به - شارحا كيفية وقوع الخطأ - ومشيرا الى الصواب - وهو بذلك انما يرسم طريقته التى عالج بها الأخطاء عند أبي تمام والبحترى - هادفا من كل نـــــــــــــــــك الى بيان أن الأخطاء أمر مشترك فيه الشعراء وجرى على لسان المشاهير والمتقدمين - وكأنه بذلك يدافع عن صاحبيه في هذا المجال .

أخطاء أبي تمام والبحترى

اعتنى الآمدى في كتابه الموازنة بأخطاء أبي تمام والبحترى ، وحصر كثيرا من هذه الأخطاء ، وقد درس هذه الأخطاء دراسة وافية مستفيضة مبينا مواقع الخطأ في بعض الأماكن ، ومبينا الأصوب في أماكن أخرى ، أو مستشهدا بما جاء في شعر الشعراء الآخرين .

وقد جعل الآمدى الأخطاء بابا هاما من أبواب كتابة الموازنة - وجعلها أساسا من أسس الموازنة بين الشعراء .

بين الآمدى أخطاء أبي تمام ، وأن منها ما يتعلق باللفظ . يقول :
 " وقال في آخر قصيدة :

شامت بروك آمالى بمصر ، ولو أضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا
 فأدخل فى طوس الالف واللام ، وهى اسم بلدة معروفة " . (١)

ويقول :

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتك درى ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبنى على الفساد ، لكثرة ما فيه من الحذف ، لانسـه
 أراد بقوله " يدى لمن شاء رهن " أى أضافه وأبايعه معاقدة أو مراهنة ان كان
 لم يذق جرعا من راحتك درى ما الصاب والعسل . ومثل هذا لا يسوغ لانه حذف
 " ان " التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ، لانها اذا حذفت سقط معنى
 الشرط ، وحذف " من " وهى الاسم الذى صلته " لم يذق " فاختل البيت وأشكل
 معناه . " (٢)

ومن خطائه قوله :

وأرى الامور المشكلات تمزقت	ظلماتها عن رأيك المتوقد
عن مثل نصل السيف الا أنه	من سل أول سلة لم يغمد
فبسط أزهرها بوجه أزهر	وقبضت أهدها بوجه أهد

(١) الموازنة ٣١ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ١٩٠ /

فقال " الامور المشكلات " وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت أزهرها ، والزَّهْرُ هي النيرة ، والمشكلات لا يكون منها شيء نير (وكأنه) يريد أن الامور المشكلات منها جيد قد أشكل الطريق اليه ، ومنها ردى قد جهلت أيضا حاله : فهي كلها مظلمة ، فيمزق ظلماتها برأيه ، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه ، أى يستعمله ، ويكشف عن رديتها ويقبضه أى يكفه ويطرحه ، ولكن ما كان ينبغي له أن يقول : " بوجه أزهر " و " بوجه أريد " لانه لا صنع للوجه ههنا ولا تأثير ، لأن الصنع انما هو للرأى وللعقل .^(١)

ونرى الآمدى يعرض الاخطاء ويناقشها ويبين مواطنها ويورد الأفضل من الاستعمال ليستقيم المعنى .

كذلك بين الامدى الاخطاء المتعلقة بالمعاني عند الشاعرين أبى تمام والبحتري - يقول :

" ونحن لو رمنا أن نخرج ما في شعر أبى تمام من اللحن لكثير ذلك واتسع ، ولو وجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً منه الا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد ، وذلك نحو قوله :

ثانية في كبد السماء ولم يكن لاثنين ان هما في الغار^(٢)

معنى هذا البيت أن بابك صار في الصلْب جاراً لما زيار ، وهو ثانية فسى كبد السماء ، ولم يكن ثانيا لاثنين ان هما في الغار : أى هو ثانى اثنين فسى

(١) الموازنة ٢٣٦ / ١

(٢) وقبل هذا البيت قوله :

ولقد نفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جاراً ما زيار

(ديوانه ١٥٤)

(١) الصَّلب الذى هو رذيله ، وليس هو ثانيا (لاثنين) فى الغار ، لان تلك فضيلة

وبين الآمدى بعد هذه المناقشة أن سلوكه هذه الطريقة قد جعله يخطئ فى المعنى فلا يفهم المعنى الذى يريد من البيت كما أراد .^(٢)

ويقول :

" وأنكر أبو العباس قول أبي تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه برود

وقال : هذا و الذى أضحك الناس منذ سمعوه (و) الى هذا الوقت ، ولم يزد على هذا شيئا .

والخطأ فى هذا (البيت) ظاهر ، لاني ما علمت أحدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقعة . وانما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة وفيحو ذلك " (٣)

" ويقول "

وانى لا عجب من اتباع البحترى اياه فى البرد ، مع شدة تجنبه الاشياء النكرة عليه - حيث يقول :

وليال كسين من رقة الصبي — ف فخيلن أنهن برود

(١) الموازنة ٣٠ / ١

(٢) نفل المصدر والجزء / ٣٠-٣١ وفيه تحليل من الامدى يبين ذلك .

(٣) نفس المصدر والجزء / ١٤٣

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً في الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد في وصف الحلم قوله متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :
خفت الى السؤدد المجفون نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحاً
وقوله :

فلو وزنت أركان رضوى ويذب بل وقيس بها في الحلم خف ثقلها
وأبو تمام لا يجهل هذا من أوصاف الحلم ، ويعلم أن الشعراء اليه يقصدون ، وإياه يعتمدون ، ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع في الخطأ " (١) .

ثم ذكر الآمدى بيت أبي تمام :
ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسع لم يضق عن أهله بلد
يقول الآمدى :

" فأبو تمام ذكر أن رحب صدر المدوح وأن سمته تزيد على سعة الأرض فأسرف وأخطأ في المعنى بما قد مت ذكره في باب خطئه في المعاني " (٢) .

ورصد الآمدى عدة أخطاء على البحترى وعقد لذلك فصلاً منها :
قال البحترى :

هجرتنا يقظى وكادت على عا داتها في الصدود تهجرو سنى

(١) الموازنة ١ / ١٤٧

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٥٨

وهذا أيضا عندى غلط ، لان خيالها يتمثل له فى كل أحوالها ، كانت
 يقضى أو وسنى أو ميتة ، والجيد قوله :
 أرد دونك يقظانا ، ويأذن لى عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا (١)
 فصح المعنى وأتى به على حقيقته .

وقال البحتري :

تشق عليه الريح كل عشيــــــــة جيوب الغمام بين بكر وأيم
 وهذا أيضا غلط ، لانه ظن أن الايم هى الثيب ، وقد غلط فى مثله
 أبو تمام وذكرته فى أغاليطه (٢)

وقال البحتري :

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها

وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها
 هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد : لانه قال : " قد أدنى خطاها
 كلالها " أى قارب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التى
 تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطى . (٣)

وقال البحتري :

غريب السجايا ما تزال عقولنا مدلهة فى خلة من خلا لسه
 اذا معشر صانوا السماح تعسفت به همة مجنونة فى ابتدالسه

(١) الموازنة ١ / ٣٧٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٧٦ /

(٣) نفس المصدر والجزء ٣٧٨ /

قوله " اذا معشر صانوا السماح " معنى ردى " لان البخيل ليس من أهل
السماح فيكون له سماح يصونه . . " (١)

وأشار الآمدى الى الاخطاء المتعلقة باللغة . يقول :

" يقول عن أبي تمام : وقال في آخر قصيدة :

شامت بروقك آمالى بمصر ، ولو أضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا
فأدخل في طوس الالف واللازم ، وهى اسم بلدة معروفة .

وقال :

" احدى بنى بكر بن عبد مناه "

وانما هى مناه بالتاء فى الادراج ، كما قال اللمعز وجل : (ومناه الثالثة

ال اخرى) وانما تكون ها فى الوقف ، لا مع الحركة والدرج .

وقال فى هذه القصيدة :

" لولا صفات فى كتاب الباه "

وانما هى الباءة يا هذا فى تقدير الباعة ، وان كان قد حكى الباه فى بعض

اللغات الرديئة والردى لا يقتدى به .

وقال :

فكم لى من هوا فيك صاف غدى جوه وهوى وسى

فشدد " غدى " وهو مخفف .

(١) الموازنة ٣٨٠ / ١ وانظر من أخطاء المعانى ٢٢ / ٢ ، ٢٣٥ / ٢

وقال في قصيدة :

تسعين ألفا وتسعيناً ومثلهما كتائب الخيل تحمبها الأراجيل
فَنَوْنُ النُّونِ من تسعين وهذا لا يسوغه محدث . . . " (١)

وقال الآمدي في قول أبي تمام :

رضيت وهل أرضى إذا كان مسخطى من الأمر ما فيه رضى من له الأمر (٢)

يقول :

" . . . وكذلك قول أبي تمام " رضيت " ثم قال " وهل أرضى إذا كان مسخطى " انما معناه ولست أرضى ، فكان وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى أولم لا أرضى ، اذا كان الذى يسخطني ما فيه رضا الله تعالى وكذا ، أراد فأخطأ في اللفظ وأجال المعنى عن جهته الى ضده ، فان قيل : ان " هل " هنا بمعنى " قد " وانما أراد الطائي رضيت وقد أرضى كما قيل في قول الله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر) أن المعنى قد أتى .

قيل . هذا انما قاله قوم من أهل التفسير ، واتبعهم قوم من النحويين وأهل اللغة جميعاً علي خلاف ذلك : ولم يأت في كلام العرب واشعارها ، هل قام زيد بمعنى قد قام زيد ، وانما كان ذلك معدوماً في كلام العرب ولغتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يعمل عليه ؟ وقد قال أبو اسحاق الزجاج وجماعة من أهل العربية في قوله عز وجل : (هل أتى على الانسان حين من الدهر) معناه

(١) انظر جميع ذلك في الموازنة ١ / ٣١ - ٣٢

(٢) الموازنة ١ / ٢١١

ألم يأت على سبيل التقرير . وهب الأمر في هذا كما ذكرنا والخلاف ساقط فيه
فإن بيت أبي تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية لأن هل ، انما شبهها
من شبهها بقداذا وليت الفعل الماضي خاصة ، وأبو تمام انما أوقعها على
الفعل المستقبل وإذا وقعت على المستقبل سقط عنها أن تضارع قد لأن قد هنا
تكون بمعنى ربما وهل ليس فيها ذلك (١)

وقال البحرى :

شرطى الانصاف ان قيل اشترط وصديقى من اذا صافى قسط
وكان يجب أن يقول " أقسط " أى عدل ، وقسط بغير ألف انما معناه جار.
قال الله تبارك وتعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وقال :
(ان الله يحب المقسطين) . (٢)

ويقول فى قول البحرى :

قد بين البين المفرق بيننا عشق النوى لربيب ذاك الرب
يقول الآمدى :
قوله : " قد بين البين المفرق بيننا " . فالبين : الفراق . يريد قد بين
الفراق المفرق بيننا .

وبعض أهل اللغة يقول : " البين " من الاضداد يكون الاتصال ، ويكون
الافتراق . وليس الامر كذلك بل البين : الحد والقطع بين الشيئين ، والذي يتميز

(١) الموازنة / ١ / ٢١٥ وانظر بقية تعليق الآمدى على ذلك .

(٢) الموازنة / ١ / ٣٧٧

به الحيزان أحدهما عن الآخر . يقال : وصلت بينهما ، وفرقت بينهما ، وبعدت بينهما . فيصلح ذلك كله فيه ، لانه الحد والبرزخ لا أنه الاتصال ، ولا الافتراق إلا أن الشعراء جعلوه في استعمالهم : الفراق . فقوله : " قد بين البين " يريد قد بين الفراق المفرق بيننا " .^(١)

ويقول في قول أبي تمام :
صَلَّتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلَّوْا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذَكَرِهِ مُسْتَفَاغٍ

يقول الآمدي :
" وقد عيب عليه قوله مستفاغ ، وقالوا انما هو مستفيض . . وقيل أنه أراد مستفاغ فيه . وليس ذلك بشيء " .^(٢)

وتعرض الآمدي للاخطاء النحوية ومثل لذلك بما قاله أبو تمام :
" عَلَى الْأَعَادِيِّ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلٌ "

يقول : فأوقع الاعراب على الياء من الاعادي ، وذلك غير جائز لمتأخر^(٣)

وذكر الآمدي كذلك من الاخطاء تلك المتعلقة بالبلاغة ، يقول :

ثم قال :

وليس تديات من دماء هرقتهما حراما ولكن من دماء القصاد

(١) الموازنة ٣٥ / ٢

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٦٥ / وانظر فيه الاخطاء اللغوية ١ / ١٩٠ - ١٩١

(٣) الموازنة ٣٢ / ١

فأتى فى هذا بأقبح ما يكون من الخطأ وأشنع ، وهجا ممدوحه . وهذا
أبو الحسن بن الهيثم بن شبابة ظن أنه ممدوحه ، فكيف يكون الممدوح قاتلاً
لمدائحها التى فيها وصف مفاخره ومناقبه ، وهى مشيدة بذكر معاليه وشرف
آبائه وفيها احياء ذكرهم ؟ فاذا سفك دمائها فقد محاذلك كله وهدمه
وأبطله وأماته ، وجازى القصائد بضد ما تستحقه من تدوينها وروايتها وحفظها
وادامة انشادها . ثم لم يقنع حتى جعل سفك دمائها حلالا بقوله :
وليس ديات من دماء هرقتها حراما ولكن من دماء القصائد
وحسبه بهذا خطأ وجهلا وتخليطا ، وخروجا عن العادات فى المجازات
والاستعارات .

وقد قال فى آخر هذه القصيدة :
بِسَاحَةٍ تَسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ وَتُنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ
جَلَامِدٌ تَخْطُوهَا اللَّيَالَى وَأَنْ سَرَتْ لَهَا مَوْضِعَاتٌ فِي رُؤُوسِ الْجَلَامِدِ
فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهى تنساق من غير سائق وتنقاد فى
الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليالى ولا تؤثر فيها ، وهى
أميت وأبطلت ؟

فان قيل : هذا كله انما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة .
قيل : الاستعارة لا تستعمل الا فيما يليق بالمعنى ، ولا تكون المعانى
به متضادة متنافية . ولهذا حدود اذا خرجت عنها صارت الى الخطأ والفساد .^(١)

(١) الموازنة ٢٥٤/١-٢٥٥ وانظر أمثلة أخرى مشابهة لهذا فى ٢٤٩/١ الى
٢٥٤/١ .

قد لان أكثر ما تريد ومعضه خشن واني بالنجاح لوائح

وقوله :

لعمري لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد

وقوله :

وان خفرت أموال قوم أكفهم من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ، لتهذب عظم شعره وسقط أكثر
ما عيب عليه منه " (١)

وقد ذكر الآمدى الى جانب تلك الاخطاء الشائعة في البلاغة - كثيرا مما
استقبح من الاستعارات لأبي تمام منها قوله :

يادهر قوم من أخذ عيك فقد اضججت هذا الانام من خرقك

وقوله :

سأشكر فرجة اللبب الرخى ولين أخادع الدهر الأبي

وقوله :

فضربت الشتاء فى أخذ عيه ضربة غاد رته عودا ركوبا

وقوله :

تروح علينا كل يوم وتغدى خطوب كأن الدهر منهن يصرع

وقوله :

ألا لا يمد الدهر كفا بسبي^(١) الى مجتدى نصر فيقطع من الزند^(٢)

وذكر الامدى أن أبا تمام استعار المعنى لما لم يكن له فخرج عما عليه
العرب فكانت استعارات قبيحة لذلك^(٣) ، ثم يقول :

" وانما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه أو يناسبه
أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه فتكون اللفظة المستعمارة
حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه . . . " ^(٤)

ويرى ان الاستعارة الصحيحة التى اتبناها الشعراء الأقدمون كانت
قريبة من الحقيقة . ^(٥)

كذلك يرى أن الأخطاء المتعلقة بالبلاغة قليلة فى أشعار الاوائل^(٦)

ثم ذكر الأخطاء المتعلقة بالمعروض :

وبين من الأخطاء المتعلقة بالزحاف واضطراب الالوزان شيئا كثيرا مما
حدا ببعض الناقدين أن يجعلوها سببا فى اخراج شعر أبي تمام من الشعر الى النثر
يقول : " وذلك هو ما قاله دعبل الخزاعي وغيره من المطبوعين : ان شعر أبي تمام
بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم " . ^(٧)

(١) انظر ذلك وكثيرا من الالبيات تدل على قبح الاستعارة من ٢٦١ الى ٢٨١

وانظر ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) الموازنة ١ / ٢٦٥

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٦٦ /

(٤) نفس المصدر والجزء ٢٦٦ - ٢٦٩

(٥) نفس المصدر والجزء ٢٨٤ /

(٦) نفس المصدر والجزء ٣٠٦ /

ويستشهد الآمدى بأبيات عدة من شعر أبي تمام : يقول :
 " من ذلك قوله :

وأنت بحصر غاييتي وقربايتي بها ، وينوأبيك فيها بنو أبي

وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل ، ووزنه " فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ " وعروضه
 وضربه " مَفَاعِلُنْ " فحذف نون " فَعُولُنْ " من الاجزاء الثلاثة الأولى ، وحذف
 الياء من " مَفَاعِلُنْ " التي في المصراع الثاني ، وذلك كله يسمى المقبوض ، لانه
 حذف خامسه " (١) .

ثم يقول :

وقال :

لم تنتقض عروة منه ولا قسوة لكن امر بني الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ، ووزنه " مستفعلن فاعلن " وعروضه وضربه
 " فَعِلُنْ " فزاد في عروضه (وهو فعلن) حرفاً فصار " فاعلن " لانه قال " قوة " فشدد
 وذلك انما يجب له في أصل الدائرة لا في هذا الموضع ، فان خففها حتى تصير
 على وزن " فعلن " فيتزن البيت - كان مخطئا من (طريق اللغة) .

ثم نقص من " فاعلن " الاولى من المصراع الثاني الالف فصار " فعلن " وهذا
 يسمى مخبونا ، لانه حذف ثانية " (٢) .

(١) الموازنة ٣٠٦/١ وانظر أبياتا مشابهة ٣٠٦-٣٠٧

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٠٧/

وقال :

الى المفدى أبى يزيد الذى يضل غمر الطوك فى شمده

وهذا من النوع الاول من المنسرح ، ووزنه :

مستفعِلن مفعولات مستفعِلن مستفعِلن مفعولات مستفعِلن

فحذف السين من مستفعِلن (الاولى ومن مستفعِلن) التى هى أول المصراع الثانى فبقى " متفعِلن " وهذا ينقل الى " مفاعلن " ويسمى مخبونا ، لانه حذف ثانية .

وحذف الفاء من مستفعِلن الاخيرة فبقى " مستعلن " فينقل الى " مفتعلن " ويقال له : مطوى ، لانه ذهب رابعه .

وحذف الواو من " مفعولات " الاولى والثانية ، فصار " فاعلات " ويقال له أيضا : مطوى ، فأفسد البيت بكثرة الزحاف ، وتقطيعه :

المفدى ، دا أبى ، زيد الذى ، يضلغم ، رملوك ، فيشمده

مفاعلن ، فاعلات ، مستفعِلن ، مفاعلن ، فاعلات ، مفتعلن (١)

ثم يقول :

" ومثل هذه الابيات فى شعره كثير اذا أنت تتبعته ولا تكاد ترى فسي أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئا " ويظهر من خلال مناقشة الاخطاء المتعلقة بالعروض عند أبى تمام أن الامدى يهتم ببيان مكان

(١) الموازنة ٣٠٨ / ١ وانظر أمثلة أخرى ٣٠٩

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٠٩

الخطأ - ويحلل ذلك تحليلاً واضحاً .

وبين الامدى أن من العيوب التى التصقت بشعر أبي تمام والبحترى اضطراب الاوزان . يقول :

" وما رأيت شيئاً مما عيب به أبو تمام الا وجدت في شعر البحترى مثله
الا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحترى قليل " . (١)

ثم يقول :

" فمن ذلك اضطراب الاوزان في شعر أبي تمام

وقد جاء في شعر البحترى بيت هو عندى أقبح من كل ما عيب به أبو تمام
في هذا الباب وهو قوله :

ولمأذا تتبع النفس شيئاً
جعل الله الفردوس منه بواً
وكذلك وجدته في أكثر النسخ وهذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت
الاول من الخفيف وهو سداسي ووزنه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
" فحذف ألف فاعلاتن الاولى والثانية والاخيرة فصارت معلاتن وسين مستفعلن
الاولى فصارت مفاعلتن وذلك كله زحاف جائز .

وزاد في البيت سبباً ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام
من لفظ الفردوس ، وهو : هل اكفاء . ولا أعرف مثل هذا البيت " (٢)

(١) الموازنة ١ / ٤٠٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٠٨ / ٤٠٩

والآمدى يوضح ما ينقصه لانه بين تقطيع البيت وكيف حدث فيه مسن الزحاف ما حدث ، يقول عن البيت نفسه :
وتقطيعه :

ولما ذا ، تتبعن ، نفسيثا جعلللاهل ، فردوسمن ، هبوا
فعلاتن ، مفاعلن ، فاعلاتن ، فعلاتن ، مستفعلن ، فعلاتن .^(١)

ويقول :

وقال البحرى :

حلأتنا عن حاجة ممنوع مبتغاها وحاجة مطولـه
وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف ، وتقطيعه :
حلأتنا ، عن حاجتن ، ممنوعن مبتغاها ، وحاجتن ، مطولة
فاعلاتن ، مستفعلن ، مفعولن فاعلاتن ، مفاعلن ، مفعولن

وكان يجب أن تكون عروض البيت - وهى مفعولن الاولى - " فاعلاتن " ولا يجوز فيها " مفعولن " ، بل لو كان البيت مصرعا لجاز فى عروضه " مفعولن " كما جاز فى ضربه - وهى القافية - وذلك قوله : " مطولة " وأما جملة " مفاعلن " ففى موضع " مستفعلن " الثانية فى البيت ، فذلك جائز من الزحاف .

وقد غير قوم هذه اللفظة فى البيت - وهى ممنوع - فقالوا : " بمنوع مبتغاها " أى : حلأتنا عن حاجة (بمنع) منع مبتغاها من عائق أو والعليها ويكون " مبتغاها " فى موضع نصب بمنوع ، وهو (وجه) محتمل .^(٢)

(١) الموازنة ١ / ٤٠٨ - ٤٠٩

(٢) نفس المصدر والجزء ٤٠٩ - ٤١٠

وبين الامدى أن من الخطأ ما يتعلق بفنون الشعر ، حيث لا يتناسب
معنى البيت مع الغرض الذى قيل فيه . يقول :
" ومن خطأ المديح قوله :

سأحمد نصرا ما حييت ، وانسى لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

لانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده اليه بأن يذكره به ، وينسبوه
اليه ، وافتتح فرقانه فى أول سورة بذكره ، وحث عليه وللمعرب فى ذكر الحمد
ما هو كثير فى كلامها وأشعارها ، ما فيهم من رفع أحدا عن أن يحمده ولا من استقل
الحمد للممدوح ، قال زهير بن أبى سلمى :

متصرف للحمد معترف للرزء نهاض الى الذكـر
فقلوه : متصرف للحمد ، أى : حيثما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها^(١) .

ويقول :

" ومن خطائه قوله فى باب الفراق :

دعا شوقه يناصر الشوق دعوة فلباه طل الدمع يجرى ووابله

أراد أن الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع ، بمعنى أنه يخفف لاعـج
المشوق ، ويطفىء حرارته . وهذا انما هو نصرة للمشتاق على الشوق ، والدفع
انما هو حرب للشوق ، لانه يثلمه ويتخونه ويكسر حده " ^(٢)

(١) الموازنة ٢٠٧/١ - وانظر بقية ما استشهد به الامدى ٢٠٧-٢١٠

(٢) الموازنة ٢٣/١

وبين الآمدى أن من الاخطاء ما يخالف الواقع ويخرج عن العرف السائد
الذى عليه الناس في اصطلاحاتهم . يقول :
" ومن خطائه قوله :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا
لان الصبا هي القبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف " . (١)

ويقول : وقال أبو تمام :
ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسمه لم يضق عن أهله بلد
وهذا أيضا غلط . من أجل أن كل بلد يضيق بأهله . وليس ضيقه من جهة
ضيق الأرض لان الأرض لو كانت واسعة عشرة أضعافها في المقدار أو ألف ضعف
مثلها لما كان ذلك بموجب أن يكون الحزن أو الصمان أو الغول أو نجد أو مكة
أو المدينة أو البصرة ، في قدر مساحة كل ناحية منها أو أوسع وأزيد مما هي عليه
الان ، ان لم يخطط البصرة والكوفة من اختطتهما ولا أسس مكة والمدينة من
أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقتهما ، ولا صار قدر الحزن والصمان هذا القدر
في ذرعهما ومساحتها على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسط أخذاه منها ، وانما
ذلك على حسب الاتفاق في كل بقعة وعلى حسب ما أدى اليه الاجتهاد
والاختيار من أسس كل بلدة ، ومصر كل مصر " . (٢)

ويقول : ومن خطائه قوله :

(١) الموازنة ١ / ١٥٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٠٣ - ٢٠٤

وكلما أمسّت الاخطار بينهم هلكى تبيين من أمسى له خطر
 لو لم تصادف شيات البهيم أكثرما فى الخيل لم تحمد الا وضاح والغرر
 فلا وضاح هى البياض فى الاطراف ، وقد يكون أيضا فى البهيم وكذلك
 أيضا الغرر قد توجهد فى البهيم كثيرة (١)

ويعنى الامد يبدلك أنه جعل الا وضاح والغرر هنا مخصوصة بالخيل ، وهى
 فى الواقع ليست مخصوصة بها مطلقا .

ثم يقول : ومن خطائه قوله :
 ظعنوا فكان بكاي حولا بعد هم ثم أرعويت وذاك حكم لبيد
 أجدر بجمرّة لوعة اطفأوها بالد مع أن تزداد طول وقود
 وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضد ما يعرف من معانيها ، لأن المعلوم من
 شأن الدمع أن يطفى الغليل ، ويبرد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ويمقّب
 الراحة . (٢)

ويقول عن بيت أبى تمام :
 كالأرحبى المذكى سيره المرطى والوخد والطع والتقريب والخب

ويقول : وليس التقريب من عدو الابل ، وهو فى هذا الوصف مخطئ ، وقد يكون
 التقريب لأجناس من الحيوان ، ولا يكون للابل ، فانا ما رأينا قط يقرب تقريبا
 الفرس . (٣)

(١) الموازنة ٢٠٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٠٩ /

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٣٧ - ٢٣٨

ويقول : " وقال البحترى :

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسببـل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس - اذا من الارض - كان عيبا ، فكيف اذا سحبه . وانما الممدوح من الاناب ما قرب من الارض ولم يمسها " .^(١)

ويقول : ومن خطأ " أبي تمام في وصف الريح وساكنه قوله :

قد كنت معهودا بأحسن ساكن ثاو وأحسن دمنة ورسوم

والريح لا يكون رسما الا اذا فارقه ساكنوه ، لان الرسم هو الاثر الباقي بعد ساكنه " .^(٢)

ويقول عن أبي تمام : " وقال أيضا :

شهدت لقد أقوت مفانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردى معيب ، لان الوشيمة والوشائع هو الغزل الطفوف من اللحمية التي يداخلها الناسج بين السدى ، والبرد الذى تمت نساخته لليس فيه شىء يسمى وشيمة ولا وشائع " . . .^(٣)

وبين الامدى أن الشاعر يقع في الخطأ اذا سامح نفسه في الفاظه فيقع الغلط عليه عند كلال خاطره^(٤)

(١) الموازنة ٣٧١/١ وانظر ٣٧٧/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٢١٦/

(٣) نفس المصدر والجزء ٤٤٧-٤٤٨

(٤) نفس المصدر والجزء ٥٣٤/

وبين الآمدى أن الخطأ لا يضر بالشعر اذا كان قليلا : يقول " أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين وربما سلم الشاعر أكثر من ذلك البتة وتعرى منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة ^(١)

وبين الآمدى أن الخطأ لا يؤدى الى انكار فضل الشاعر : يقول :
 " وكذلك ما أخذته الرواة على المتأخرين من الغلط والخطا واللحن فاش أيضا وأكثر من أن يحتاج الى أن نبرهنه أو ندل عليه ، فلم يكن أحد من متقدم ولا متأخر فى خطئه ولا سهوه ولا غلظه بمجهول الحق ، ولا مجرود الفضل بل عفى عندكم احسانه على اساءته ، وغطى تجويده على تقصيره . . " ^(٢)

وهكذا جعل الآمدى أخطاء الشعراء عامة وأخطاء أبي تمام والبحترى خاصة غاية من غاياته فى النقد ومدخلا الى الحكم على الشاعرين . .

(١) الموازنة ٥٢ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٥١ /

الفصل الثالث

اللفظ والمعنى

يعتبر الآمدى الالفاظ شيئا مشتركا لا يختص به أحد دون آخر ، وهو بذلك لا يرى عيبا في أن يأخذ شاعر الالفاظ من آخر لان الالفاظ يستعملها الجميع وليس لأحد أن ينفرد بها وأن يكون صاحب سبق اليها . يقول :

" وما أدعى فيه أبو الضياء على البحترى السرقة والاتفاق في أكثر من ذلك انما هو في الالفاظ التي ليست بمحظورة على أحد وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات :

فمن ذلك قول أبي تمام :

ان الصفائح منك قد نضدت على طقى عظام لو علمت عظام

وقول البحترى :

مساع عظام ليس ييلى جديدها وان بليت منهم رمائم أعظم فأراد أبو تمام أن عظام الرجل الذي رثاه عظام القدر .

وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا ييلى جديدها وان بليت عظامهم

وليس ههنا اتفاق الا في لفظ العظام لا غير " (١)

ويرى الآمدى أن الالفاظ ليست محظورة . يقول :

" وقال في قوله (٢) :

نظرت فالتفت منها الى أحلى سواد رأيت في بياض

(١) الموازنة ١/ ٣٦٣-٣٦٤

(٢) يعنى ابن ابي طاهر

من قول كثير :

وعن نجلاء تدمع في بياض اذا دمت وتنظر في سواد
وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة . (١)

وبين أثر الالفاظ في المعاني - وأن اللفظ اذا جرى مجرى حسناً كان
مقبولاً - ويستشهد على ذلك بقوله :

حتى اذا الريح خبت بالسفاهياً عرض البلاد أشت الامر واختلفا
أى سعة البلاد ، فهذا اذا جرى على اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح ، وان عد
به عن هذه الطريقة وهذه الالفاظ المألوفة الى ما يشبه الحقائق أو يقاربها
كنت مخطئاً ، لانك اذا قلت مضى لنا في الخفض والدعة دهر طويل وكان طول
كهوضه لم يجز ذلك لان هذا على هذا الترتيب كأنه وصف للأشياء المحسوسة
كما قال الطائي :

بيوم كطول الدهر في عرض مثله

فكان بهذا اللفظ كأنه يذرع ثوباً أو يمسح أرضاً أو يصف بالاجتماع والتدوير
رجلاً . . . (٢)

وقد بين أن الالفاظ هي الاساس الذي يحسن به المعنى ويصيب ، ويدرك
الغرض . يقول :

" قالوا : وهذا أصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النشر ، لان
الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة انما هي اصابة المعنى وادراك الغرض بالفاظ

(١) الموازنة ١/١٢٧

(٢) نفس المصدر والجزء ١٩٩

سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف كافية ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية . . . " (١)

ويقول :

" وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه الى طول تأمل ، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره .

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بها ، وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام .

وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق ، أو نقش التعبير على خد الجارية القبيحة الوجه . " (٢)

وبين أن صناعة الشعر لا تجود وتستحكم الا بأربعة أشياء وهى : " جودة الالة واصابة الفرض المقصود وصحة التأليف والانتهاى الى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها " . (٣)

(١) الموازنة ١ / ٢٤٤

(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٥٤

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٦٤

ها
وقد أوضح الآمدى أن الآلة هي الالفاظ - وهي كمثل الآلة التي يستجيد
ويتخيرها الصانع مادة لصناعته مثل خشب النجار وفضة الصائغ وأجر البنّاء
والفاظ الشاعر والخطيب . . .^(١)

وبين أن للالفاظ دورا هاما في ايضاح المعاني . يقول :
قال البحترى يخاطب نفسه أو صاحبها معه :
قف الميس قد أدنى خطاها كلالها

وسل دار سعدى ان شفاك سؤ الها

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز ، احتاج
الى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له الى ذلك .^(٢)

واهتم الآمدى بعلاقة الالفاظ بالمعاني ، وبين أن للفظ دورا هاما يلتصق
بالمعنى فالمعاطلة بين الكلام وهي تعليق ألفاظ البيت بعضها ببعض واستعمال
اللفظ الغريب الذى لا يتكرر في كلام العرب كثيرا - ويكون مستهجنا ان ورد -
والا تيان بالالفاظ في غرض لا تتمشى مع طبيعته كل هذه الامور تخل بالمعنى
وتفسده وتجعله منبوزا .

نقل الامدى في ذلك قول عمر رضى الله عنه يمدح شعر زهير بن أبى سلمى
لما قال فيه " كان لا يعاظر بين الكلام ولا يتتبع حوشية ولا يمدح الرجل الا بما فى
الرجال " ^(٣) ويقول الامدى عن قول عمر هذا :

(١) الموازنة ١ / ٢٢٧

(٢) نفس المصدر والجزء / ٤٣٧

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٩٣

"وقد فسر أهل العلم هذا من قول عمر : وذكروا معنى المعاظلة ، وهى :
مداخلة الكلام بعبءه فى بعض ، وركوب بعبءه لبعض . كقولك تعاظل الجراد ،
وتعاظلت الكلاب ، ونحوهما مما يتعلق بعبءه ببعض عند السفاد ، وأكثر مما
يستعمل فى هذين النوعين .

وكذلك فسروا معنى حوشى الكلام ، وهو اللفظ الغريب الذى لا يتكرر فى
كلام العرب كثيرا ، فاذا ورد ورد مستهجنا ، وقالوا فى معنى قوله : " وكان
لا يمدح الرجل الا بما فى الرجال " أنه أراد : لا يمدح السوق بما يمدح به الملوك
ولا يمدح التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملته
السلاح ، فان الشاعر اذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه . . " (١)

ثم يقول الآمدى معلقا :

" ان من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على " قدامة " شدة
تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعبءها ببعض ، وأن يداخل لفظة من أجل لفظة
تشبهها . أو . تجانسها ، وان أخل بالمعنى بعض الا خلال ، وذلك كقول
أبي تمام :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمند

بانظر الى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله " عنه " ما
أشد تشبث بعبءها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من ادخال ألفاظ فى البيت من
أجل ما يشبهها ، وهى قوله : " خان " و " خان " و " يتخون " وقوله : " أخ " و " أخا "

وإذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ، ولا فيه
كبير فائدة ، لانه يريد : خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله ان لـم
يتخون جسمه الكمد .^(١)

ويبين الآمدى أن المعنى لا يمكن فهمه الا اذا كان في ظاهر لفظ البيت
دليل عليه ، ولا بد من التصريح باللفظ ولا تكفى النية والقصد الخفي + يقول
وقال أبو تمام :

قرانى اللهى والود حتى كأنسا أفاد الغنى من نائلى وفوائدى^(٢)

يقول عنه الآمدى : قلت :

" وكيف يُعلم أنهم أغنياً وليس في ظاهر البيت دليل عليه ؟ قال : كذا
نوى وأراد ، قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معانسي
الفاظه ...^(٣)

ويبين أن الالفاظ قد تفسد المعنى الحسن السائغ اذا كانت العبارة سيئة
يقول عن بيت أبي تمام :

من حرقة أطلقتها فرقة أسسرت قلبا ومن غزل فى نحره عذل

" ولعله سمع معنى سائغا حسنا فأفسده بسوء عبارته وكثيرا ما يفعل
وكان ينبغي أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلبا -
حتى يكون أسير الهوى وقتيل الفراق .^(٤)

(١) الموازنة ١/ ٢٩٤-٢٩٥

(٢) نفس المصدر والجزء ١٧٨

(٣) نفس المصدر والجزء ١٧٩-١٨٠

(٤) نفس المصدر والجزء ٢٢٤

وبين الآمدى أن اللفظ يفسر المعنى - ولو استعملت لفظه مكان أخرى
لفسد المعنى ولم يؤد غايته . يقول :

" وأنشد منشد قول كثير وهو يسمع :

وقضين ما قضين ثم تركننى بغيفا خريماً قاعداً أتلى
فقال كثير : أنا ما قلت كذا ، أترانى قاعداً أصنع ماذا ؟ قيل : فجالسا ؟ قال :
ولا هذا أجالسا كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال : واقفا . يريد واقفاً على
مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم " . (١)

وبين الآمدى أن تمام المعنى لا يكون إلا باللفظ القائم بنفسه ، والا اختل
المعنى . يقول :

" ومن ردى " ابتدأت أبي تمام في هذا الباب قوله :

هنّ عوادي يوسف وصواحيبه فعزما فقدما أدرك التأى طالبه
وانما جعله ردياً قوله : (هن) ، فابتدأ بالكناية عن النساء ، ولم
يجر لهن ذكر بعد .

ثم قال : " عوادي يوسف " ومعناها صوارف ، يقال : عدانى عنك كذا :
أى صرفنى . أراد : هنّ صوارف يوسف ، وصواحيبه ، وصوارف ههنا لفظة ليست
قائمة بنفسها ، لانه يحتاج أن يعلم صوارفه عن ماذا . واللفظة القائمة بنفسها
أن لو قال : " فواتن يوسف " ، أو " شواغف يوسف " ، أو نحو ذلك . وكأنه أراد
صوارف يوسف عن تقاه ، أو عن هداه ، أو عن صحيح عزمه حتى هم بالمعصية . وانما

يتم معنى الكلمة بمثل هذه الالفاظ ألو وصلها بها .^(١)

وبين أن الالفاظ الحلوة المتمكنة تتلاءم مع الفصاحة والبلاغة والمعاني القريبة
العجيبة ، يقول : وقال :

أرانا عناة في يد الدهر نشتكى	تأكد عقد من عراه وثيق
وليس طليق اليوم إن رجعت له	صروف الليل لي في غد بطليق
تفاوتت الايام فينا فأفرطت	بظمان باد لوحه وغريق
وكنت اذا ما الحادثات أصبنتي	بهايضة صم العظام دقوق
شمخت فلم أهد اختشاعا لشامت	ولم أبتعت شكوى لغير شقيق
أرى كل مؤذٍ عاجزاً عن أن يتي	اذا هو لم ينصر علي بمقوق

فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة والالفاظ الحلوة المتمكنة والمعاني
القريبة العجيبة .^(٢)

وبين أن اللفظ اذا لم يوضع في موضعه كان قبيحا . يقول :

وقال أيضا :

يا برق طالع منزلا بالأبـسـرق واحد السحاب له حدا لا ينق
قولته " طالع " لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة . . .^(٣)

(١) الموازنة ٢ / ١٧ - ١٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٣٨ /

(٣) الموازنة ١ / ٦٣

"ويقول : وقال :

راحت غواني الحى عنك غوانيا	يلبسن نأيا تارة وصندود ا
من كل سابعة الشباب اذا بدت	تركت عميد القريتين عميد ا
أربين بالمرء الفطارف بدنا	غيدا ألفنهم لدا أنا غيدا ا
أحلى الرجال من النساء واقعا	من كان أشبههم بهن خدودا

قوله : "أربين بالمرء" هو من أرب بالشئ اذا لزمه وأقام عليه ، يقال : أرب به ، وألب اذا لزمه . يريد أنهن أربين هوى المرء ، وأقمن عليه .

ورواه قوم "أربين بالمرء" من الربا الذى معناه الزيادة يقال قد أربى الرجل اذا زاد . فيقول : "أربين بالمرء أى زدن علينا بهم ، أى جعلن المرء زيادة اخترناها علينا فما يقبل الرجل الزيادة فى الشئ الذى يعطاه فاضلا من حقه ، ويرغب فيه يقال : قد أربى . فالى هذا ذهب من قال : أربين لا الى قولهم : أنا أربأ بك عن كذا ، لان هذا مهموز معناه : أنا ارتفع بك أو أرفعتك عن كذا ، من الربيضة والارتباء وهو الذى يصعد لاصحابه الى شرف عال فيرصد أعداءهم اذا قصدوهم فيراهم من بعد فينذربهم . فكان قوله : "أربين بالمرء" أى أخذن المرء ربا علينا لما فيهم من الزيادة التى اخترنا علينا وتركنا . والمعنى الاول أقرب لفظا .

وعلى أى الوجهين كانت اللفظة فهى غير حسنة ، ولا لائقة ، ولا هذا الموضع موضعها بالباء كانت أم بالياء .^(١)

وبين الآمدى أن الالفاظ اذا لم تكن في درجة المعانى فان فهم الشعر يكون صعبا - ولذلك فان الشاعر اذا أتى في شعره بمعان غائصة واستخدم معها الالفاظ الواضحة فان ذلك لا يعنى فهم الشعر - بل يحتاج الى شرح وتوضيح - ولذلك لزم أن يكون اللفظ والمعنى متكافئين . يقول :

" قال صاحب أبي تمام - فقد عرفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بمعان فلسفية ، وألفاظ عربية ، فاذا سمع بعض شعره الأعرابي لم يفهمه واذا فسر له فهمه واستحسنه " . (١)

وبين الآمدى أن اللفظة لا تستعار لغير ما هي له الا اذا احتملت معنى يصلح لذلك الشيء الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة في حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة المستعارة بفائدة في النطق فلا وجه لاستعارتها . . " (٢)

وقد بين علاقة الالفاظ بالبيئة التى يعيشها الشاعر ، ولذلك فان الحضري يأتي في شعره بالالفاظ العربية مبتعدا عن حوش الكلام . يقول :

" فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالالفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة . ، فان اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضرة ، فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الحوشى الذى يقل استعمالهم اياه ، وأن يجعله متفرقا في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه في مواضعه " . (٣)

(١) الموازنة ٢٧ / ١

(٢) انظر رأى الآمدى هذا في الموازنة ٢٠١ / ١

(٣) الموازنة ٤٧١ / ١

وأشار الآمدى أن لذلك أثرا كبيرا على الشاعر ونتاجه . يقول :
 " فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلص
 من الهجنة .. " (١)

قال أبو تمام :

لا أنت أنت ولا الديار ديار	خف الهوى وتولت الأوطار
كانت مجاورة الطلول وأهلها	زما عذاب الورد فهي بحار
أيام تدعى عينه تلك الدمي	فيها وتقر لبّه الاقمار
ان لا صدوق ولا كنود اسمهما	كالمعنيين ولا نوار نوار
بيش فهن اذا رمقن سوافرا	صور وهن اذا رمقن صوار
في حيث يمتهن الحد يثلفى الصبا	وتحصن الاسرار والا سرار

قوله : لا أنت أنت لفظ من ألفاظ أهل الحضر ، مستهجن وليس بجيد .
 لكن قوله : ولا الديار ديار كلام معروف من كلام العرب ، مستعمل حسن ، أى
 ليست الديار ديارا كما عهدت " (٢)

ويرى الآمدى أن على الشاعر أن ينسق بين ألفاظ البيت مما يجعلها
 مقبولة لدى السامع لا ينكرها عليه أحد - ويرى الآمدى أن جمع بعض الالفاظ فى
 مصراع واحد - مهما كانت فصيحة - قد يكون منكرا - وهنا يكون للذوق عند الشاعر
 والناقد دخل فى اعطاء الحكم على هذه الالفاظ - فبالذوق يباعد الشاعر بينها
 بما يناسب ، وبالذوق ينقدها العالم بالشعر ، يقول عن بيت أبي تمام :

(١) الموازنة ١ / ٤٧١

(٢) نفس المصدر والجزء ١٢ / ٥

قدك اثتب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائسى
 وأما قوله : " قدك اثتب أربيت فى الغلواء " فانها ألفاظ صحيحة
 فصيحة من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف
 ألفاظهم ، ولا وحشى كلامهم : ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها فى
 مصراع واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل فقال : " قدك
 اثتب أربيت فى الغلواء " فصار قوله " قدك اثتب " كأنهما كلمة واحدة على وزن
 مستفعل ، وضم اليه " أربيت فى الغلواء " فاستهجت .^(١)

مصطلحات تتعلق بالألفاظ

أطلق الآمدى بعض المصطلحات على الألفاظ . ومثلها وعلق عليها فسي
 بعض المواضع .

يقول الآمدى أن النقاد نسبوا شعر البحترى الى حلاوة الألفاظ وبين
 أن ذلك كان أحد الأسباب الى تفضيله على أبى تمام الذى يميل الى غموض المعانى
 - بينما ألفاظ البحترى - الفاظ حلوة . يقول :

" . . . كما لم يتفوقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية
 والاسلام والمتأخرين ، وذلك لميل من فضل البحترى ونسبه الى حلاوة الألفاظ
 وحسن التخلص ووضع الكلام فى مواضعه وصحة العبارة وقرب المسأتى وانكشاف
 المعنى وهم الكتاب والاعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة " ^(٢)

(١) الموازنة ١ / ٤٧٠-٤٧١ ومعنى "قدك اثتب" أى حسبك استحي

(٢) الموازنة ٤ / ١

ويقول " فان كنت أدام الله سلا متك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر
 صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر
 عندك ضرورة " . (١)

ويتحدث الأمدى عن بارع اللفظ وفصيحته ويليغه . يقول :

" وقال :

تزيد نعي الايام مضبوط عيشة	فينقصني نقص الليالي مرورها
والحقني بالشيب في عقر داره	مناقل في عرض الشباب سيرها
مضت لي سواد الليل أولى بطالبي	فدعني يصاحب وخط شبيبي أخيرها

يقول : اذا زاد تنى الايام شيئا من غلظة العيش اجتمعت مع الليالي على انتقاصه
 أى ارتجاعه . والمناقل جمع منقلة ، وهى المرحلة من مراحل السفر .

وعقر الدار ، وعقرها بالفتح والضم - أصلها
 وهذا من بارع لفظه وفصيحته ويليغه .

وتحدث عن اللفظ المستكره . فقال في قوله :

أهلس أليس لجاء الى همم تفرق العيس في أذيها الليسا
 ويروى أهيس أليس . والاهيس الجاد ، وهذه الرواية أجود وهى مثل :
 اخذى لياليك فهيسى هيسى

والهلاس : السلال من شدة الهزال ، فكأنه قوله : أهلس يريد خفيف اللحم .
والأليس : الشجاع البطل الغاية في الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه
في الحرب حتى يظفر أو يهلك .

فهتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا ، ثم لم يقنع بأهلس اليس حتى
قال فى آخر البيت " اللىسا " يريد جمع اليس .
وقوله :

وان بجيرية بانت جأرت لها الى ذرى جلدى فاستؤهل الجلد
فقال : " بجيرية " و " جأرت لها " وهذه الالفاظ وان كانت معروفة
مستعملة فانها اذا اجتمعت استقبحت وثقلت .^(١)

وتحدث الآمدى عن اللفظ الهجين ، يقول :
" وزاد هذه الالفاظ هجنة أنها ابتداء قصيدة " .^(٢)

ومن المصطلحات المتعلقة بالالفاظ والتي أوردها الآمدى : الرداءة . يقول :
الهم والعيس والليل التمام معا ثلاثة أبدا يقرن فى قسرن
حوبا حلا ، قاسمىنى الهم يا ابنته فقد خلقت لغير الحوض والعطن
قوله : حوبا حلا زجر من زجر الابل ، كأنه زجر ناقته ، وقال لها : قاسمىنى الهم
يا ابنته : يا بنت الهم ، سبرى وانطلقى فقد خلقت لغير الحوض والعطن ، أى
خلقت لقطع الاسفار لا للاقامة .
ولفظ هذا البيت الاخير ردى ، ونسجه قبيح .^(٣)

(١) الموازنة ١ / ٣٠٠ - ٣٠١

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٠١ ويشير الى الالفاظ السابقة ، وانظر ١ / ٤٧٨

(٣) الموازنة ٢ / ٢٨٢

ولم يوضح الآمدى سبب الرداءة التي أشار اليها
ومنها اللفظ السخيف : يقول الامدى :

" وقال أبو تمام :

أَمَرَ التَّجْلِدَ بِالْتَّطْدِ حَرْقَةً أَمَرْتُ جَمُودًا مَوْعَةً بِسَجُومِ

قوله : أمر التجلد بالتطد حرقه : جعل الحرقه آمرة للتجلد بالتطد ، والحرقة
التي يكون معها التطد تسقط التجلد ألبته ، وتذهب به . وأما أن تجعله
متطدا فان هذا من أحق المعاني ، وأولاها بالاستحالة ، بلى لو قال : ان
الفرقة أحالت التجلد الى التطد ، أو أبدلت من التجلد التطد لكان ذلك
هو السائغ الحسن .

وأى لفظ أسخف أيضا من أن جعل الحرقه آمرة . وانما العادة في مثل
هذا أن تكون باعثة ، أو جالبة ، أو نحو هذا . فأما الامر فليس هذا موضعه ^(١) .

ويقول : فى قول أبي تمام :

فيا حسن الرسوم وما تمشى اليها الدهر فى صور البعاد

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة لفظه ومعناه يريد فيا حسن الرسوم ولم
يعش اليها الدهر أى لم يصيبها الدهر ببعده أهلها عنها فأخرجه هذا المخرج
القبيح المستهجن ^(٢) .

(١) الموازنة ٢ / ٤٤ - ٤٥

(٢) نفس المصدر ١ / ٤٧٨

ومنها غرابة الالفاظ . يقول الآمدى :
 " . . . ومع ذلك فان أبا تمام تعتمد أن يدل في شعره على علمه باللفظة
 وبكلام العرب فتعتمد ادخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو
 قوله :

هَنْ البجَارِى يَا بَجَـيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْـؤُسَ الْفَوَيْـرُ

وقوله

" قد ك انتب أربيت فى الفلواء "

وقوله

" أقرم بكر تبارى أيها الحفض "

وهذا فى شعره كثير موجود . . . (١)

ومنها اللفظ المستقيم . يقول :

والجيد النادر فى هذا قول البحترى فى الخهدى بالله :

بارك الله للخليفة فى المـ	لك الذى حازه له المقدار
رتبة من خلافة الله قد طـ	الت بها رقبة له وانتظار
طلبته فقرا اليه وما كـ	ان به ساعة اليها افتقار

ومثله فى الجودة قوله فيه :

سرت تتبغاه الخلافة رغبة	اليه بأوفى قصد ها واعتماد ها
فما علقتة خبط عاشية الدجى	ولكنها اختارته بعد ارتياد ها

فهذه هي المعاني الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسبك الرصين .^(١)

ومن المصطلحات التي أطلقها الآمدي على اللفظ : الواضح السيال ، يقول :
قال أبو تمام :

فارقتنا وللمداع أنـوا سَوارٍ على الخدودِ غَوادٍ
كل يوم يسفح دمعاً طريقاً يُمترى مزنه بشوقِ تـلادٍ
واقعا بالخدود والبرد منه واقع بالقلوب والأكـباب
وهذا في البكاء مذهب حسن جدا ، في أجود لفظ ، واضح سيال .^(٢)

ومنها التعسف - وقد ندمه الآمدي ومثل له بقوله :

" ما أب من أب لم يظفر بحاجتـه

ولم يغب طالب للنجح لم يخب

وهذا تعسف ، والخرس أحسن منه .^(٣)

وبين الآمدي أن الشاعر قد يقع في غلط الالفاظ اذا سامح نفسه فـي

ذلك . يقول :

قال أبو تمام يخاطب الريح :

قد كنت معهوداً بأحسن ساكن ثاو فاحسن دمنة ورسوم
أيام للأيام فيك غضارة والدهر في وفيك غير ملـيم

(١) الموازنة ٢ / ٣٣٣

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٠ /

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٥٧ /

وظباء انسك لم تبدل منهمم بظباء وحشك ظاعنا بحقيم
 من كل ريم لو تبذل قطعت الحاظ مقلته فؤاد الريم
 قوله : " ثاوباً حسن دمنة ورسوم " غلط ، لان رسوم الدار لا تسمى رسوماً
 اذا كان أهلها ثاوين فيها ، بل انما تسمى رسوماً اذا فارقها ساكنوها
 وارتحلوا عنها لان الرسم هو الاثر الباقي بعدهم .

والصحيح المستقيم قول البحترى :

يامغاني الاحباب صرت رسوماً وغدا الدهر فيك عندى طوما
 وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ولكنه يسامح نفسه في الفاظه فيقع الغلط
 عليه عند كلال خاطره ... (١)

وقد اهتم الآمدى بتصويب الاخطاء المتعلقة بالالفاظ ، مبينا وجهة نظره
 النقدية في ذلك يقول في أبيات أبي تمام :

لله دُرْكُ أى مَعْبَرٍ قفْرة لا توحش ابن البيضة الاجفلا
 بنت الغضاء متى تخدبك لا تدع فى الصدر منك على الفلاة غفلا
 أو ما تراها لا تراها هـزة تشأى العيون ذوالقا وذملا
 لو كان كلفها عبید حاجة يوما لزنّي شدقها وجدلا

يقول الآمدى :

تشأى المعيون : تسبقها . ذوالقا : جمع ذليقة ، والذلاقة : السرعة والمضاء .

ويروى " ذوالقا " بالبدال غير معجمة ، جمع ذالق ، والذالق : الخارج ، يقال : سيف ذالق اذا كان خارجا من غمده .

وكان ينبغي أن يقول : تشأى المعيون اندلاقا وذميلا ، أو ذلاقة - معجمة الذال - وذميلا ، لان قوله : " وذميلا " لا يكون منسوقا على ذوالق . وأظن أنه جعل الذميل ، منسوقا على هزة .

والذميل ها هنا ردى ، لانه ضرب من سير الابل لين ، وهو يصف السرعة (١).

ولاشك أن الامدى قد درس الالفاظ واهميتها وأثرها في المعاني وعلاقتها بها - دراسة وافية - ومثل لذلك تمثيلا جيدا - وعمل في بعض الاماكن لوجهة نظره النقدية - واكتفى بالاشارة الى مواطن الملاحظة المتعلقة باللفظ .

وبين الامدى أن هناك ارتباطا وثيقا بين اللفظ والمعنى وأن أحدهما يعتبر أساسا للآخر . فلا تصلح المعاني الا بالالفاظ التي تترجمها - كما أن المعنى السى قد يحط من قدر اللفظ المتعلق به .

ويرى الامدى أن هناك معنى خاصا ومعنى مشتركا ، ويقسم المعنى السى خاص ومشترك ليوسع حكما نقديا في هذه القضية ، فالخاص من المعاني هو

مالا يجوز لشاعر أن يأخذه - بل ينفرد به صاحبه - والمشارك هو مالا يمتنع تداوله بين الشعراء .

وقد أشار الى تقسيمه المعنى من خاص ومشارك في قوله " ووجدت ابن أبي طاهر قد خرج سرقات أبي تمام ، فأصاب في بعضها وأخطأ في البعض لانه خلط الخاص من المعاني بالمشارك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا " .^(١)

وقد أشار الى أن المعنى الخاص هو الذى تكون فيه السرقة وسماه (البديع) فى موضع آخر : " . . أما إدعاؤكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا أنه غير منكر أن يكون أخذ منه لكثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبي تمام فيتعلق معناه قاصدا الاخذ أو غير قاصد . ولكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن يحيى فى كتابه ، لانا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجربى طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقا ، وانما السرقة يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذى أخذه البحترى من أبي تمام " .^(٢)

وموقف الآمدى من المعاني موقف ظاهر واضح ، فالخاص منها لا تجوز سرقة وتعتبر عيبا ، والمشارك مالا عيب فى أخذه وتداوله .

وقد سمي الخاص بالمخترع . يقول :

" وقد سمعت أبا علي محمد بن العلاء السجستاني يقول انه ليس لـه

(١) الموازنة ١ / ١١٢ وانظر - ١٢٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٥ - ٥٦

معنى انفراد به واخترعه الا ثلاثة معاني وهى قوله :

تأبى على التصريد الا نائلا الا يكن ماء قراحا يمدق
نزرا كما استكرهت عائر نفحة من فأرة المسك التى لم تفتق

وقوله : بنى مالك قد نهبت حامل الشرى قبور لكم مستشرفات المعالم
رواكد قيس الكف من متناول وفيها على الا ترتقى بالسلالم

وقوله : واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب يعرف المسود (١)

كما سمي الخاص بالمسبوق اليه : يقول . . وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى
فأول من سبق اليه الافوه الا ودى . وذلك قوله :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار (٢)

أما المشترك من المعاني فقد اطلق عليه عدة اصطلاحات أخرى ، فأطلق عليه
الشائع ، قال في قوله : " لو كان ينفخ قين الحي في فحم "
من قول الاغلب :

قد قاطوا لو ينفخون في فحم ما جنبوا ولا تولوا من أمم
وهذا معنى شائع من معاني كلام العرب وجار فى الا مثال أن يقولوا : قد فعلت كذا ،
واجتهدت في كذا لو كنت انفخ في فحم ، لان النفخ في الفحم يحى النار ويشعلها
والنفخ في حطب ليس بفحم ولا أخذت النار فيه لا يورى نارا . (٣)

كما أطلق عليه المتداول :

" وقال في قوله :

لئن تمت الاعداء سوء صباحها فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر

(١) الموازنة ١ / ١٣٧ - ١٣٨ نفس المصدر والجزء ٦٦ /
(٢) نفس المصدر والجزء ١٢٥ / والمعنى هو ما ذكره الطائى من مرافقة الطيور الجارحة
(٣) للجيش (١ / ٦٥) .

من قول مسلم بن الوليد :

لو حاكمك فطالبتك بذحلها شهدت عليك شعالب ونسور
وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتل - معنى
متداول ومعروف ، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم ، لان مسلما قال
لمدوحه : لو حاكمك - يرید الفرقة أو العصب التي لقيتك - في مطالبتك
بمن قتلت منها لشهدت عليك الشعالب والنسور ^(١) .

كما أطلق على المشترك - المستعمل .

" فما أورده أبو الضياء من المعاني المستعملة الجارية مجرى الامثال
ونذكر أن البحترى أخذه من أبي تمام - قول أبي تمام :
جرى الجود مجرى النوم منه فلم يكن
بغير سماح أو طعان بحالهم

وقول البحترى :

وبييت يحلم بالمكارم والعلى حتى يكون المجد جل منام
وهذا المعنى موجود في عادات الناس ومعروف في معاني كلامهم وجار كالمثل
على أسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحب شيئا أو استكثر منه ، فلان لا يحلم الا بالطعام
وفلان لا يحلم الا بفلانه من شدة وجده بها ، وهذا الزنجى ما حلمه الا بالتمر
ولا يقال لما كانت هذه سبيله : سرق وانما يقال له اتفاق ، فان كان واحدا
سمع هذا المعنى أو مثله من آخر واحتذاه ، فانما ذكر معنى قد عرفه واستعمله
لانه أخذه أخذ سرق ^(٢) .

(١) الموازنة ١/ ١٣٣

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٤٦-٣٤٧

واطلق على المشترك كذلك (المعروف) :

" ومن ذلك قول أبي تمام :

لهم نَشَبٌ وليس لهم سمّاح وأجسام وليس لهم قلوب

وقول البحتري :

خلق ممثلة بغير خلائق ترجى وأجسام بلا أرواح
وهذا المعنى أيضا هو أعرف في كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعر أن يأخذه
من آخر ، وهم دائما يقولون : ما فلان الا شبح من الاشباح ، وما هو الا صورة
في حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر " .^(١)

وبين أن بعض المعاني المشتركة قد يأخذها الشاعر من المثل : يقول :

" وقال كعب بن زهير يمدح قريشا :

لا يقع الطعن الا في نحرهم ومالهم عن حياض الموت تهليل

أخذه أبو تمام - على ما ذكر بعض الرواة - فقال يرثى بنى حميد :

لو خر سيف من الجوزاء منصلت ما كان الا على هاماتهم يقع

ويرى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من
قول نادية : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ " .^(٢)

وقوله :

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن فقال لي : لم يمت من لم يمت كرمه

(١) الموازنة ٣٥٢ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨٤ /

وقال : أخذته من قول العتابي :

ردت صنائعہ الیہ حیاتہ فکأنه من نشرها منشور

ومثل هذا لا يقال فيه مسروق ، لانه قد جرى في عادات الناس - اذا مات الرجل من أهل الفضل والخير ، واثنى عليه بالجميل - أن يقولوا : ما مات من خلف مثل هذا الشئاء ، ولا من ذكر بمثل هذا الذكر ، وذلك شائع في كل أمة وفي كل لسان .^(١)

وبين أن معاني السوق من المشترك الرديء - الذي قد لا يهتم بها الناقد فيها - لأن معاني السوق من الرداءة بحيث لا يعتمد بها ولا يمكن قبولها : يقول :

"ولابى تمام في وصف الابل أشيا" ردیئة لم أكتبها ، ومنها قصيدة
يصف فيها ناقة حج عليها - ردیئة جدا أولها :

لعلك ذاكر الطفل القديم وموف بالعهود على الرسوم
له فيها الفاظ مختلفة ومعان من معاني السوق . " (٢)

وقد أطلق الامدى مصطلحات على المعاني ، وكأنه يميزك بغيرك بين معننى
ومعنى ويدلل على ذلك مستشهداً . . ومن هذه المصطلحات التى أطلقها .

(١) الموازنة ١٢٣/١

(٢) الموازنة ٢٨٤ / ٢

غموض المعاني وهاتها

يقول : " وان كنت تميل الى الصنعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالخصوص والفكرة ولا تلوى على ماسوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة " .^(١)

ويقول :

" سئل البحرى عن نفسه وعن أبي تمام فقال : كان أغوص على المعاني مني وأنا أقوم بعمود الشعر منه " .^(٢)

وقال :

" قال صاحب أبي تمام ، انما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه ، وقصور علمه عنه ، وفهمته العلماء وأهل النفاذ في علم الشعر " .^(٣)

استكراه المعانى

وبين الامدى أن هناك معان يستكرها الشاعر : يقول :

" ولان أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ، ويستكره الالفاظ والمعانى وشعره لا يشبه أشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن هذا حذوه أحق وأشبه " .^(٤)

(١) الموازنة ٥ / ١ وانظر كذلك ٤ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ١٢ /

(٣) نفس المصدر والجزء ١٩ /

(٤) نفس المصدر والجزء ٤ - ٥

المعاني المولدة

وأشار الآمدى الى أن هناك معاني مولدة ، ولعله يقصد بها ما جاء به الشعراء المتأخرون من معان لم يسبق اليها الشعراء حيث أشار اليها وهو يتحدث عن التكليف والصنعة عند أبي تمام - مقارنا اياه بمسلم بن الوليد .^(١)

المعاني الفلسفية

ويعنى بها الآمدى ما لا يفهمه الاعراب الا بالتفسير والتوضيح ، يقول :
" فقد عرفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بمعان فلسفية والفاظ عربية فاذا سمع بعض شعره الاعرابي لم يفهمه . واذا فسر له فهمه واستحسنه " .^(٢)

المعاني المستحيلة^(٣)

وقد أشار اليها الآمدى - مستشهدا باشارات من شعر أبي تمام :
يقول الآمدى : " قال صاحب أبي تمام ، فبم تدفمون قول البحترى يرثي
أبا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعراء :

قد زاد في كلفى وأوقد لوعتى	مشوى حبيب يوم مات ودعبل
وبقاء ضرب الخشمى وشبهه	من كل مضطرب القريحة مجبل
أهل المعاني المستحيلة انهم	طلبوا البراعة - والكلام المقفل
أخوى لا تزل السماء مخييلة	تغشا كما يحيا السحاب المسبل
جدت لدى الهواز يبعد دونه	مسرى النعى ورمة بالموصل

(١) انظر ما يدل على ذلك في الموازنة ١ / ٤ - ٥

(٢) الموازنة ١ / ٢٧

(٣) المستحيلة : النادرة التى لم يستطع كل شاعر الا تيان بمثلها فاستحالست على الخشمى وأضرابه .

فمحال أن يرثى البحترى أبا تمام ويذكر من بعده من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنكرون فضل من يمتدح البحترى بفضلهم ، ويشهد في الشعر له به ، وتنسبون العيب اليه وهو ينفيه عنه ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟ " (١)

المعاني المضطربة

ومن المصطلحات التي أطلقها الآمدي على المعاني " الاضطراب " مبينا ما يعنى من ذلك . يقول :

أجل أيها الريح الذي خف أهله	لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله
وقفت وأحشائي منازل للاسى	به وهو قفر قد تعفت منازلـه
أسألكم ما باله حكم البلى	عليه ، والا فاتركوني أسألكـه

وهذا المعنى فيه اضطراب ، لانه قال : أسألكم ما باله حكم البلى عليه والا فاتركوني أسألكـه . فما هذه المسألة منه أو للريح في أن حكم البلى عليه وهو قد قدم السبب الذي من أجله بكى ، وشرحه في البيت الاول بقوله : خف أهله ويقول : " لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله " وهذا هو الذي أبلاه ، لانـه اذا فارق أهله ، وتعفت منازلـه - فقد خرب بلى . " (٢)

(١) الموازنة ٥٣ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٤٨ /

وقد أشار الآمدى الى أن المعانى تتفاوت فى مراتبها - وقد اطلق الفاظا تعطى مدلولات على ذلك ، وبهذا نستطيع أن نقسم المعانى الى مراتب لكل منها مصطلح معين - كما أشار الآمدى . فقد أشار الى المعنى الحسن والمعنى اللطيف ، والمعنى الغريب ، والمعنى الصحيح ، والمعنى الجيد ، والمعنى المستقيم ، والمعنى البار ، والمعنى الفاسد ، والمعنى السىء ، والمعنى السخيف ، والمعنى الواضح ، والمعنى الدقيق ، والمعنى الردى ، والمعنى الصادق ، وضرب لها أمثله تعرضها فيما يلى :

المعنى الحسن والمعنى اللطيف

يأتى الآمدى بذكر الاحسان فى المعنى اذا تعرض لمناقشة بيت أخذه شاعر من شاعر مشيرا الى ذلك . يقول :

" قال مسلم بن الوليد فى وصف الخمر :

قتلت وعاجلها المدير فلم تقدر فاذا به قد صيرته قتيلا

أخذه الطائي فأحسن الاخذ ، فقال :

اذا اليد نالتها بوتر توقرت على ضفنها ثم استقادت من الرجل^(١)

ويقول :

غَيَّيَ العَيْنَ أَوْ فَيَّهَمَ تَغَابَى عن الشدات والفكر القواصى
أخذه أبو تمام فقال وزاد عليه وأحسن :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابى^(١)

وقد يشير الآمدى الى المعنى الحسن دون أن يتعرض لبيان أخذه أو عدمه
بل يعرض البيت والابيات مشيرا الى المعنى الحسن واللطيف . يقول :
قال أبو تمام :

قالت وقد أعلقت كفى كفها حلا وما كل الحلال بطيب
فنعمت من شمرا اذا حجبت بدت من نورها فكأنها لم تحجب
وهذا معنى حسن وقد تقدم الناس فيه وأكثروا^(٢) .

ويقول : " وقال البحتري :

هز منها شرخ الشباب فجالت فوق خصر كثير جول الوشاح
وارتنا خدا يراح له الور د ويشتمه جنى التفاح
قوله : فجالت فوق خصر - كلام حسن .
وقوله : يراح له الور - حسن أيضا .
وقول أبى تمام : كانت وبالا على الور - أحسن منه وألطف وأشبه بما يستعمل فى
هذا المعنى " .^(٣)

ويشير الى الاحسان والحلاوة في القول في موضع آخر يقول :

" قال أبو تمام :

ومقدودة رود تكاد تقدها اصابتها بالعين من حسن القد
تعصفر خديها العيون بحمرة اذا وردت كانت وبالا على الور

(١) الموازنة ١ / ١٠٥

(٢) الموازنة ٢ / ٩١

(٣) نفس المصدر والجزء ٩٧ / ٩٧ وقول أبى تمام يعنى بين البيت :
تعصفر خديها العيون بحمرة اذا وردت كانت وبالا على الور (٢ / ٩٥)

وقال :

وخوطية شمسية رشئية
تصدع شمل القلب من كل وجهة
بمختل ساج من الطرف أحور
من المعطيات الحسن والمؤتياه
وهذه معان حسنة وقول حلو ^(١)

مهففة الاعلى ، رداح المحقب
وتشعبه بالبت من كل مشعب
ومقتل صاف من الثغر أشنب
مجلبة ، أو فاضالم تجلبب

وقد يهتم الأمدى بالتحليل - لبيان حسن المعنى ولطفه . يقول :

" وقال :

الام على هوى ظميا ظلما
اذا انصرفت أضاءت شمس دجن
وقلبي في يدي ظميا عانا
ومال من التعطف غصن بانا

قوله : أضاءت شمس دجن " أى اذا انصرفت مولية بوجهها كان ضوءها
كضوء الشمس من تحت الدجن ، وهوالباس الغيم الافق . وهذا أحسن ما يكون
من المعنى والطفه . أى اذا غاب وجهها حين تولى فأنا منها أيضا فى ضياء
كضياء الشمس من تحت الدجن " ^(٢)

ويجعل الأمدى الحسن درجات أحيانا . يقول :

" قال أبو تمام :

حزن غداة الحزن هاج غليبه
فى أبرق الحنان منك حنين

(١) الموازنة ٢ / ١١٠

(٢) نفس المصدر والجزء / ١١٦

سمة الصباية زفرة ، أو عبرة
لولا التفجع لا دعى هُضْبُ الحصى
متكفل بهما حشا وشئون
وصفا المشقر أنه محزون
(١) وهذا المعنى غاية في حسنه وجودته .

ومثله قوله :

" قال البحتري :

عيش لنا بالابرقين تأييدت
والعيش ما فارقت فذكرته
أيامه وتجددت ذكراه
لهفا ، وليس الهيش ما تنساه
وهذا احسان يزيد على كل احسان " (٢)

وقد يوجه الامدى المعنى الى الوجهة التى يكون معها حسنا ، لا كما
يتصورها السامع لاول وهلة . يقول :

" وقال البحتري :

سقى الله أخلاقا من الدهر رطوبة
ليال سرقناها من الدهر بعد ما
سقتنا الجوى إذ أبرق الحزن أبرق
أضاء بمصباح من الشيب مفروق
تداويت من ليلى بليلى فما شفى
بماء الزبي من بات بالماء يشرق

وهذا من أحسن معنى وأحلاه . وقوله " إذ أبرق الحزن أبرق " أى كما
عهدناه ، لا كما هو فى الوقت من الخراب " . (٣)

(١) الموازنة ١٢١ / ٢ وانظر كذلك ٢٠٧ / ٢

(٢) الموازنة ١٦٠ / ٢

(٣) نفس المصدر والجزء ١٦١

وقد أشار الآمدى أن لطيف المعنى ولو كان قليلا يقوم مقام كثير غيره يقول :
 " . . . وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعاني ومستقرب
 الأوصاف " . (١)

المعنى الغريب

ويعنى به الآمدى المعنى الذى لا يعرف إلا بالكد والفكر . وقد رُسط
 هذا النوع من المعنى بالاغراق في الطباق والتجنيس والاستعارات . يقول :
 " وكذلك ما رواه محمد بن دواز عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه
 أن أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، وأن أبا تمام اتبعه وسلك في البديع
 مذهبه فتحير فيه ، كأنهم يريدون اغراقه في طلب الطباق والتجنيس والاستع
 رات وأسرافه في التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما أتى به
 من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا بعد الكد والفكر وطول التأمل
 ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن والحدس " . (٢)

المعنى الصحيح

يبين الآمدى صحة المعنى - اذا فسره أحد بالخطأ - وهو صحيح ويبرهن
 على ذلك بالتحليل - يقول :
 " أنكروا عليه قوله " (٣)

يخفى الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير اناء

(١) الموازنة ١٣٩/١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) يعنى البحتري .

وقالوا : لو ملئ الاناء دها لكانت هذه حاله .
 والمعنى عندى صحيح لا عيب فيه ، ولا قدح ، وذلك أن الرجل قد دل بهذا
 الوصف على أن شمع الشراب في غاية الغلبة وأن الكأس في غاية الرقة ، واعتمد
 أن وصف الاناء وما فيه ووصف الهيئة على ما هي عليه وإنما أخذ المعنى من قول
 على بن جيلة :

كأن يد النديم تدير منها شعاعا لا تحيط عليه كأس
 ألا ترى أن هذا أيضا قد دل على أن الكأس في غاية الرقة ؟ ^(١)

.. ويرى الامدى أن صحة المعنى لا تتأثر بعيوب النسخ بل تبقى صحة
 المعنى على الرغم من ذلك . يقول :

" وقال :

سأخرق الخرق يا بن خرقاء كال	هيق اذا ما استجم من نجد ه
مقابل فى الجد يل صلب القرا	لوحك من عجبته الى كند ه
تأمله نهده مدخله	لمؤمة محزلة أجده

" ابن خرقاء " : يريد بعميرا .

" والهيق . الظليم . شبهه (به) لنشاطه وسرعته .

والنجد : العرق . أى هو كالهيق فى هذه الحال التى يقدر فيها

فتوره .

مقابل : كريم الآباء والامهات . فى الجد يل : وهو فحل كريم .

لوحك : شد ووثق ، والكتد : ما يتصل بالحارك من العنق .
 والتامك : المرتفع ، وكذلك النهد .
 والطموم : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظم شاخص .
 والمحزئل : المرتفع ، يقال : أحزأل أى ارتفع فى السير .
 وهذه معان صحيحة . ولكن النسج لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه " (١)

المعنى الجيد

ونذكر الآتى أن المعنى الجيد - هو الذى يوضحه الشاعر بذكر العلة
 يقول : " وقال أبو تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الا ول
 أخذه من قول كثير :

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها أبينا ، وقتنا : الحاجبة أول
 وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطريفة
 ان يقول :

أتانى هواها قبل أن اعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكننا
 وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى ، لانه ذكر العلة . " (٢)

ويقول بعد أن ذكر أبياتا لأبى تمام (٣)
 والجيد الصحيح المعنى قول البحتري :

(١) الموازنة ٢/ ٢٧٨-٢٧٩

(٢) الموازنة ١/ ٦٩

(٣) الموازنة ٢/ ٨٦

إذا نضون شغوف الریط آونة قشرن عن لؤلؤ البحرین أصدقا
فشبه أجسامهن فی وقت تجردهن من الثیاب ، باللؤلؤ فی الوقت الذی یقشر عنه
الصدف . (١)

فهو یبین فی هذا البیت سبب الجودة .

المعنی المستلیم

وقد بین الآمدی أن من المعانی ما یطلق علیه المستقیم ، ولكنه لم یوضح
میزته عن غیره من المعانی الا أنه اکتفی بالاشارة الی ذلك مبینا أن المعانی
المستقیمة ما لم یکن لفظها مستکرها ومتعسفا ، وتكون المعانی المستقیمة ذات ،
نسج جید ولفظ حسن یقول :

وقال أبو تمام :

أهدى لها الابرؤس الفویر	هن البجاری یا بجیر
وسائر الدهر فیه سیر	یوم مقام علی وفیر
أو یموا شقة فطیر	فی ثبة ان سرن جن
بنسله واشتکی غریر	قد ضج من فعلهم جد یل
وذا البید ، وذا زهیر	هذا عبید ، وذا زیاد
لوانه فی عصاک سیر	یا لك من همة وعزم
کم مطر بدؤه مطیر	رب قليل جدا کثیر
ما صنع الله فهو خیر	صبرا علی النائبات صبرا

فهذه معان مستقيمة صحيحة ، ونسج جيد ولفظ حسن " (١) إلا أن الأمدى استثنى من هذه المعاني ما لم يره مستقيماً مبنياً على ذلك . . يقول : " ألا قوله : " هن البجاري يا بجير " فانه لفظ متعسف مستكره ، والبجاري جمع بجرية وهو ما يمر بالإنسان من البجر والمصائب . من قوله عليه السلام " أشكو الى الله عَجَرِي وَجَجَرِي فالبجر : جمع بجرة " . (٢)

المعنى البارع

ذكر الأمدى المعنى البارع وربطه بالحسن والصحة - ولكنه لم يعلل براعة المعنى . يقول :

" قال أبو تمام :

نظرت اليه فما استتمت لحظها	حتى تمنيت أنها لم تنظر
ورأت شحوا رابها في وجهه	ماذا يريبك من جواد مضممر
غرض الحوادث لا تزال طممة	ترميه عن شزر بأمر حبوك
سدكت به الأقدار حتى أنها	لتكاد تفجؤه بما لم يقدر

وهذا ما لا غاية وراءه في الحسن والصحة والبراعة " . (٣)

فساد المعنى

بين الأمدى أن من المعاني ما يطلق عليه " فاسداً " وقد أورد ذلك فسي مقارنة بين بيتين لأبي تمام والا خطل . واكتفى بالاشارة أن أبا تمام أفسد المعنى .

(١) الموازنة ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٦٩ / ٢

(٣) نفس المصدر والجزء ٢٨٧ / ٢ وانظر مثالا آخر في ٤٩ / ٢

يقول :

" قال الأخطل :

تدب ديبيا في العظام كأنه دبيب نمال في نقا يتهيبـــــــــــــــــل
أخذه أبو تمام فأفسد المعنى ، فقال :
إذا الراح دببت فيه تحسب جسمـــــــــــــــــه

(١) لما دب فيه قرية من غرى النملـــــــــــــــــل
ولم يوضح العلة التي أفسد بها أبو تمام المعنى .

المعنى السسي

وقد مثل له الآمدى بقوله :

" وسمع أبا نواس قال :

يبكى فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعنــــــــــــــــاب
فقال - وأساء كل الاساءة وقصر وقبح في صدر البيت :

(٢) مطومة بالورد أطلق طرفها في الخلق فهومن المنون محكمـــــــــــــــــ

المعنى السخيف

يقول الآمدى :

" قال أبو تمام :

وما أحد طار الفراق بقلبه بجلد ولكن الفراق هو الجلد

وهذا معنى سخيف جدا" (٣)

(١) الموازنة ٨٨ / ١

(٢) نفسر المصدر والجزء ٩٧ / ٤

(٣) الموازنة ٤٨ / ٢

المعنى الواضح

يقول الآمدى :

" وقال البحتري كأنه يريد هذا المعنى ^(١) على أبي تمام ، وينسب يوم الفراق الى القصر وذكر العلة في ذلك فقال :

ولقد تأملت الفراق فلم أجـد يوم الفراق على امرئ بطويـل
قصرت مسافته على مـتـزود منه لدهر صباة وعويـل

وهذا انما هي حال من كان محبوبا منه - ورؤيته متعذرة عليه مثل يوم الفراق ، وقد بين هذا المعنى بقوله :

ان للبين منه لن تـؤـدى وبدا فى تماضر بيضـاء
حجبوها حتى بدت لفراق كان داء لما شقق ودواء
أضحك البين يوم ذاك وأبكى كل ذى صهوة ، وسر وساء
فجعلنا الوداع فيه سلاما وجعلنا الفراق فيه لقاء

وهذا مذهب صحيح ومعنى واضح " . ^(٢)

المعنى الدقيق

وأشار الامدى الى دقيق المعنى ، عندما ناقش بيتا للنمرى وأبياتا قبله
لابى تمام - وأشار الامدى الى أن المعانى الواردت ليست من دقيق المعانى التى
يتهم آخر أنه أخذها من أول . ^(٣)

(١) يعنى به (طول يوم الفراق)

(٢) الموازنة ١٥ / ٢

(٣) انظر الابيات وتعليق الآمدى ٥٥ / ٢

المعنى الردى

وقد أوضح الأمدى العلة التي جعلت المعنى رديًا في بيت لأبي تمام :
هو قوله :

من حرقه أطلقتها فرقة أسرت قلبا ، ومن عدل في نحره غزل

وقوله : " أسرت قلبا " يعني الفرقة - معنى ردى* ، لان القلب انما يأسره
ويملكه شدة الحب لا الفراق . فان لم يك مأسورا قبل الفراق فما كان هناك حب .
فلم خص التوديع ؟ وما كان وجه هذا البكاء والاستهلال والزجل ، وهذا
القصة الغظيمة التي وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟^(١)

المعنى الصادق

وذكر الأمدى أن من المعاني ما يكون صادقا ، ويهبط صدق المعنى بصحته
وسلامته من عيوب المعاني ، يقول في قول البحترى :

واني وان ضئت عليّ بودها	لارتاح منها للخيال المؤرق
يمز على الواشين لو يعلمونها	ليال لنا نزار غيها وتلتقى
فكم غلة للشوق أطفأت حرها	بطيف متى يطرق دجى الليل بطرق
أضم عليه جفن عيني تملقا	به عند اجلاء النعاس المرنق

فقوله : " أضم عليه جفن عيني تملقا " من أحسن كلام ، وأصح معننى
وأصدقه وأكثره ، وكثيرا ما ينال أكثر الناس ذلك عند اجلاء النوم ، وابتداء اليقظة
إذا كان في رؤيا يلذها .^(٢)

(١) الموازنة ٢ / ٤٤

(٢) نفس المصدر والجزء ١٧٥

وذكر الأمدى عن تناقض المعنى أن الشاعر قد يأتي بمعنى في بداية
أبياته ثم يأتي بما يناقضه إلا على المقصود من المعنى الأول : يقول :
" قال أبو تمام :

أتضعضت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعض الا ظلام
لا تتشجن لها ، فان بكاءها ضحك ، وان بكاءك استفرام
هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام
يقول :

وهنا مراضات عورض بها أبو تمام في هذه الأبيات ، وهى أن قيل :
قوله : " أتضعضت عبرات عينك " انكار على نفسه البكاء من أجل دعاء حمامة
كأنه يخس أمرها فما وجه قوله : " فانهن حمام " فسهل أمرها أولا ، ثم
أعظمه هذا التعظيم آخر . هذا عين المناقضة ، ثم من ذا رآه قتله بكاء
الحمام حتى يجعلهن حماما ؟ وزعم أن بكاءها ضحك ، والحمام انما ينوح لفقد
الفه وفراخه فيطيل الترنم والنوح ، فكيف يكون ذلك ضحكا أو كالضحك ؟ (١)

وذكر الأمدى أن التحمل في المعنى يكون بايراد الشاعر معنى في غير موضعه
بحيث يكون المعنى غير لائق ، يقول عن قول الشاعر :

يتماوران من الفبار سلااة سوداء راجية هما نسجاها
تطوى اذا علوا مكانا ناشرا واذا السنايك اسهلت نشرها (٢)

(١) الموازنة ٢ / ١٤٢

(٢) وقد ذكر الأمدى البيتين بعد أبيات لأبي تمام منها :
فتى النكبات من يأوى اذا ما قطفن به الى خلق وسما ع
ويثير عجاذة فى كل ثغر يهيم بها عدي بن الرقاع

وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة . فجعل أبو تمام عديا ممن هام
بهذه المجاجة ، أتى بوصفها اعجابا بها ، وأن ناقته أيضا تثير عجاجة في كل
ناحية كهذه المجاجة .

وهذا تحمل منه لمعنى غير لائق بما هو بسبيله من ذكر سيره . (١)

وقد ذكر الامدى ذلك وهو يقارن بين هذين البيتين بعد أبيات لأبى
تمام يصف فيها مطية تثير الغبار - كما وصف عدى بن الرقاع العير والاشان
وما يثيرانه من الغبار في السهل من الارض - وقارن الامدى بين أبيات أبى تمام
وبيتى عدى الانفي الذكر . وبين أن المعنى الذى ورد في هذين البيتين غير لائق
بما هو بسبيله من ذكر سيرة .

وأشار الامدى الى أن الشاعر كثيرا ما يأخذ المعنى ويزيد عليه (٢) أو يأخذه
ويقصر فيه (٣) أو يأخذ المعنى ويأتى بعكسه . (٤)

وتحدث الامدى عن علاقة المعنى بحسن العبارة وبين أن الشاعر اذا
أحسن العبارة عن المعنى جاء المعنى جيدا ولا ثقا وحسنا وفضل جميع المعانى
التي جاءت متعلقة بموضوعه ، يقول :

(١) الموازنة ٢/٢٧٥ وانظر هامش صفحة ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) الموازنة ١/٦٥

(٣) نفس المصدر والجزء ٧٣، ٩١، ١٠٤، ٧٨، ٧٩، ٨٣

(٤) الموازنة ١/٧٨

" وقال أبو تمام :

وأخرى لحتنى حين لم أتبع الهوى قيادى ولم ينقض زماعى ناقض
أرادات بأن يحوى الرغبات وادع وهل يفرس الليث الطلى وهو رابض
وهذا بيت الباب كله ، فانه لا يعرفه أجود منه ولا أليق ولا أحسن وعلى أنه معنى
مأخوذ من مثل الاسد : قيل له : لم أنت غليظ الرقبة ؟ فقال : لا السزم
مهدرى وأكل فى فريستى على غيرى .

وقد سمعت فيه شعرا أيضا منظوما ، ولكن أبا تمام أحسن المباررة عن
المعنى جدا " . (١)

وبين الأمدى أن موقع المعنى لا يقاس بالحسن أو القبح الا اذا ارتبط
بما يسمى عند البلاغيين (مقتضى الحال) - وهذا يعنى أنه لا بد من التناسب
بين وضع المعنى موضعاً ومراعاة حال السامع . يقول فى قول أبي تمام :
قدك اثبأربيت فى الفلواء كم تعذلون وانتم سجرائسى

" أما قوله : " قدك اثبأربيت فى الفلواء " فانها ألفاظ صحيحة فصيحة
من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم
ولا وحشى كلامهم ، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها فى مصراع
واحد وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل فقال : " قدك اثبأربيت
فى الفلواء " فصار قوله " قدك اثبأربيت " كأنهما كلمة واحدة على وزن مستفعل ، وضم
اليه " أربيت فى الفلواء " فاستهجن .

ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه ، لان الاعرابي انما ينظم كلامه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا : حسبك استحي زدت وظوت . وهذا كلام حسن بارع .^(١)

وبين الامدى أن المعنى الذي يأتي في غرض من أغراض الشعر قد يكون ، أصح لو استعمل في غرض آخر ، مبينا ذلك ارتباط المعاني بأغراض الشعر يقول : " وقال البحترى :

وان اغتراب المرء في غير بغية	يطالبها من حيفد هر يطالبه
فليس بمعدور ان ارث سره	عليه بأن تعيا عليه مذاهبه
ويمطيه مرجو المواقب مسرعا	اليه ركوبا لا مر تخشى عواقبه
أرجى وما نفع الرجاء ان التقت	مناحس أمر مجحف ومخاطبه
وما يعنى النفس كل عنائهما	توقعها الصنع البعيد تقاربه

وهذا البيت يصلح أن يكون في باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتقن المعانى وأحسنها .^(٢)

وقد وضع الامدى قواعد نقدية - طلب توفرها - ليكون المعنى واقعا موقعا حسنا - وقد اشترط لتحقيق ذلك شروطا نقدية يتحقق معها وصول المعنى الى مرتبة عالية من المكانة والانسجام والافسان ذلك لا يمكن تحقيقه .

(١) الموازنة ١ / ٤٧٠ - ٤٧١

(٢) نفس المصدر ٢ / ٢٧١

يقول : " وليس الشعر عند أهلي العلم به الا حسن التأتي ، وقرب المأخذ واختيار الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لا ثقة بما استعملت له وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف " . (١)

وبين الآمدى أن البلاغة هي اصابة المعنى ، ولذلك فلا بد للشاعر والخطيب صاحب النثر من البلاغة - ووضع حدود هذه البلاغة يتم معها ادراك الهدف المطلوب . يقول :

" قالوا :

وهذا أصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ، لان الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة انما هي اصابة المعنى وادراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف كافية ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحتري :

والشعر لمع تكفى اشارته وليس بالهذر طوالت خطبه
وكما قال أيضا :

ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعميد
وركن اللفظ القريب فأدرك ن به غاية المراد البعيد (٢)

(١) الموازنة ١ / ٢٣٤

(٢) نفس المصدر والجزء / ٢٤٤

وبين الآمدى أن البلاغة اذا اتفقت مع المعنى اللطيف أو حكمته الغريبة
أو الادب الحسن فذاك زائد في بهاء الكلام ، وان لم تتفق مع شىء من ذلك
فقد أدت المعنى بحيث قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه ^(١) .

وبين الآمدى أن اللجوء الى استعمال دقيق المعانى وخطتها بالفلسفة
ينزلها الشاعر عن مرتبة الشعراء . يقول :

" قالوا : واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته
مقصرة عنها ، ولسانه غير مدرك لها حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة
يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة
ونسج مضطرب ، وان اتفق في قضا عيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليم النظر
قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فان شئت دعوناك حكيما ،
أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرا ، ولا ندعوك بليفا ، لان طريقتك
ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فان سميناك بذلك لم نلحقك
بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء " ^(٢) .

ويهتم الآمدى بملاءمة اللفظ للمعنى حتى يعطى الصورة الحسنة
المتكاملة . يقول :

" واذا نبأ لطيف المعاني في غير بلاغة ، ولا سبك جيد ولا لفظ حسن
كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق ، أو نقش العبير على خد الجارية
القبیحة الوجه " ^(٣) .

(١) انظر ما يدل على ذلك في الموازنة ١ / ٢٤

(٢) الموازنة ١ / ٢٥

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

وقد جعل الآمدى المعنى أهم شىء في صحة التأليف - وجعل صحة التأليف بعد ذلك - يقول :

" فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائه بعد صحة المعنى فكل من كان أصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة - ممن اضطرب تأليفه " .^(١)

وقد اهتم الآمدى اهتماما كبيرا بالمعاني وجعلها غايته في النقد . يقول وهو يتحدث عن الموازنة :

" وكان الاحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التى اليها المقصد وهى المرمى والغرض " . .^(٢)

ويمتد الآمدى المعنى صورة أساسية في صناعة الشعر ، فهو ينقل رأى العلماء فى أن الشعر لا وجود وتستحكم صناعته الا بأربعة أشياء : جودة الالسة واصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف والانتهاى الى تمام الصنعة من غير نقص ولا زيادة عليها ، واصابة الغرض تقابل العلة الصورية التى بين الآمدى أنها المعنى - الذى يفهم به المقصود من هذه الصناعة ويظهره " .^(٣)

وقد ربط الآمدى بين الاستعارة والمعنى - مبينا أن الاستعارة لا تستعمل الا فيما يليق بالمعاني . يقول فى قول أبي تمام :

(١) الموازنة ١ / ٢٩٤

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) انظر ما يدل عليه مفصلا فى الموازنة ١ / ٢٦٤-٢٦٧ .

بسباحة تنساق من غير سائق وتنقاد في الآفاق من غير قائد
 جلامد تخطوها الليلي وان سرت لها موضعات في رؤوس الجلامد
 فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهي تنساق من غير سائق وتنقاد في
 الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليلي ولا تؤثر فيها ،
 وهي أميتت وأبطلت ؟

فان قيل : هذا كله انما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة ، قيل : الاستعارة
 لا تستعمل الا فيما يليق بالمعاني ، ولا تكون المعاني به متضادة متنافية .
 ولهذا حدود اذا خرجت عنها صارت الى الخطأ والفساد .^(١)

وبين الآمدى أن العرب لا تستعير المعنى لما ليس له الا بشروط معينة
 والا فانه يكون في غاية القباحة والهجانة والفتاثة والبعد عن الصواب . يقول :
 " . . . وانما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه أو يناسبه
 أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعمارة
 حينئذ لا ثقة بالشئ الذي استعيرت له وملائمة لمعناه نحو قول امرئ القيس :
 فقلت له لما تمطى بصلبـه وأردف اعجازا وناء بكلـكـل
 وقد غاب امرأ القيس بهذا البيت من لم يعرف موضوعات المعاني والاستعارات
 ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة .^(٢)

(١) الموازنة ٢٥٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٦٦ /

ثم يقول بعد الادلاء بالتحليل والتعليل للاستحسان في هذا البيت:
 " وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة لشدة ملائمة معناها لمعنى ما استمير
 له " (١) ويقول : ونحو ذلك قول طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقات شحم سنامها الرجل
 لما كان شحم السنام من الاشياء التى تقتات ، وكان الرجل أبدا يتخوننه
 ويتنقض منه ، ويذيه - كان جعله اياه قوتا للرجل من أحسن الاستعارات وأليقها
 بالمعنى " . (٢)

وبين الآمدى أن انكشاف المعنى وغموضه يتعلق بالطبع والصنعة (٣) فالشاعر
 المطبوع يأتى معناه منكشفا واضحا - وصاحب الصنعة ينسب معناه الى الغموض
 ولذلك فانه وجد أن أنصار البحرى انما هم الذين يميلون الى الطبع ويشايعونه
 وهم الكتاب والاعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة وأما من فضل أبا تمام
 ونسبه الى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح
 واستخراج فهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق
 وفلسفى الكلام .

(١) الموازنة ٢٦٦/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٢٦٧/١

(٣) انظر ما يدل على ذلك جميعا في الموازنة ٢٦٦/١ - ٢٦٧/١ - ٢٦٨/١ - ٢٦٩/١

الفصل الرابع

السرقات الشعرية

تعتبر قضية السرقات من أهم القضايا النقدية التي أثارها النقاد العرب ويعتبر الامد من كبار النقاد الذين اهتموا بهذه القضية اهتماما كبيرا ووقف منها مواقف واضحة وأضاف الى ما سبق به النقاد اضافات جديدة .

يرى الامد أن كثرة السرقات سببها حفظ الشعر العربي والاحاطة به ، يقول عن سرقات أبي تمام : " كان أبو تمام مستهترا ^(١) بالشعر مشغوفاً به مشغولاً مدة عمره بتبحره ودراسته وله كتب اختيارات مؤلفة فيه مشهورة معروفة " . ^(٢)

ثم يذكر اختيارات أبي تمام التي جمع فيها عيون الشعر العربي ^(٣) ويبين أن هذه الاختيارات : " تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به وجعله وكسده واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه وانه ما فاته كبير شئ من شعر جاهلي ، ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه وطالع فيه " ^(٤) ويقول : " ولهذا ما أقول ان الذي خفي من سرقاته أكثر مما ظهر منها على كثرتها " . ^(٥)

فلاشك أن ما ذكره الامد من اهتمام أبي تمام بالشعر وحفظه والتأليف فيه كان له مردود على شعره .

(١) مولعا

(٢) الموازنة ٥٨ / ١

(٣) نفس المصدر والجزء ٥٨ - ٥٩

(٤) نفس المصدر والجزء ٥٩

(٥) نفس المصدر والجزء ٥٩ بالصفحة

ولا يعد الآمدى سرقة المعاني من كبير مساوىء الشعراء ، خاصة المتأخرين وحجته في ذلك أن سرقة المعاني باب ما تعسر منه متقدم ولا متأخر مقتديا بأهل العلم بالشعر ، يقول : " وكان ينبغي أن لا أذكر السرقات فيما أخرجته من مساوىء هذين الشاعرين لاننى قدمت القول في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء ، وخاصة المتأخرين ان كان هذا بابا ما تعسر منه متقدم ولا متأخر " . (١)

ويرى الآمدى أن مما يدعو الى سرقة المعاني ملازمة الشاعر للشاعر وكثرة ما يسمعه عنه مما يجعله يأخذ كثيرا من معانيه ، ولهذا أورد فيما ذكره احتجاجا للخصمين ، أنصار البحترى وأبي تمام ما يؤيد ذلك . يقول " أما ادعواكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا : أنه غير منكر أن يكون أخذ منه لكثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبي تمام فيتعلق معناه : قاصدا للاخذ أو غير قاصد " . (٢)

فسرقة المعاني هنا جاءك من كثرة ما يسمعه الشاعر ويشترك فيه مع غيره . وموقف الآمدى من سرقة المعاني لا يختلف كثيرا عن موقف الجاحظ ، الذى يرى أن المعاني مشتركة وانما الابداع هو الذى يعوز من يأخذها وينسقها مع الالفاظ ، يقول الجاحظ : " المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها المعجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى ، وانما التشابه اقامة الوزن وتخفيف اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك " . (٣)

(١) الموازنة ١/ ٣١١

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٥

(٣) الحيوان ٣/ ١٣١-١٣٢

وهو يرى أن السرقة إنما يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك
يقول : " وإنما السرقة يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان
من هذا الباب فهو الذي أخذه البحتري من أبي تمام . . " (١)

واهتمام الأمدى بالسرقات إنما يبرز في دراسته لشعر أبي تمام ، وعند ما
يمتدرب بأن سرقة المعاني لا تعد أمراً هاماً فكأنه يريد أن يبرىء البحتري
من هذا . . على الرغم من أنه اعتذر لأبي تمام بأن كثرة سرقاته مردها كثرة
احاطته بشعر العرب واطلاعه عليه واضطلاعه بجمعه وترتيبه . يقول " وكان ينبغي
أن لا أذكر السرقات فيما أخرج من مساوي هذين الشاعرين ، لأنني قد قدمت
القول في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني
من كبير مساوي الشعراء . وخاصة المتأخرين إذ كان هذا باباً ما تعرى منه
متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول وسابق ، وأنه أصل
في الابتداء والاختراع ، فوجب اخراج ما استعاره من معاني الناس ، ووجب
من أجل ذلك اخراج ما أخذه البحتري أيضاً من معاني الشعراء ، ولم أستقص
باب البحتري ، ولا صرفت الاهتمام إلى تتبعه ، لأن أصحاب البحتري لم
يدعوا ما ادعاه أصحاب أبي تمام لأبي تمام . . " (٢)

وليست حجة الأمدى بذلك علمية - لأنه لا بد - وهو في موقف الحكم -
أن يورد ما للشاعرين من المساوي والمحاسن في شتى الأبواب على حال سواء
وأن يصرف النظر عن احتجاج من جادل فيهما انتصاراً أو خصومة لأن ذلك

(١) الموازنة ١ / ٥٥ ، ٥٦

(٢) نفس المصدر والجزء ٣١١ - ٣١٢

يعطى حكماً وانصافاً وموضوعية. وهو وإن كان في اهتمامه بسرقات أبي تمام للسبب الذي ذكر قد انصفه مع غيره من النقاد حين يقول " وجدت ابن أبي طاهر قد خرج سرقات أبي تمام فأصاب في بعضها وأخطأ في البعض لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشارك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقاً " (١) إلا أنه لم ينهج ذلك نهجاً واضحاً في كل ما أورد من حجج .

ويقسم الآمدى السرقات أقساماً عدة ، ويورد الأمثلة من شعر الشاعر ومن شعر من سبقه . ويفصل ذلك تفصيلاً دقيقاً . وهو بذلك ينهج نهجاً نقدياً سليماً . ويعالج الآمدى السرقات مبنياً لأنواعها المختلفة وموقفه منها كما يلي :

١ - السرقعة الحسنة :

" قال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

قتلت وعالجها المدبر فلم تقدر
أخذها الطائي فأحسن الأخذ فقال :

إذا اليد نالتها وترتوقرت
على ضفتها ثم استقادت من الرجل " (٢)

فالآمدى هنا يرى أن بيت أبي تمام مسروق من معنى بيت مسلم . إلا أن أبا تمام قد أحسن الأخذ ؛ وللآمدى رأى آخر حول البيت نفسه ، فهو يرى أن الأخذ إن كان من بيت ديك الجن الذي يقول :

تظل بأيدينا تتمتع روحها
وتأخذ من أقدامنا الراح ثأرها " (٣)

(١) الموازنة ١/ ١١٢

(٢) نفس المصدر والجزء / ٦٠ - ٦١

(٣) نفس المصدر والجزء / ٦١

فلا احسان فيهم ولا يحكم الآمدى على أيهما أخذ من صاحبه لانهما في عصر واحد .

ولعل الآمدى بموقفه هذا لا يرى ضررا على الشاعر من السرقة اذا أحسن
الأخذ وكأنه بذلك يثنى على جهد الشاعر في هذا المجال - ولا يستحسنه اذا
أخذ فأساء وهو لم يعط حكما على أبي تمام ، لانه لم يستطع أن يحكم على أنسه
أخذ المعنى من شعر ديك الجن . أو أن ديك الجن هو الذى أخذ لأنهما
متعاصران .

٢ - السرقة مع الطاف المعنى :

" قال الاعشى :

وأرى الغواني لا يواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمرء
فأخذ الطائي المعنى والطفه فقال :
أحلى الرجال من النساء مواقفاً من كان أشبههم بهن خدودا
وقال البعيث :

وانا لنعطى المشرفية حقها فتقطع في ايماننا وتقطع
فقال الطائي :

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فتقطعاً " (١)

فقد أخذ أبو تمام المعنى والطفه . فالاعشى يقول : (ان الغواني لا
لا يواصلن الشيخ ولكنهن قد يواصلن الأمر) والطائي يقول (ان الشباب

الأمر أقرب الى نفوس النساء) .

والبعيث يقول : (اننا نضرب بالمشرفية بشجاعة فهي تقطع في أيدينا حتى
تتقطع) .

وأبو تمام يقول : (أنت كالسيف الذي لا قى ضريبة فقطعها ثم تقطع) .
ويلاحظ أن أبا تمام ألطف المعنى الذي أخذه من الاعشى . والمعنى الذي
أخذه من البعيث .

وقد يأخذ الشاعر المعنى الواحد من شاعرين ثم يعتمد الى إلفاده . من ذلك
قول أبي تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا	على مثلها والليل تسطو غياهبه
لا مر عليهم أن تتم صدوره	وليس عليهم أن تتم عواقبه
أخذ صدر البيت الاول من قول كثير :	
وركب كأطراف الاسنة عرجوا	قلائص في اصلاهن نحول
ويشبه قول البعيث :	

أطافت بشمت كالاسنة هجد	بخاشمة الاشواء غير صحونها
------------------------	---------------------------

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر .

غلام وغى تقحصها فأبلى	فخان بلاءه الزمن الخؤون
فكان على الفتى الاقدام فيها	وليس عليه ما جنت المنون ^(١)

فالشاعر هنا أخذ معنى البيتين من شاعرين ، وألطف المعنى كما يرى الآمدى .

٣ - التقصير في السرقة :

بين الآمدى أن الشاعر قد يسرق ولكنه يقصر في المعنى عن سابقه :
" قال الطائي :

والشيب ان طرد الشباب بياضه كالصبح أحدث للظلام أفولا
أراد قول الفرزدق :

والشيب ينهني في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهـار
فقصر عنه " . (١)

٤ - الخلط في السرقة :

ويرى الآمدى أن الشاعر قد يأخذ المعنى ويخلط فيه وقد ساق ذلك مثلاً :
" قال الحطيئة :

إذا هم بالاعداء لم يثن هممه حصان عليها لؤلؤ وشنوف
فأخذه كثير فقال :

إذا ما أراد الغزولم يثن هممه حصان عليها نظم دور بزمهمها

وأخذه الطائي فخلط ، لقصد ه الى مجانسة اللفظ والمطابقة فقال :

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصب " (٢)

(١) الموازنة ٦٤ / ١ وانظر ٧١ ، ٨٣

(٢) الموازنة ٦٥ / ١

فقد أخذ أبو تمام المعنى ولكنه خلط ، فالشاعران بينا في مدحهما أنه لا يثنى المدوح عن هم الحصان الحسناء المترنية ، فقصد أبو تمام الى نفس المعنى ولكن اتيانه بالمطابقة جعل في المعنى خلطاً يتبادر الى ذهن السامع على الرغم من أنه قصد الى برد الثغور في الشطر الثاني ما قصده الشاعران في شطري البيتين ولكن المطابقة بين كلمتي (الثغور) جعلت في المعنى خلطاً لم يستحسنه الآمدي . .

هـ - الزيادة في المعنى : ويرى الآمدي أن الشاعر قد يسرق المعنى ولكنه يزيد عليه يقول : قال مسلم بن الوليد
قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرحل
أخذه الطائي فقال :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل
فأتى في المعنى بزيادة . وفى قوله : " إلا أنها لم تقاتل " وجاء به في أول بيتين (١) :

" وقال النابغة ، وكان الأصمعي يتمجب من جودته :
وعيرتنى بنو ذبيان رهبتهم وهل على بأن أخشاك من عار
أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه ذكر الموت :
خضعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عار (٢)

(١) الموازنة ٦٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨٤ /

" وقال دعبل فن على :

واسمر في رأسه أزرق مثل لسان الحية الصادي
أخذه الطائي فقال :

مشققات سلبن الروم زرقتهما والمرب سمرتها والعاشق القضا
فزاد في المعنى بأن شبه زرقتهما بزرقة الروم ، وسمرتها بسمرة المررب وبذكر القصف
ولكن قول دعبل : " مثل لسان الحية الصادي " معنى ما لحسنه نهاية " (١)

فأبو تمام أخذ المعنى وزاد عليه ، ولكنه لم يدرك حسن دعبل في معناه ،
وبهذا يدل الامدي على أن كثرة المعنى لا يدل بأي حال على احسان الشاعر
فيه فقد يدرك الاحسان شاعر آخر قلل المعنى وأحسن فيه .

٦ - الجمع بين الزيادة والاحسان :

ويقرر الامدي أن الشاعر قد يجمع بين الحسن والزيادة في المعنى بمجرد
أن يسرق المعنى من شعر آخر ، وهذا يخالف ما ذكره عن سرقة أبي تمام المعنى
من شعر دعبل مع الزيادة في المعنى دون الاحسان فيه . يقول :

" قال أبو العارم الطائي :

غبي العيين أو فهم تغابى
عن الشدات والفكر القواصي
أخذه أبو تمام فقال وزاد عليه وأحسن :
ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابى " (٢)

(١) الموازنة ١ / ٨٠ - ٩٤

(٢) نفس المصدر والجزء ١٠٥

٧ - الخطأ في المعنى :

وقد يسرق الشاعر المعنى ولكنه يخطئ * ومثال ذلك عند الآمدي قول أبي تمام
" وقد ظلمت عقبان أعلام ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل " (١)

قال الآمدي :

" وأخطأ أيضا في المعنى بقوله : " في الدماء نواهل " والنهل : هو الشرب
الاول ، والقل : الشرب الثاني ، والعقبان لا تشرب الدماء وإنما تأكل اللحم " (٢)

٨ - تصويب المعنى :

ويرى الآمدي أن الشاعر قد يسرق المعنى الخاطئ ويصوبه ، وكأنه بذلك
أتى بجديد في المعنى . يقول :

وقال مسلم بن الوليد في الحجاب ، فأخطأ المعنى :
كذلك الغيث يرجى في تحجبه حتى يروى مسفرا عن وابل المطر
أخذه أبوتام فقال :

ليس الحجاب بمقص منك لي أملا ان السماء ترجى حين تحتجب
الا أن لبيت أبي تمام وجهها من الصواب * (٣)

٩ - نقل المعنى لفرض آخر :

وقد يسرق الشاعر المعنى من شاعر آخر ولكنه ينقل المعنى الذي فرض آخر .
وقد أورد الآمدي أمثلة على ذلك . يقول :

(١) الموازنة ٦٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء / ٦٥ - ٦٦

(٣) نفس المصدر والجزء / ٧١

" قال جرير :

وهن أضعف خلق الله أركاننا

أخذه أبو تمام فجعله في وصف الخمر فقال :

و ضعيفة فاذا أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضعفاء " (١)

" وقال امرؤ القيس :

سموت اليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

أخذه أبو تمام وعدل به الى المديح فقال :

سما للعلام جانبها كليهما سمو حباب الماء جاشت غواريه " (٢)

" وقال تميم بن أبي بن مقبل :

قد كنت راعي أباكر منعمة فالיום أصبحت أراعي جلة شرفا

يريد عجائز

أخذه الطائي فقال : وعدل بشطر المعنى الى وجه آخر فأحسن :

كنت أراعي الخدود حتى اذا ما فارقوني أمسيت أراعي النجوم

فقد عدل الشاعر بالمعنى المسروق الى معنى آخر ، فبيت جرير كان في الغزل فسرق أبو تمام المعنى وعدل به الى وصف الخمر ، كما عدل بالمعنى المسروق من بيت امرؤ القيس في الغزل الى المدح ، وعدل بالمعنى الذي سرقه من بيت ابن مقبل الى معنى آخر في الغزل ، فأحسن . وهكذا يظهر لنا أن الشاعر قد يسرق المعنى فيعدل به الى معنى آخر ، وقد عد الامد في ذلك في السرقات .

(١) الموازنة ٧٦/١ - ٧٧

(٢) نفس المصدر والجزء ٨١

١٠ - التقصير والانحراف عن المعنى :

ويرى الامدى أن من السرقات ما يكون فيه تقصير في المعنى وانحراف عنه
يقول :

" وقال ذو الرمة :

وليل كجلباب المروس اذ رعته بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي ، وأبيض صـارم وأعبس مهري وأروع ما جـدد

أخذ أبو تمام فقال وقصر وليس هو المعنى بعينه :

البيد والعبس والليل التمام معا ثلاثة أبدا يقرن في قرن " (١)

فالآمدى يرى أن أبا تمام قد سرق المعنى من ذى الرمة . وقصر فيه ، وليس هو
المعنى بعينه . . وبين أن الذى تبع ذى الرمة فأحسن الاتباع الوليد عبيد
البحترى في قوله :

يا خليلي بالسواجير من ود د بن معن ومحتر بن عتود
اطلبا ثالثا سواى فانسى رابع العيس والدجى والبيد " (٢)

١١ - عكس المعنى الاول :

وبين الامدى أن السرقة قد تكون بعكس المعنى الاول ، ومع ذلك قد
يأتى الشاعر بزيادة ويكون ذلك احسانا منه . يقول الامدى :
" وقال أبو الهيثمية :

(١) الموازنة ٨٣ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨٣ - ٨٤ وانظر ٩١ /

كم نعمة لا تستقل بشكرها — لله في طي المكاره كما منه
أخذه الطائي فقال وأحسن ، لانه جاء بالزيادة التي هي عكس المعنى الاول :
قد ينعم الله بالهلوى وان عظمت ويهبط الله بعمى القوم بالنعمة (١)

١٢ - سرقة المعنى من أكثر من بيت :

وبين الآمدى أن من أنواع السرقات ما تكون فيه سرقة المعنى من أكثر من بيت . يقول :
" وقال أبو العتاهية :

وأنا اذا ما تركنا النوا — ل فلم نهغه فيه بيتدينا
وان نحن لم نبع معروفه — فمعروفه أبدا بيتفيننا

وقال مسلم بن الوليد في معنى بيت أبى العتاهية الاول :
أخ لي يعطيني اذا ما سألته — ولولم أعرض بالسؤال ابتدانيا
وأخذ أبو تمام معنى هذا البيت ومعنى بيت أبى السعتهية الاول فقال :
ورأيتنى فسألت نفسك سيها — لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى
أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رأيت المصطفى هارون يعطى — عطاء ليس ينتظر السؤال (٢)

فقد أخذ أبو تمام معنى بيته من بيت أبى العتاهية الاول وبيت مسلم بن الوليد
وهذا من أنواع السرقات التى أشار اليها الآمدى وتنبه لها .

(١) الموازنة ٩١ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء / ٩٥-٩٦ ويبدو بيت أبى العتاهية الاول غير مستقيم الوزن .

ويفاضل الآمدى بين ذلك وبين بيت آخر حين يقول :

" وأجود من هذا كله قول سلم الخاسر :

أعطاك قبل سؤاله فكفأك مكروه السؤال

ومن هنا نرى أن الآمدى يعالج مثل هذه القضايا بالمقارنة والبيان أحيانا وبالمفاضلة أحيانا أخرى وكأنه بذلك يرصد ما للشاعر وما عليه من الحسنات والمساوئ في السرقات .

١٣- السرقة مع جمع معنى بيت في صدر بيت والاثنيان بمعنى يليق في العجز :

ومما جعله الآمدى من أنواع السرقات : سرقة المعنى من بيت وجمعه فسى

صدر بيت ، واتمام البيت بمعنى يليق بالمعنى المسروق ، يقول :

" وقال المرار الققعسى في وصف الأثافي :

أثر الوقود على جوانبها بخدودهن كأنه لطم

فأخذه أبو تمام فقال :

أثاف كالخدود لطم حزننا ونوى مثل ما انفصم السوار

أورد المعنى في مصراع . وأتى في المصراع الثاني بمعنى آخر يليق به فأجاد . ١ لا

أن بيت المرار أشرح وأظهر معنى لقوله : " أثر الوقود على جوانبها ، فأبان

المعنى الذى من أجله أشبهت الخدود المطبوعة " . (١)

١٤- سرقة اللفظ والمعنى جميعا :

وذكر الآمدي أن من السرقات ما يكون في اللفظ والمعنى جميعا .
 "وقالت مريم بنت طارق ترثي أخاها في أبيات أنشدناها ابن الأنباري في أماليه :
 كنا كأنجم ليل بيننا قمـــــر يجلو الد جافهوى من بيننا القمر
 أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال :
 كأن بنى نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر
 أو أخذه من قول جرير يرثي عبد الملك :
 أمسى بنوه وقد جلّت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر
 ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه ؟ أمريم أخذت من جرير ؟ أم جرير أخذ
 منها ؟" (١)

" وقال الفرزدق يهجو جريرا :

انتم قرارة كل مدفع ســـــوءة ولكل سائلة تسير قرار
 أخذه أبو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال :
 وكانت لوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار (٢)

وقال آخر ، وأنشده ابن أبي طاهر والا خفش للارقط بن زغيل :
 نهذه د موعك من سح وتسجام البين أكثر من شوقي وأسقامي
 وما أظن د موع العين راضية حتى تسح د ما هطلا بتسجام

(١) الموازنة ٢٢/١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨٢/

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما فقال :

ما اليوم أول توديعي ولا الثاني البين أكثر من شوقي وأحزاني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغنى أقصى خراسان (١)

١٥- أخذ المعنى مع اكثار اللفظ :

قال النظار بن هاشم الاسدي :

يعف المرء واستحيا ويبقى نبات العود ما بقى اللحماء
وما في أن يعيش المرء خير اذا ما المرء زايله الحياء

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما فقال :

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحماء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء (٢)

١٦- السرقعة مع الالمام بالمعنى :

" وقال جرير في يزيد بن معاوية :

الحزم والجود والايمان قد نزلوا على يزيد أمين الله فاخطفوا

ألم به أبو تمام فقال :

من اليأس والمعروف والجود والتقى عيال عليه رزقهن شمائله
فقال (عيال عليه) وهو نحو قول جرير " نزلو على يزيد " أو لعل أبا تمام أخذه
من قول دعبل :

(١) الموازنة ١ / ٩٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٩٧

تتافس فيه البأس والحزم والتقوى وبذل الندي حتى اصطحب ضرائر^(١)

١٧- السرقعة مع التغيير الحسن :

" وقال عنتره :

والطعن مني سابق الآجال

وانما أراد : والاجال سابقة طعنى ، يريد لشدة خوفه اذا سدد سنان له للطعن .
فأخذه الطائي ، وغيره تغييرا حسنا فقال :

يكاد حين يلاقى القرن من حنق قبل السنان على حوائه يرد^(٢) .

١٨- السرقعة والاتباع في التقصير :

ويروى الآمدى أن الشاعر قد يسرق ويتبع في التقصير :
يقول :

" وقال عدى بن الرقاع يمدح بعض بني مروان :

وانا رأيت جماعة هو فيهم بينت سؤده وان لم تسأل

أخذه الطائي فقال :

يَحْمِيهِ لَأَلَاؤُهُ أَوْ لَوْ ذَعِيَّتُهُ من أن يذال بمن أو من الرجل

فقصر عدى بالممدوح ، ان جعله اذا كان في جماعة لا يعرف حتى تنبئ عنه شمائله . وتبعه أبو تمام في التقصير^(٣) .

(١) الموازنة ١٠٩/١ - ١١٠

(٢) نفس المصدر والجزء ١٠٤

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

١٩ - السرقه مع سوء الفهم :
قال عنتره :

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
أخذه أبو تمام فقال :

يحملن كل مدحج سمر القنسا باها به أولى من السريال
قال ذلك لانه ظن أن عنتره أراد الثياب نفسها ، وإنما أراد عنتره بقوله " ثيابه
نفسه " . (١)

٢٠ - السرقه مع تعسف اللفظ :

" وقال مسلم بن الوليد :

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
أخذه أبو تمام - وأساء الاخذ وتعسف اللفظ - فقال :
أبدلت أروؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطي مدعما . (٢)

٢١ - السرقه مع الاحسان في كشف المعنى واحسان اللفظ والاجادة :

قال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه :
لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروءة والمعروف احجاما
أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده فقال :
تعود بسط الكف حتى لو أنه دعاها لقبني لم تجبه أنا مله . (٣)

(١) الموازنة ٨١ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) الموازنة ٨٣ / ١

ولعل هذا أهم ما عرضه الآمدى من أنواع السرقات . وهو بذلك يصنف السرقات أنواعا متبعا الشعراء ومحصيا عليهم ما سرقوه . ولعل اهتمامه يبرز حول ما أخذه أبو تمام من سابقه وما أخذه عنه المتأخرون وذلك ما تطلبه طبيعة دراسته النقدية لأبي تمام والبحترى في كتاب الموازنة .

ولكننا نرى أن الآمدى لم يعمد الى التعليل شأنه في ذلك شأن من سبقه من متقدمى النقاد . الذين يعرضون المحاسن والمساوى دون تعليل وكأن وضوح ذلك في عصرهم بين العامة قد أغناهم عن ذلك .

وإذا كان موقفاً لآمدى واضحاً حول السرقات المقبولة والسرقات المردولة فإنه لم يعرض لهذا الموقف اثناء دراسته للسرقات وتقسيمها . فالآمدى يرى أن سرقات المعاني ليست عيباً . وأن ذلك مما يشترك فيه الناس فلا يمكن وقفه على شاعر دون شاعر ، وإن كان يرى أن للسابق الفضل في سبقه الى المعنى الجيد .^(١)

ومعنى هذا أن الآمدى يعيب سرقات الالفاظ ، ولكننا لا نراه يذكر ذلك عندما ذكر سرقة اللفظ والمعنى جميعاً أو سرقة الالفاظ . وهكذا ، وكأن تلميحاً عن ذلك في بداية الكتاب قد أغناه عن التفصيل عندما عرض السرقات .

ولعل أهم ما قدمه الآمدى عند تقسيمه للسرقات اشارته الى مواطن الاحسان أحياناً . وإلى مواطن الطاف المعنى أحياناً . وإلى مواطن التقصير أحياناً أخرى وإلى الخلط في السرقات . وهكذا ، وهذا مما يدل على تقصيه لدراسة هذه

(١) الموازنة ٣١١/١ ان ذكر الآمدى ما يدل على ذلك .

الظاهرة في الادب العربي وربطها بدراسته لسرقات أبي تمام والبحترى في كتابه الموازنة .

وإذا كان الآمدى قد قسم السرقات أنواعا عدة ، فإنه قد اهتم بالاضافة الى ذلك الى جوانب أخرى في السرقات على جانب كبير من الاهمية . ومن ذلك .

السرق الصحيح

يعنى الآمدى بذلك ما سرقه أبو تمام من الشعراء ، ويعد في حكم المسروق لانه من الخاص من المعاني ، الذي انفرد به شاعر فأخذه أبو تمام - ان لا يعد الآمدى المشترك بين الناس من المعاني مسروقا اذا أخذه شاعر من شاعر .^(١)

وقد حصر الآمدى ما يعد مسروقا . . وهو ما أخذه أبو تمام من المعاني الخاصة التي سبق اليها الشعراء - وذكر من ذلك أبياتا . يقول :
" وجدت ابن أبي طاهر قد خرج سرقات أبي تمام ، فأصاب في بعضها وأخطأ في البعض ، لانه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا " .^(٢)

فمن السرق الصحيح قول أبي تمام :
كما كان ينسى عهد عمياء باللوى ولكن أملت عليه الحمائم
أخذه من قول العنابي :

(١) انظر الموازنة ٥٥ / ١ - ٥٦

(٢) نفس المصدر والجزء ١١٢ /

بكى فاستمل الشوق من ذى حمامة أبت في غصون الايك الا ترنما
أظن أن قوله من ذى حمامة أراد من صوت حمامة دعتة اليه الضرورة وليس هذا
موضع

وقوله أملت من قول العنابي ، فاستمل وقد جاء مثله في اشعارهم . (١)
- فالامدى يعرض هنا البيت المسروق ويفصل في بعض الالفاظ ليدلل بذلك على
السرقه - منتقدا ما يخرج عن العادة من الالفاظ والاستعمالات .
وقال :

وأخذ قوله :

لَا تَنْشَجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَءُهَا ضحكك وان بكاءك استغرام

من قول الآخر :

وانى ان بكيت بكيت حقاً وانك في بكائك تَكْذِبِينَ (٢)

وقال أبو تمام :

" فنول حتى لم يجد من ينيله "

أخذه من قول على بن جبلة :

أعطيت حتى لم تجد لك سائلا وبدأت ان قطع العفاة سؤالها " (٣)

وقد ساق الامدى واحدا وثلاثين بيتا سرقها أبو تمام من شعراء آخرين - وعدها
الامدى سرقا صحيحا لانه أخذه من الخاضع من المعانى التى أبدع فيها أصحابها . (٤)

(١) الموازنة ١١٢/١

(٢) نفس المصدر والجزء ١١٢-١١٣

(٣) نفس المصدر والجزء ١١٣

(٤) نفس المصدر والجزء ١١٢ الى ١٢٣

وحرفة الآداب لفظة قد اشترك فيها الناس ، وكثرت على الأفواه حتى سقط
أن نظن أن واحدا يستملها من آخر . (١)

ثم يعلق على ذلك قائلا :

" هذا قول ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام أدركتني حرفة الآداب إنما قال
" أدركتني حرفة العرب " وقد ذكرت غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت فسي
الموازنة . (٢)

فالآمدى يقف موقف المدافع عن هذا النوع من السرقات - الذي عده ابن
ظاهر مسروقا - وعارض الآمدى ذلك لأنه مما يشترك فيه الناس ، ويبين الآمدى
الأوجه التي تخرجه من أن يكون مسروقا .

وقد لا يكتفى الآمدى بذلك ولكنه بين غلط الناقد في صحة نقل النص . .

ثم يقول :

" وقال في قوله :

لو يعلم العافون كهلك في الندى في لذة أو فرحة لم تحمدا
أخذه من قول بشار :

ليس يعفيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء .

وما أخاله احتذى هذا البيت على قول بشار : لأن بشارا قال : انه ليس يعطيك
رغبة في جزاء يرجوه ، ولا خيفة من مكروه ، ولكن لا لتذانه العطية .

(١) الموازنة ١ / ٢٣ - ١٢٤

(٢) الموازنة ١ / ٢٣

وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذانه للندى لم يحمده ، فالمعنى
 انما اتفقا من طريق التذان المدوح بعطائه فقط ، وهذا ليس من بديع المعانى
 التى يختص بها شاعر دون غيره ، فيقال : ان واحدا أخذه من الآخر ، لان
 العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطى متكارها ولا متكلفا ، بل يعطى عن
 نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة ، ونحو هذا من القول " (١)

وقال فى قوله :

لو كان ينفخ قنين الحى فى فحم

من قول الاغلب :

قد قاتلوا أو ينفخون فى فحم ما جنبوا ولا تولوا من أمم
 وهذا معنى شائع من معانى كلام العرب ، وجار فى الامثال أن يقولوا :
 قد فعلت كذا ، واجتهدت فى كذا لو كنت انفخ فى فحم ، لان النفخ فى الفحم
 يحى النار ويشعلها ، والنفخ فى حطب - ليس بفحم ولا أخذت النار فيه -
 لا يورى نارا " (٢)

وقال فى قوله :

والموت خير من سؤال سؤال

من قول محمود :

فارغب الى ملك الملوك ولا تكن بادى الضراعة طالبا من طالب

(١) الموازنة ١٢٤/١ - ١٢٥

(٢) نفس المصدر والجزء ١٢٥

ومثل هذا لا يكون مسروقا لانه جاء على الألسنة أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومجتد على مجتد ، ورفع البائس على الفقير وأمثال هذا " . (١)

وقد استمر الآمدى على هذا المنوال في عرغى الابيات وما زعم أنها سرقت منه ثم الدفاع عن الشاعر ، مبينا أن ذلك لا يكون مسروقا ، ومعللا لذلك تعليلا ظاهرا .

وقد عد الآمدى خمسة عشر بيتا زعم ابن أبى طاهر أن أبا تمام قد سرقها ونفى عنها الآمدى السرقة - عارضا وجهة نظره النقدية في ذلك . (٢)

مانسب الى السرقة والمعنيان مختلفان

يقول (عن ابن أبي طاهر) :

" وما نسب به الى السرقة والمعنيان مختلفان قوله :

تقبل الركن ركن البيت نافلة وظهر كفك معمر من القبل

وزعم أنه من قول عبد الله بن أبي طاهر :

أعلت له ذكره فكافأها بأن توالى في ظهرها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا يذكر قبل الكف ، وهذا ليس من المعاني المبتدعة لان الناس أبدا يقولون : ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للتقبيل كما قال دعبل :

فباطنها للندى وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا ، فلا يكون عندى مسروقا " . (٣)

(١) الموازنة ١/ ١٢٦
(٢) نفس المصدر والجزء ١٢٢-١٣٣
(٣) نفس المصدر والجزء ١٢٦

" وقال في قوله :

نظرت فالتفت منها الى أحلى سواد رأيت في بياض

من قول كثير :

وعن نجلاء تدمع في بياض اذا دمعت وتتنظر في سواد
وليس بين المعنيين اتفاق الا يذكر البياض والسواد ، والالفاظ غير محظورة وأبسو
تماما كما قال : فالتفت منها الى أحلى سواد ، يعني حدقتها ، في بياض
يعني شحمة عينها ، وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينيها في بياض وجهها
وكثير أراد عينها تدمع في بياض اذا دمعت ، يريد خدها وتتنظر في سواد يريد
حدقتها وهذا المعنى غير ذاك . (١)

وقد عرض الآمدي عدة أبيات نسبت الى السرقة والمعنيان مختلفان ، وقد
نهج الآمدي في مناقشته النقدية ، ما اتبعه فيما نسب الى السرقة وليس بمسروق
حيث يبين الوجوه التي تخرج البيت من أن يكون مسروقا .

ويعتبر هذا النهج النقدي نهجا واضحا لم يتبعه الآمدي في بعض
معالجه لبعض القضايا كما أسلفنا .

وكما عالج الآمدي قضية السرقات مبينا أنواعها ومعللا لما زعم بعض النقاد
أنه من السرقات وهو ليس مسروقا في نظره . فقد بين الآمدي كذلك أن السرقة
لا تكون في البيت فقط كما أورد في الأمثلة السابقة - وانما تكون في أكثر من البيت ،
وقد تكون السرقة مأخوذة من غير الشعر وليست موقوفة على الشعر .

السرقه من القصيدة كلها

بين الآمدى أن السرقه لا تقتصر على بيت أو أبيات قليلة ، وإنما يعمد
الشاعر أحيانا الى السرقه من قصيدة كاملة بعد أن يغير فى أبياتها ، يقول :
" قال دعبل : فلما مات ذفاه رثاه أبو سلمى فقال :

أبعد أبى العباس يستعذب الدهر	وما بعده للدهر عتبي ولا عذر
إذا ما أبوالعباس خلّى مكانه	فلا حطت أنثى ولا مسها طهر
ألا أيها الناعى ذفاه ذى الندى	تعست وشلت من أنا ملك العشر
ولا مطرت أرضا سما ، ولا جرت	نجوم ولا لذت لشاربها الخمر
كان بنى القعقاع يوم وفاته	نجوم سما خرم بينها البدر
توفيت الآمال بعد وفاته	فأصبح فى شغل عن السفر السفر
يعزّون عن ثاو تعزّى به العلاء	ويكى عليه البأس والمجد والشعر
وما كان الا مال من قلّ ماله	وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

قال أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح ، قال أبو محمد اليزيدى ، أشد نبي
دعبل هذه القصيدة ، وجعل يعجبني من الطائي فى ادعائه اياها ، وتغيسيره
بعض أبياتها . (١)

فالامدى يوضح أن أبا تمام قد ادعى هذه القصيدة كلها بعد أن غير فى
أبياتها .

أخذه أبو تمام فقال :

حطت الى قبة الاسلام أرحلته والشمس قد نقضت ورسا على الأصل

أو أخذه من قول النمرى :

أجد ولما يجمع الليل شملته فما حل الا وهو ورد المغارب

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذي أظن أنه أخذه من قول الآخر :

" والشمس صفراء كلون الورد " (١)

" وقال أبو تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى فالحب الا للحبيب الاول

أخذه من قول كثير :

اذا وصلتنا خلة كي تزيلها أبينا وقلنا الحاجبية أول

وذكر محمد بن داود الجراح في كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطبرية
ان يقول :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى ، لانه ذكر العلة . (٢)

التعجب

وبين الامد كذلك أن السرقة قد لا تكون في الشعر فقط ، وانما تكون من

القرآن الكريم . يقول :

(١) الموازنة ١ / ٦٢-٦٨

(٢) نفس المصدر والجزء ٦٩ /

" قال جرير يهجو الأخطل :

مازلت تحسب كل شىء بعد هم خيلا تكرر عليكم ورجـالا
أخذه أبو تمام فقال :

حيران يحسب سجع النقم من دهش سقفا يحاذر أن ينقض أو جرفا
وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى :
" يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو " . (١)

السرقه من المثل

وكما تكون السرقه عند الآمدى من الشعر أو من القرآن الكريم ، فانها قد تكون
من المثل أيضا : يقول :

" وقال كعب بن زهير يمدح قريشا :

لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن هياض الموت تهليل
أخذه أبو تمام - على ما ذكر بعض الرواة - فقال يرثى بنى حمير .
لو خر سيف من الجوزاء منصلت ما كان الا على هاماتهم يقع

ويروى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من قول
نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ " (٢)

- - -

(١) الموازنة ٧٩ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٨٤ /

الفصل الخامس

القديم والجديد

بالرغم من أن الآمدى قد ركز على الموازنة بين أبي تمام والبحترى - ودرس ما تعلق بذلك - فقد بين موقفه فى قضية هامة - هى قضية القديم والجديد .
التي اهتم بها النقاد اهتماما بالغا .

ويعرض الآمدى آراءه فى هذه القضية مبينا موقفه منها - ومتعرضا فى بعض الأحيان لما يتعلق منها بشعر الطائيين .

وأول ما يطالعنا عند الآمدى فى هذه القضية تفريقه بين القديم والجديد - ويان أن الجديد المحدث قد ضمن من العناصر ما لا يعرفه القدامى - ومالا يتمشى مع منهج الشعراء المتقدمين .

يقول " . . . ولان ابا تمام شديد التكلف وصاحب صنعة ويستكره الالفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الاوائل ولا على طريقتهم ، لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة فهو بأن يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه " (١) .

وقد بين الآمدى أن مذاهب الاوائل بعيدة عن التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشى الكلام . وان القديم هو مذهب الطبع وعمود الشعر يقول :
" . . . وانهما لمختلفان ، لان البحترى اعرابى الشعر ، مطبوع وعلى مذهب الاوائل وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشى

الكلام . فهو بأن يقاسى بأشجع السلمى ومنصور النمرى ، وأبى يعقوب المكفوف
الخرىعى وامثالهم من المطبوعين . . . أولى^(١) . . . وهؤلاء على مذهب الشعراء
القدامى . . .

وقد بدأ موقفه من القديم والجديد بما عرضه من مواقف للنقاد القدامى
- مبينا موقفهم من القديم والجديد .

وقد نقل الآمدى الخصومة بين أبى تمام والبحترى مبينا من خلال آراء -
الفريقين المتخاصمين فينها . أن المحدث لا يعتد به بعض النقاد القدامى
بل جعلوه بالخطب والكلام المنشور أشبه . ولم يدخلوه في كتبهم المؤلفة في
الشعر - بل مالوا إلى ما كان إلى الطبع أقرب^(٢) .

ونقل الآمدى كذلك موقف العلماء من شعر أبى تمام فقال : " وغير هؤلاء
العلماء من أسقط شعره كثير . منهم أبو سعيد الضرير وأبو القميثل الأعرابي
صاحباً عبد الله بن طاهر والعيثان يأمر خزانة الحكمة بخراسان ، وكانا من أعلم
الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتحناه
وعرض عليهما شعره ورضياه ، فقصد هما أبو تمام بقصيدته التي يمدح فيها
عبد الله بن طاهر وأولها :

هن عوادى يوسف وصواحبه فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

(١) الموازنة ١ / ٤

(٢) انظر ما يدل على ذلك فى الموازنة ١ / ١٨ ، ١٩

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، واسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام
وسألهما استتمام النظر فيها ، فولا أنهما مرا بهيتين مسروقين استحسناهما
فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان افتضح وخابست
سفرته ، وخسرت صفقته والبيتان :

وركب كأطراف الا سنة عرسوا
على مثلها والليل تسطو غيا هبه
لا مر عليهم أن تتم صدوره
وليس عليهم أن تتم عواقبه (١)

.. فقد استهجن هذان الناقدان القصيدة لخروجها على منهج القديم ولم يشفعم
لها الا ما سرقه الشاعر من شعر القدامى .

ونقل الامدى كذلك موقف ابن الأعرابي من أبيات من أرجوزة أبي تمام التي أولها :

وعاذل عدلته في عدله — فظن أنى جاهل من جهله
حيث استحسنها ابن الأعرابي وأمر بكتبتها فلما عرف أنه قائلها قال : خرقوا .^(٢)

ومن ذلك أيضا ما روى عن الاصمعي عند ما أنشده اسحاق الموصلي :

هل الى نظرة اليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي وكثير من تحب القليل

وأنه قال بعد سماعها : هذا والله هو الدياج الخسرواني ، فلما قال له اسحاق
انهما ليلتهما قال : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بين عليهما . (٣)

(١) الموازنة ٢٠٢٠/١

(٢) انظر الموازنة ٢٣، ٢٢/١

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٣ ، ٢٤

ثم بين الآمدى أن الجديد المحدث لا يخلو من الفساد ، ومن ذلك اللحن وقد أشار الامدى على لسان صاحب البحرى أن اللحن لا يكاد يعرى منه أحد من الشعراء المحدثين ، وقد كثر ذلك في الشعر المحدث ^(١) . وعلى الرغم من وجوده عند القدامى ، إلا أنه قليل عندهم . يقول :

" أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة . وربما سلم الشاعر من ذلك البتة وتعرى منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة . وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيد قواحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئا أو محيلا أو عن الفرغى عادلا أو مستعيرا استعارة قبيحة ، أو مفسدا للمعنى الذى يقصده بطلب الطباق والتجنيس أو مبهما له بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم . . . " ^(٢)

وبين الآمدى أنه لا يجوز للمحدث أن يأتى في شعره ببعض الأخطاء التى يتجاوزها النقاد للقدامى .

يقول : " وقال في قصيدة (يعنى أبا تمام)

على الاعادى ميكال وجبريل

فأوقع الاعراب على اليا من الاعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر . . . " ^(٣)

ويقول :

قال البحرى :

غريب السجايا ما تزال عقولنا مدلهة في خلة من خلا لـه

(١) الموازنة ٢٩ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٢

(٣) نفس المصدر والجزء ٣٢

إذا معشر صانوا السماح تفسقت به همة مجنونة في ابتذالهم
قالوا : إذا معشر صانوا السماح معنى ردى . لان البخيل ليس من أهـل
السماح فيكون له سماح يصونه ، وسواء عليه قال صانوا السماح أو صانوا السخاء
أو صانوا الجود أو صانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً وهو منهم
بعيد ، فكيف يصونونه .

فان قيل انما أقام السماح مقام الشيء الذى يسمح به وفي مجازات العرب
ما هو أبعد من هذا :
قيل : البحترى لا يسوغ له مثل ذلك ، ولا يجوز له ، لانه متأخر ، ولا سيما ،
وليست ههنا ضرورة لانه قد كان يمكنه أن يقول :
" صانوا الثراء " مكان " صانوا السماح " (١)

ثم ذكر الامدى جملة من الاخطاء على الطائيين ، ثم قال : " ومثل هذا
في الشعر كثير ، وانما كان يصدر عن العرب على سبيل السهو ، ولا يسوغه متأخر " (٢)

ويرى أن لبعض الاخطاء مقاييس اذا تجاوزها المحدث عد ذلك عيباً " (٣)

ويلزم الامدى الشاعر المحدث أن يسير على سنن الشعراء القدامى ، حتى
ولو اعتمد الابداع - وقد ذكر الامدى أبيات أبي نواس :
أربح البلى ان الخشوع لبادى عليك وانى لم أختك ودادى

(١) الموازنة ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٥٠ /

(٣) انظر معناه في الموازنة ١ / ٢٩

فمعدرة منى اليك بأن ترى رهينة أرماس وصون عـوا
ولم أدراً الضراء عنك بحيلة فما أنا منها قائل لسعد

ثم قال : " وهذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبهم ، وإننا اعتمد الشاعر الابداع
فمن سبيله الا يخرج عن سنن القوم فانه لم يخطر عليه مستغرب المعانى ومستظرفها
وما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقى ، وكان قائله مخبراً بالأمـر
على ما وقع " . (١)

وعلى الرغم من أن الآمدى - يلزم الشعراء المتأخرين أن ينهجوا نهج
القدامى - الا أنه حذر عليهم أخذ الردى عن الاقدمين فما " ينبغى للمتأخر أن
يحتذى الاخذ الا للجيد المختار لسعة مجاله وكثرة أمثله " . (٢) كما لا يجوز
للشاعر المحدث أن يخرج على نهج الاقدمين ويعد خروجهم خطأ في الشعر . .
يقول عن بيت أبى تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت في أنه بسر
والخطأ في هذا البيت ظاهر ، لانى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والاسلام
وصف الحلم بالسرقة ، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك
كما قال النابغة :

واعظم أحلاماً وأكثر سيئداً وأفضل مشفوعاً إلى شافع
وكما قال الاخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس أحلاماً اذا قدروا (٣)

(١) الموازنة ١ / ٢٣ هـ

(٢) نفس المصدر والجزء / ٤٤١

(٣) نفس المصدر والجزء / ١٤٣

وذكر غيرهما . (١)

ثم ذكر بيت أبي تمام :

من الهيفلوا أن الخلاخل صيرت لهاوشحا جالت عليها الخلاخل

وقال :

" ان هذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب وهو من أقبح ما وصف به النساء " . (٢)

ويقول :

" ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهيف وطبي الكشح ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الاعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والرى والفلفظ . . كما قال ذو الرمة :

عجزاء ممكورة خمصانة قلشق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب
وذكر له أبياتا .

وكما قال الشنفرى :

فدقت وجلت واسبكرت واغمطت فلو جن انسان من الحسن جنت^(٣)
وذكر أبياتا مشابهة في المعنى لاخرين . (٤)

ثم ذكر قول أبي تمام في ترك البكاء على الديار والنهي عنه وأنه غلط لخروجه على ما عرف عن الاقدمين في هذا المعنى :

(١) الموازنة ١ / ١٤٤

(٢) نفس المصدر والجزء ١٤٧

(٣) نفس المصدر والجزء ١٤٩ - ١٥٠

(٤) نفس المصدر والجزء ١٥٠ - ١٥٥

"أجدر بحمرة لوعة أطفالها بالدمع أن تزداد طول وقود" (١)

ثم قال معقبا على ذلك وبهينا غلط أبي تمام :

" وقوله . . . غلط بين ، لانه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والاسلام والأم كلها ، لانهم مجمعون على أن في البكاء **واحقن الكرب** وتبريدا لحرارة الحزن وتخفيفا من لاعج المصيبة و " طول خمود " أولى بالصواب من " طول وقود " لو كان بنى المعنى عليه ، وقد ذكرت هذا في أغاليطه " . (٢)

وقد بين الآمدى أن ما عليه العرب هو خلاف ما قاله أبو تمام ، وبين أن
ما عليه العرب أن " الدمع يطفىء القليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد
ويعقب الراحة " (٣) وبين أن هذا المذهب الذى خرج عليه أبو تمام ففلسط ،
" في أشعارهم كثير موجود " (٤) وذكر من ذلك أبياتا منها قول امرئ القيس :
وان شغائى عبرة مهراقــــــــــــــة فهل عند رسم دارس من معول
وقول ندى الرمة :

لعل انحذار الدمع يعقب راحة من الوجد أن يشفي نجى البلائل

وقول الفرزدق :

فقلت لها ان البكاء لراحة به يشفى من ظن أن لا تلاقيا " (٥)

وبين أنه كثير في اشعارهم ، ما عدل به أحد منهم عن هذا المعنى ، وكذلك
المتأخرون سلكوا سبيل الأقدمين . . ما عدا أبا تمام . (٦)

(١) الموازنة ٥٦٤/١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء / ٢٠٩

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٥) نفس المصدر والجزء / ٢٠٩-٢١٠

(٦) نفس المصدر والجزء / ٢١٠

ويختلف الآمدى عن النقاد المتعصبين أمثال ابن الاعرابي والأصمعي وغيرهم - الذين لا يستحسنون الجديد لجدته فقط ، فقد استحسن الآمدى شيئاً من الجديد الذى خرج على مذهب الأوائل - يقول :

" قال أبو تمام :

من سجايا الطلول الا تجيبا فصواب من مقلدة أن تصوبها
فأسألنها واجعل بكاك جوابها تجد الشوق سائلا ومجيبا " (١)

ثم شرح الابيات . وقال بعد ذلك :

" وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذاهب أبى تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقته ومثله قوله :

تجرع أسى قد اقفر الجرع الفرد ودع حسى عين يجلب ماءه الوجد
إذا انصرف المحزون قد فل صبره سؤال المخاني فالبكاء له رد " (٢)

وبين في موضع آخر أن البحترى قد أبر على قيس بن الخطيم في طروق الخيال . (٣)

ومما يدل على اهتمام الآمدى بالقديم - عرضه لنماذج من الفنون عند الشعراء الاقدمين . . يقول : " وقد جاء في أشعار العرب من الحث على بسر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ما هو أكثر واشبهى من أن يخفى " (٤)

ونذكر أمثلة كثيرة لذلك (٥) بعد ذكر بيتا لآبى تمام خرج فيه على نهجهم وهو قوله :

-
- (١) الموازنة ١ / ٤٩٩
(٢) نفس المصدر والجزء ٤ / ٤٩٩ - ٥٠٠
(٣) نفس المصدر ٢ / ١٨٦
(٤) نفس المصدر ١ / ١٨٥
(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة

الود للقريبى ولكن عرفه^١ للابعد الاوطان دون الاقرب^(١)
 كما قارن بأشعار القدامي ليعين فضلها على الشعر المحدث أو ليعين مواضع
 الحسن منها أو ليفضلها لبعد ها عن الغرابة والصنعة وكثرة البديع. ومن ذلك
 قوله في بيت لأبي تمام بعد أن ذكر افراطه وظلوه فيه :
 " . . . وانما رأى أبوتام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في أشعار
 القدماء كما عرفت لا تنتهى في البعد الى هذه المنزلة فاحتداها وأحب الابداع
 والاغراب بايراد أمثالها فاحتطب واستكثر منها . . " ^(٢)

ويقول في موضع آخر - يعنى أبا تمام -
 " فمناء تذاره قوله في قصيدته التى أولها :

ابكيت الامة وربوعا	فيم ابتدأكم الملام ولوعا
عنها الحوادث شملها المجموعا	يادار غيرها الزمان وفرقت
خليته في عرصتك خليفا	لو كان لي دم يحسن لوعتي
في مقلتي جوى الفراق دموعا ^(٣)	لا تخطى دمي الى فلم يكدع

يقول مقارنا الابيات بأبيات لكثير :

" ولله در كثير ان يقول :

بغيفا خريم واقفا أتلد د	وقضين ما قضين ثم تركننى
على ولا مثلى على الدمع يحسد ^(٤)	ولم أر مثل العين غنت بمائها

وهذا تفصيل للقديم .

-
- (١) الموازنة ١ / ١٧٥
 (٢) نفس المصدر والجزء ٢٧٢
 (٣) نفس المصدر والجزء ٤٧٦
 (٤) نفس المصدر والجزء والصفحة

ثم ذكر أبيات البحترى :

هو الدمع موقوفا على كل منسة تمرج فيها أو خليط تزابله
تراد فهم خفض الزمان ولينه وجاد هم ظل الربيع ووابله
وانما هذا البحترى هذا المعنى على حد و قول كثير ؛
وكنتم امرءا بالغور منى ضمانة وأخرى بنجد ما تعيد وماتبدى
فطورا أكر الطرف نحو تهامة وطورا أكر الطرف كراالى نجد
وابكى اذا فارقت هنداً صباية وابكى اذا فارقت دعدا على دعد
وهذا مما لا مزيد فيه على حسنه وحلاوته . ومثله قول جرير :

أخالد قد علقك بعد هند فشبينى الخوالد والهنود
هوى بتهامه وهوى بنجد فبلتنى التهامم والنجدود (١)
وهذا مدح للقديم عند كثير وجرير .

وتحدث الأمدى عن وصف الاطلال والاثار وتشبيهها وذكر أبياتا لأبي تمام
والبحترى - وبين أخطاءهما في ذلك ثم قال مبينا فضل القدامى :
" وقد شبه الأتافى بالحمائم غير واحد من الشعراء ، والبديع النادر في وصف
الاتافى قول كثير :

أمن آل قيله بالدخول رسوم وبحومل طلل يلوح قد يسم
لعب الرياح برسمه فأجده جُون عواكف فى الرماد جُثوم
سفع الخدود كأنهن وقد مضت حجج عوائد بينهن سقيم (٢)

(١) الموازنة ٤٨٢ / ١

(٢) نصر المصدر والجزء ٤٨٥ / وانظر ٢٩١ / ٢

هذا ، وان الآمدى ليميل للقديم ويفضله ، لان القديم بميد عن الصنعة
والتعقيد وغرابة المعنى وكثرة البديع ، وقريب الى الطبع ، ولذلك فقد مال الى
بعض شعر أبي تمام الذى بعد فيه عن الصنعة واعتبره من جيد شعره . يقول :
" ومن جيد اشعار ابي تمام في هذا الباب أيضا قوله :

أرامة كنت مألّف كل ريم	لو استمتعت بالانس القديم
ادار البؤس حسنك التصابي	الى فصرت جنات النعيم
لئن أصبحت ميدان السوافى	لقد أصبحت ميدان الهموم
وما ضرم الرحاء أنى	شكوت فما شكوت الى رحيم
أظن الدمع في خدى سيقى	رسوما من يكاثى فى الرسوم

وهذا من أسهل كلامه وأساس نظمه ومن أبعد قول من التكلف والتعسف
وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة " (١)

وأظهر ميله الى القديم وما جرى على سننه من الشعر الجديد صراحة
حيث نجده يقول بعد أن عرض أبياتا عدة في الاطلال ووصفها :
" وقال البحتري في مثل هذا :

صب يخاطب مفحات طلّسول	من سائل باك ومن مسئّول
حملت معاً لمهنّ أعباء البلسى	حتى كأن نحولهن نحولى " (٢)

ثم يقول بعد ذلك :
" وأنشدنى غير واحد من الشيوخ :

(١) الموازنة ١ / ٤٧٨-٤٧٩
(٢) نفس المصدر والجزء ٤٩٠ / ٤٩١

ما غير الدار بعد بينهم ريح عفت أبيها ولا مطر
كأنها جرعة يمانية قد نشرت في عراصها الحبر

وقال آخر وأنشده حماد :

قد وقفنا لكثم بطلول وأرسم
لائحات كأنها برد وشى منمنم
وسألنا فأفحمت عن جواب المكلّم

وهذا كله أحلى وألطف معاني وألوط بالنفس من كل ما قال الطائيان .^(١)

وأكثر من ذكر ميله الى القديم وما يشبهه من الجديد . يقول بعد أن عرض
أبياتاً في سؤال الديار والبكاء عليها وسلوك أبي تمام فنهج الصنعة فيها :
" ولم يسلك البحترى هذه الطريق بل جرى في هذا الباب على مذاهب الناس
فقال :

وقفنا على ذات النخيلة فأنجرت سواكب قد كانت بها الممين تبخل
على دارس لايات عاف تعاقبت عليه صبا ما تستفيق وشمأل
فلم يد ررسم الدار كيف يجيئنا ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل

وقول أبي تمام وإن كان فيهدقة وصنعة . فهذا عندى أولى بالجودة وأحلى
فى النفس وألوط بالقلب وأشبه بمذاهب الشعراء .^(١)

(١) الموازنة ١ / ٩٩٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٥٠٠ /

ولم يكتف الأمدى بذلك بل أثبت أن الشعراء المحدثين ومنهم أبو تمام أدركوا قيمة القديم وضرورة السير على نهج الشعراء القدامى والالتزام ببعض الصفات التى التزموا بها . يقول :

" وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة وكرم العهد . ولذلك قال أبو تمام :

أما وقف الفتيان تطوى لم تزر	شرفا ولم تندب لهن صعيدا
أذكرتنا الطاك المضلل فى الهوى	والاعشيين وطرفة ولبيدا
حلوا بها عقد النسيب ونمنموا	من وشيها رجزا بها وقصيدا ^(١)

وفى هذا بيان لفضل القديم ومكانته عند الأمدى .

الفصل السادس
فضايات نقدية أخرى

عرض الآمدى بعض الآراء النقدية وهي أراء تتعلق بالشعر من ناحية،
والشاعر والناقد من ناحية أخرى .

الشعر

بين أن الشعر صناعة وأن العلم بالشعر أمر لا بد منه ليكون المتخصص في
الشعر عالماً به ، يقول : " ثم ان العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد
وأن يتعاطاه من ليس أهله فلم لا يدعي أحد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيال
والسلاح والرقيق والبز والطيب بأنواعه ولعله قد لا يس من أمر الخيل وركوبها
والسلاح والعلوم به أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله
أكثر مما عاناه من أمر الشعر وروايته فلا يتهم نفسه في المعرفة بالشعر تهمة
اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشياء مما عاناه وزاوله وما باله وقد ركب الخيل
كثيراً لما راقه من الفرس ملاحه سبية واستدارة كفله وهريق شعره وحسن
اشراقه وجودة خصره توقف عن ابتياعه حتى يشاور من يخبر أمره في جنسه
وعتقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة أعضائه وبراءته من العيوب الظاهرة
والباطنة " . (١)

وبين أن الشعر صناعة كسائر الصناعات يعرفها المتخصص العارف بها
المختص بمزاياها كما يختص العالم بمعرفة شيء ما فلا يعرف محاسن ثوب
الوشى ومعايبه الا المتخصصون في الطرز ، ولا عيوب الجوارى الا العالم بصفاتهن
وهكذا . (٢) وبين أن الشعر كذلك فلا يعرف حسنه وجيده وسيئه الا العالم

(١) الموازنة ١/١١١-٤١٢

(٢) نفس المصدر والجزء ١٢٢-٤١٣

المتخصص ولا يحكم بظاهره حتى يعلم بالفاظه واستواء نظمه وصحة سبكته ووضع
الكلم منه في مواضعه وكثرة مائة وروثقه ان كان الشعر لا يحكم له بالجودة الا بان
تجتمع هذه الخلال فيه ، وشأن ادراك الفروق في محاسن الشعر شأن ادراك
أهل الخبرة والدرية الطويلة بالخيل معرفة الافضل من فرسين سليمين من كل
عيب فيهما علامات العتق والجودة والنجابة ^(١) لأنه " قد يتقارب البيتان
الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ان كان معنا
واحد أو أيهما أجود في معناه ان كان معناه مختلفا . ^(٢)

والآمدى يقتفى بذلك أثر النقاد المتقدمين الذين قرروا هذه الحقيقة
ويعلن ذلك صراحة بقوله " وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحي
وأبو علي دعلج ابن علي الخزازي في كتابيهما " ^(٣)

ويبين أن العلم بالشعر لا يكون الا لمن " عرف بكثرة النظر في الشعر
والارتياض به وطول الملاسة له " ^(٤) حتى يقضى " له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه
وأن يسلم له الحكم فيه ويقبل منه ما يقوله ويعمل على ما يمثله ولا ينازع في شئ " ^(٥)
من ذلك ان كان من الواجب أن يسلم لاهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها
ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظيرا في الخبرة وطول الدربة والممارسة .

(١) الموازنة ١ / ١٣٤

(٢) نفس المصدر والجزء الصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٤) نفس المصدر والجزء / ١٤٤

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة

بين الآمدى أن الشعر مصنوع وأن صناعه " لا تجود وتستحكم الا بأربعة أشياء : جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التأليف والانتهاى السى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها " (١) وأكد أنه اذا تحققت هذه الصفات الأربع في الشعر " من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنعته وجودتها " . (٢)

وبين أن أقوى دعائم الشعر صحة التأليف " فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بمد صحة المعنى فكل من كان أصح تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة من اضطراب تأليفه " . (٣)

ويقول : " وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى وقرب المأخذ واختبار الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لا ثقة بما استعيرت لسه وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى الهباء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف (٤)

وبين أن هذا الوصف هو طريقة البحترى في شعره وهو ما يستحسنه الآمدى في الشعر ، وقد ضرب لذلك أمثلة من شعر البحترى . (٥)

(١) الموازنة ١ / ٤٢٦

(٢) نفس المصدر والجزء / ٤٢٧

(٣) نفس المصدر والجزء / ٤٢٨ - ٤٢٩

(٤) نفس المصدر والجزء / ٤٢٣

(٥) نفس المصدر والجزء / ٤٢٤

نظر الآمدى في الشعر وخالف من قال : أجود الشعر أكذبه ، فقد عرض أبياتا للبحترى :

أيا سكا فات الفراق بأنسيه	وحال التعادى دونه والنزيل
بكرهى رغا القُدالِ عني وانسه	مضى زمن كنت فيه أعذل
فلا تعجبا ان لم يغُلْ جسمى الضنى	ولم يخترم نفسى الحمام المعجل
فمن قبل بان الفتح عني مودعا	وفارقتى شغفا له المتوكل
فما بلغ الدمع الذى كنت أرتجى	ولا فعل الوجد الذى خلت يفعل
وما كل نيران الجوى تحرق الحشا	ولا كل أدواء الصباية تقتل (١)

ثم قال : " وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده الا أصدقه اذا كان له من يلخصه هذا التلخيص ويورده هذا الايراد على حقيقة الباب " . (٢)

وبين أن تفضيل الشاعر لا يكون بتقدم الشاعر لذاته . . وإنما الشعر هو الذى يقدم صاحبه أو يؤخره وعلى من يحكم أن يكون بصيرا بالشعر وصناعته . يقول " وبعد فأنى أدلك على ما ينتهى بك الى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بهذه الصناعة أو الجهل بها وهى أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعضى فان عرفت علة ذلك فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك أن تتأمل شعر أوس بن حجر والناطقة الجعدى فتتأمل من أين فضلوا أو لم . . وتنظر في شعرى بشر بن أبى خازم وتميم بن أبى مقبل فتتأمل من أين فضلوا بشرا " . (٣)

(١) الموازنة ٢ / ٥٧ - ٥٨

(٢) نفس المصدر والجزء / ٥٨

(٣) نفس المصدر ١ / ٤١٧ - ٤١٨

الطبع والصنعة

تحدث الآمدى عن الطبع والصنعة وبين أن الشعر المطبوع هو مذ هـب
الأوائل وهو ما انتهجه البحترى الذى لم يفارق عمود الشعر المعروف ، وبين
الآمدى أن الطبع يؤثر في الشعر فـالمطبوع بعيد عن التعقيد ومستكـره
الالفاظ ووحشى الكلام . (١)

أما شعر الصنعة فان الفاظه ومعانيه مستكرهه وهو لا يشبه شعر الأوائل
ولا على طريقتهـم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة وهـو
ما انتهجه أبو تمام . (٢)

أثر البيئة في الشعر

بين أثر البيئة في الشعر وأن نتاج البادية الفاظ صحيحة فصيحة كما
بين أن الأعراب لها شأن في نظم الشعر يخطف عن شأن غيرها . يقول
" . . . ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكره لان الأعرابي انما ينظم كلامه
المنثور الذى يستعمله في مخاطباته ومحاوراته " . (٣)

كما أن اختلاف البيئة يساعد الشاعر في التصرف في شعره على نحو خاص
" فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالالفاظ العربية المستعملة

(١) الموازنة ١ / ٤

(٢) نفس المصدر والجزء ٤ / ٥

(٣) نفس المصدر والجزء ٧١ / ١

في كلام الحاضرة فان اختار أن يأتي بها لا يستعمله أهل الحضرة فمن سهل ~~سبل~~
 أن يجعله من المستعمل من كلام أهل البدو دون الوحش الذي يقل استعماله
 اياه وان يجعله متفرقا في تضاعيف الفاظه ويضعه في مواضعه فيكون قد اتسع
 مجاله بالاستعانة به ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما أن الشاعر
 الأعرابي اذا أتى في شعره بالوحش الذي يقل استعماله اياه في منشور كلامه
 وما جرى دائما في عادته هجته وقبحه الا أن يضطر للفظه واللفظتين ولا يقلل
 ولا يستكثر ^(١) .

ولا يخفى الربط بين البيئة وأثرها في الشعر من خلال هذه الآراء النقدية

فنون الشعر

عرض الآمدى في الموازنة الشعر عرضا شاملا مبينا خلال ذلك ما يجب
 أن يكون عليه الشاعر في كل حالة من حالات الشعر فلا بد أن يكون للوقوف على
 الديار طابع معين يعتمد اختيار الالفاظ واختيار ما يناسب ذلك من الممانى ،
 كما لا بد أن يلتزم الشاعر منهاجا معيناً في المدح ، ونحو ذلك ^(٢) مبينا أنه لا بد
 للشاعر من اقتفاء القدامى وعدم الخروج على سنن القوم . يقول : " العرب لا تقصد
 الديار للوقوف عليها وانما تجتازها فان كانت واقعة على سنن طريقهم قال الذى
 أرب في الوقوف لصاحبه أو أصحابه قف وقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال
 عرج وعرجا وعرجسوا ^(٣) . . . "

(١) الموازنة ١ / ٤٧١

(٢) انظر ذلك ابتداء من ١ / ٤٣٠ - ٥٦٣ ، ومن ٢ / ٥ - الى آخر ٣٧١

(٣) الموازنة ١ / ٤٣٣

وبين أن الشاعر يجب أن يلتزم أموراً في المدح يقول " وما يجب في مدح
الخلفاء كانت تلك حالهم أولم تكن ذكر التقى والورع " (١) ومع وصف الخليفة
بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرافة والرحمة " (٢)

الشاعر

بين أن الشاعر المحسن يتجنب الاغراق في طلب الطباق والتجنيس والاستعارة
ويتجنب غموض المعانى ، فمتى تجنب الشاعر هذه الأمور " وأخذ عفو
الأشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذبة ويقتصرها مكارهة
وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجماه غير متعب ولا مكدود وأورد من الاستعارات
ما قرب وحسن ولم يفحش واقتصر من القول على ما كان محذواً وحذواً لشعراء
المحسنين ليسلم من هذه الأشياء التي تهجن الشعر وتذهب بمائه ورونقه ، ولعل
ذلك أن يكون ثلث شعره أو أكثر منه لظننته يتقدم عند أهل العلم بالشعر
أكثر الشعراء المتأخرين " (٣)

وبين أن الشاعر لا يكون شاعراً حقاً حتى يتمكن من العلم بالشعر وما يتعلق به
فليس " كل أحد يكون شاعراً ولا خطيباً ولا في منطقة بارعا بليفا ولو كان ذلك
كذلك لما رأيت أحداً يتكلم فيستحسن كلامه ولا يستعار وآخر يتكلم فيضحك منه
فلا نسان المتكلم يعلم معاني الفاظ لفته ولا يعلم جيدها من رديئها وتخيرها
من رذلها كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين

(١) الموازنة ٣٥٩ / ٢

(٢) نفس المصدر والجزء ٣٦٠ /

(٣) الموازنة ١٣٩ / ١

أجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديته وأرفعه من أدونه فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بأجناس الكلام من الشعر والخطابة صناعة فإذا رجعت في المعرفة بطوك الى أهلها فارجع أيضا في المعرفة بهذه الى أهلها " . (١)

بين الآمدى أن الغلط قد يلحق بالشاعر لفهمه معنى مغلوطا من قبل وضرب لذلك مثلا بخطأ أبي تمام في الأيم قائلا : " وقد غلط في الأيم بعض كبار الفقهاء فجعلها مكان الشيب وذلك لحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه لحقه السهو في تأويله فحطه على غير معناه فلعل أبا تمام أيضا من هذا الوجه قد لحقه الغلط " . (٢) يعنى بذلك قول أبي تمام :

وصنيعة لك شيب أهديتها	وهي الكعاب لعائذ بك مصرم
حلت محل البكر من معطى وقد	زفت من المعطي زفاف الأيم " (٣)

إذا كان القصد بالأيم - الشيب " .

وأشار الى الصدق لدى الشاعر وما قاله بزرجمهر وأنه من فضائل الكلام التي ان سقط شيء منها سقط فضل سائرها . يقول ناقل رأى بزرجمهر : " ان فضائل الكلام خمس ان نقصت منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهي أن يكون الكلام صدقا وأن يوقع موقع الانتفاع به وأن يتكلم به في حينه وأن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقدار الحاجة " . (٤)

(١) الموازنة ١/ ٤١٧

(٢) نفس المصدر والجزء ١٦٩

(٣) نفس المصدر والجزء ١٦٦

(٤) نفس المصدر والجزء ٤٢٨

والآمدى لا يرى الصدق لدى الشاعر ضرورة ملزمة ويخالف بزرجمهر في ذلك وقد فسر أن ذلك يتعلق بالنثر ، أما الشعر فإن الآمدى يرى أن لا يطالب السب الشاعر بأن يكون صادقا ولا يرى من الصفات الخمس ما يتعلق بالشعر إلا خلاصتين : صحة التأليف وأن لا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته .^(١)

ويشير الآمدى في مكان آخر إلى أن أجود الشعر أصدق ، وهذا يعارض موقفه هنا .^(٢)

وربط الآمدى بين حياة الشاعر وما يكون عليه نظم شعره ، فيرى أن الشاعر الحضري من شأنه " أن يأتي في شعره بالألفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضرة فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو والوحشى الذى يقل استعمالهم إياه وأن يجعله متفرقا في تضاعيف الفاظه ويضعه في مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشى الذى يقل استعماله إياه فى منشور كلامه وما يجرى دائما في عادته هجته وقبحه إلا أن يضطر للفظة واللفظتين ويقلل ولا يستكثر فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينه ونافره وأظهر قبحه ."^(٣)

وبين أن البحترى تصرف في هذا أحسن تصرف وأبلغه وأعجبه .^(٤)

(١) انظر ما يدل على ذلك في الموازنة ٤٢٨/١

(٢) الموازنة ٥٨/٢

(٣) الموازنة ٤٧١/١

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ، وانظر شعر البحترى في ذلك من ٤٧٢/١ - ٤٧٣

النقد والناقد

عرض الآمدى أموراً تتعلق بالنقد والناقد .

ثقافة الناقد

بين الآمدى أن الحكم على الشعر لا يتأتى لكل من أراد فهناك أمور تتعلق بالشعر والحكم لا تعرف " إلا بالدرية ودائم التجربة وطول الملبسة وبها يفضل أهل الحداقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته وقلت دريته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها . " ^(١) وبين أن العلم بالشعر قد خصى بأن يدعه كل واحد وان يتعاطاه من ليس أهله " ^(٢) مؤكداً أن العلم بالشعر تخصص به كتحصيل كل خبير بصناعته . يقول : " ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة ، والنجاسة ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدرية الطويلة " ^(٣) وكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ان كان معناه واحداً ، أو أيهما أجود في معناه ان كان معناه مختلفاً " ^(٤) .

المقدِّوق

بين أن اللذوق دوراً في قبول الشعر ، فقد يقبل الناس شعراً لا يقبله العلماء المتخصصون ، يقول : " وقد قيل لخلف الأحمر أنك لا تزال ترد الشيء من الشعر وتقول هو ردي والناس يستحسنونه " .

(١) الموازنة ١ / ١١٤

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٣) نفس المصدر والجزء / ١٢ - ١٣

(٤) نفس المصدر والجزء / ١٣

ويقول علي لسان اسحاق الموصلي : " وسألني محمد الأمين عن شعريين متقاربين وقال : اختر أحدهما فأخترت فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لأمكنني التبيين ولكنهما تقاربا وفضلت هذا بشئ " تشهد به الطبيعة ولا يجبر به اللسان " .^(١)

الحامل في النقد

وبين الآمدى أن بعض من نقد أبا تمام قد تحامل عليه في النقد موردا كل ما جاش به خاطره ولجلجة أفكاره فخلط الجيد بالردي والعين النادر بالردل الساقط والصواب بالخطأ " .^(٢)

كما " أفرط المتعصبون له في تفضيله وقد موه على من هو فوقه من أجمل جيده وسامحوه في رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتأولوا له التأول البعيد فيه " .^(٣)

كما " قابل المنحرفون عنه افراطا بافراط فبخسوه حقه وأطرحوا احسانه ونمو سيئاته وقد موهوا عليه من هو دونه وتجاوز بعضهم ذلك الى القبح فسي الجيد من شعره وطعن فيما لا مطمئن عليه فيه واحتج بما لا تقوم حجة به " .^(٤)

وقد عد الآمدى من هؤلاء النقاد محمد بن القاسم بن مهرويه وأبيه وأبنا العباس أحمد بن عبيد الله وقد دافع الآمدى عما رآه تحاملا " .^(٥)

-
- (١) الموازنة ١ / ١٤٤
 (٢) نفس المصدر والجزء / ١٣٩ - ١٤٠
 (٣) نفس المصدر والجزء / ١٤٠
 (٤) نفس المصدر والجزء والصفحة
 (٥) نفس المصدر والجزء / ١٣٩ - ١٤٠ وانظر الى ص ١٥٧

موقف الآمدى النقدى فى الموازنة

بين الآمدى أنه بنى نقده فى الموازنة على الحياد وعدم متابعتة لواحد من خصوم البحترى أو خصوم أبى تمام أو أنصار كل منهما ويرسم لنا هذا المنهج بقوله : " ولست أحب أن اطلق القول بأيهما أشعر عندى لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدف للذم أحد الفريقين " . (١)

وقد فصل الآمدى بعد أن بين أن النقاد لم يتفقوا على أى الاربعة أشعر بقوله : " فان كنت أدام الله سلامتكم ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحترى أشعر عندك ضرورة ، وان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التى تستخرج بالفضوض والفكرة ولا تلوى على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ، فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية وبين معنى ومعنى ثم أقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ثم أحكم حينئذ ان شئت على جملة ما لكل واحد منهما ان احطت علما بالجيد والردى " . (٢) وهذه غاية الانصاف والحياد عند الآمدى .

(١) الموازنة ٥ / ١

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة ، وانظر ٥٧ / ١

وقد بين الآمدى أنه استمد بعض نقده من النقاد المتخصصين . يقول :
 " وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والالفاظ ما أخذته من أفواه
 الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة وما استخرجته أنا من
 ما ذلك واستنبطته بعد أن اسقطت منه كل ما احتل التأويل ودخل تحت
 المجاز ولاحت له أدنى علة " . (١)

وقد أشار الى بعض ما نقله من النقاد المتقدمين أمثال ابن سلام الجمحي (٢)
 وغيره . (٣)

(١) الموازنة ١/١٤١

(٢) نفس المصدر والجزء ٤١٣ - ٩/١

(٣) نفس المصدر والجزء ٤٢٥ - ٤٢٦

الباب الثالث

النقد عند الفاضل الجرجاني

- الفصل الأول - الموازنة
- الفصل الثاني - أخطاء الشعراء
- الفصل الثالث - اللفظ والمعنى
- الفصل الرابع - السرقات الشعرية
- الفصل الخامس - التقديم والتأخير
- الفصل السادس - قضايا نقدية أخرى

الفصل الأول

الموازنة

بين الجرجاني أن التفاضل بين الشعراء مدعاة للتنافس والالتيام
بالأفضل - وهو بذلك يؤدي الى التحاسد ، ومن هنا كانت المفاضلة بين
الشعراء سببا في تهريض بعضهم الى الانتقاص من قبل بعض الحاسدين وذلك
بيد الجرجاني أسلوبه في الموازنة قائلا : " التفاضل أطال الله بقاءك داعية
التنافس والتنافس سبب التحاسد وأهل النقص رجلا : رجل أتاه التقصير من
قبله وقصد عن الكمال اختياره فهو يساهم الفضلاء بطبعه ويحنو على الفضل
بقدر سهمه ، وآخر رأى النقص متمرجا بخلقته ومؤثلا في تركيب فطرته فاستشمر
اليأس من زواله وقصرت به الهمة عن انتقاله فلجأ الى حسد الأفاضل واستغاث
بانتقاص الأماثل يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته وستر ما كشفه العجز عن
عورته اجتذابههم الى مشاركته ووسمهم بمثل سمته وقد قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

صدق والله وأحسن . كم من فضيلة لو لم تستشرها الحاسد لم تبح في الصدور
كامنة ومنقبة لو لم ترعجها المنافسة لبقيت على «الها ساكنة لكنها برزت فتناو
السن الحسد تجلوها وهي تظن أنها تمحوها وتشهرها وهي تحاول أن تسترها
حتى عثر بها من يعرف حقها واهتدى اليها من هو أولى بها فظهرت على لسانه
في أحسن معرض واكتست من فضله أزين طبس فمادت بعد الخمول نابهة
وبعد الذبول ناضرة وتمكنت من بر والدها فنوهت بذكره وقدرت على قضاء حق
صاحبها فرفعت من قدره (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)^(١)

فالتفاضل والموازنة بين الشعراء أساس اظهار الفضيلة عند الشاعرين - وأحد

دوافع التفاضل والموازنة الحسد، وهو بذلك يشير الى حساد المتنبي الذين عن طريق ازدرائهم لشعره وموازنته بغيره للغرض منه ظهر فضله واشتهر إبداعه .

ويرى الجرجاني أن النقاد يختلفون في تفضيل الشاعر - ويخى أبا الطيب بذلك - فالناس فريقان مظهر لفضله وتفضيله على غيره وقادح عائب له . يقول : "وما زلت أرى أهل الأدب منذ الحقننى الرغبة بجملتهم ووصلت العناية بيــــنى وبينهم في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فثنتين من مطنب في تقيظــــه منقطع اليه بجملته منحط في هواه بلسانه وقلبه يلتقى مناقبه اذا ذكرت بالتمظيم ويشبع محاسنه اذا حكيت بالتفخيم ويعجب ويعيد ويكرر ويميل على من عابــــه بالزراية والتقصير ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل فاذا عثر على بيت مختل النظام أو نه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله وما يزيله عن موقف المعتذر ويتجاوز به مقام المنتصر ، وعائب يروم ازالته عن رتبته فلم يسلم له فضله ويحاول حطه منزلة بوأها اياه أدبه فهو يجتهد فــــي إخفاء فضائله وإظهار معاييه وتتبع سقطاته واذاعة غفلاته " .^(١)

واعتقد أن هذا الضرب من التفضيل أو الانتقاص انما هو الواقع من أنصاره المشيعمين أو خصومه الكارهين ولذلك فهو ليس من صميم النقد وانما هو سبب من أسباب الاهتمام بهذا الشاعر وتناوله لدى النقاد الذين حكموا فيه بقواعــــد النقد - ومنهم الجرجاني .

ويرى الجرجاني أن الطائفتين على خطأ كبير فالنقد السليم لا يقوم على ذلك - وإنما يقوم على أساس العدل وعدم التمييز وبيان الفضائل ان وجدت والنقائص ان وجدت كما جاءت عن الشاعر وكما عرفت أصول النقد ذلك - وبيان الجيـد لفضله والردى لنقصه دون التخيـز للشاعر انتصاراً أو الوقوف ضده خصوصاً وعد ١٤١ . يقول :

" وكلا الفريقين ظالم له أو للأدب فيه وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة في تقريظ المقصر واسراف المفرط وقد جعل الله لكل شىء قدراً وأقام بين كل حديث فصلاً وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر ولا يلتصق عند الآدمي الاطكان في طبيعة ولد آدم وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عزّ حاله حيفاً والتعامل على من وجه إليه ظلم .

وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة فمتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم فان عثرته من بعد على زلّة ووجدت له بعقب الاحسان هفوة انتحل لمعذر صادق أو رخصة ساعفة فأنا أعوز قيل زلة عالم وقل من خلا منها وأى الرجال المهدب ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل وزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً ولم نسم به إذا أردنا حقيقة أحداً وأى عالم سمت به ولم يزل ويغلط أو شاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط . (١)

نجد الجرجاني يتبع في الموازنة أساليب متنوعة ، فهو يوازن أحيانا بذكر
شعر لشاعر و يقيس عليه الشاعر الآخر مينا وجهة نظره . يقول :
” ومن جنایات هذا الاختيار على أبي تمام واتباعه أن أحدهم بينهما هو
مسترسل في طريقته وجار على عادته يختلجه الطبع الحضري فيعدل به متسهلا
ويرمى بالبيت الخنث فاذا أنشد في خلال القصيدة وجد قلعا بينها نافرا
عنها واذا أضيف الى ما وراءه وأمامه تضاعفت سهولته فصارت ركافة ربما افتتح
الكلمة وهو يجرى مع طبعه فينظم أحسن عقد ويختال في مثل الروضة الانيقة
حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسئم أوعر طريق ويتعسف أخشن
مركب فيطمس تلك المحاسن ويمحو طلاوة ما قد قدم كما فعل أبو تمام في كثير
من شعره ومنه قوله :

لو هار مرتاد المنية لم يجد	الا الفراق على النفوس دليلا
قالوا الرحيل فما شككت بأنها	نفس من الدنيا تريد رحيلا
الصبر أجمل غير أن تلذذا	في الحب أحرى أن يكون جميلا
أتظنني أجد السبيل الى العزا	وجد الحمام اذا الى سبيلا
رد الجموح الصعب أسهل مطلبيا	من رد دمع قد أصاب مسيلا
ذكرتكم الانواء ذكرى بعضكم	فبكت عليكم بكرة وأصيلا
اني تأملت النوى فوجدتها	سيفا على أهل الهوى مسلولا

ثم عدل عن النسب فقال :

لو جاز سلطان القنوع وحكمه	في الخلق ما كان القليل قليلا
من كان مرعى عزمه وهمومه	روى الا ما نى لم يزل مهزولا

فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخسرواني والوشم المنمّم
حتى يقول :

لله درك أي مِعْبَر قَفَرَة لا يوحش ابن البيضة الا جفلا
أو ما تراها لا تراها هـزة تشأى العيون تعجرفا وذميلا

فنفض عليك تلك اللذة وأحدث في نشاطك فترة وهذه الطريقة أحد ما نَمِصَى
على أبي الطيب . . . ولولم تكن هذه الابیات متناسقة مقترنة ولم يكن يجمعها
قصيدة وتسمع في حال واحدة لكان اخفى لعييها واستر لشينها .^(١)

ومن أساليب الموازنة عند الجرجاني عرضه لنماذج معينة عند الشعراء دون
التصريح بأيهم أفضل في ذلك - فنجده يعرض نماذج من المذهب من شعراء
البحتری^(٢) - والمذهب من شعراء جرير^(٣) والجيد من شعراء أبي نواس^(٤) والجيد
من شعراء أبي تمام^(٥) . وغير ذلك وهو يكتفى بعرض هذه الاشعار وبيان مواطن
الجودة فيها أحيانا والمآخذ أحيانا أخرى - ويوازن موازنة عامة بين الشعراء
ويبين ارتباط الشعراء بالمحاسن في بعض الشعر وبالسوء في بعض الشعر
كذكره التفاوت في الشعر حيث ذكر تفاوت شعراء أبي تمام^(٦) وتفاوت شعراء
أبي نواس^(٧) كما ذكر الردى من شعراء أبي نواس^(٨) والردى من شعراء أبي تمام^(٩).

(١) الوساطة ٢٢-٢٣

(٢) نفس المصدر ٢٥

(٣) نفس المصدر ٢٩

(٤) نفس المصدر ٥٥

(٥) نفس المصدر ٦٥

(٦) نفس المصدر ١٩، ٦٥

(٧) نفس المصدر ٥٥

(٨) نفس المصدر ٥٨

(٩) نفس المصدر ٦٧

كما ذكر الجيد معلقا بالفرع أحيانا كذكره الجيد من شعر البحترى فى
المدح . (١)

والجرجاني فى ذلك يذكر مواطن الحسن فى القصيدة يقول عن شعر جرير
" وانما أثبت لك القصيدة بكمالها ونسختها على هيئتها لترى تناسب أبياتها
وازدواجها واستواء أطرافها واشتباها وملازمة بعضها لبعض مع كثرة التصرف
على اختلاف المعانى والأغراض " . (٢) ولا يذكر درجة المفاضلة بينها وبين شعر
البحترى - الا أن شعر البحترى الوط بالنفس لقرب الزمان يقول " وانما أحلى لك
على البحترى لانه أقرب بنا عهدا ونحن بمأشد أنسا وكلامه اليق بطباعنا وأشبهه
بعاداتنا وانما تألف النفس ما جانسها وتقبل الاقرب فالأقرب اليها فان شئت
أن تعرف ذلك فى شعر غيره كما عرفته فى شعره وان تعتبر القديم كاعتبار المولد
فأنشد قول جرير " . ثم ذكر أبياتا لجرير وعدّها من شعره المذهب . (٣)

ومن أساليب الجرجاني فى الموازنة الاكتفاء بذكر تفوق الشاعر على الشعراء
الآخرين فى أمر من أمور الشعر وبيان أن غيره لم يلحق مكانته لو قارنته بما قال
الآخرون فيه يقول : " وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجأذر
ونواظر الغزلان حتى أنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه الا فى النادر
الفذ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت اليه قول امرئ القيس :

(١) الوساطة ٢٣

(٢) نفس المصدر ٣١

(٣) نفس المصدر ٢٩

(٤) (٢٩ - ٣١)

تصد وتبدى عن اسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل
أو قابله بقول عدى بن الرقاع :
وكانها بين النساء أعارها عينية أهور من جاذر جاسم

رأيت اسراع القلب الى هذين البيتين وتبينت قربهما منه والمعنى واحد وكلاهما
خال من الصنعة بعيد عن البديع الا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى
كسته هذه البهجة الى أن يقول " . . . وقد يختلف خلق الظباء وألوانها
باختلاف المنشأ والمرتج وأما العيون فقل أن تختلف لذلك وأما ما تم به عدى
الوصف وأضافه الى المعنى المبذل بقوله على أثر هذا البيت :

وسنان أيقظه النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
فقد زاد به على كل من تقدم وسبق بفضل جميع من تأخر ولو قلت اقتطع هذا المعنى
فصار له وخطر على الشعراء ادعاء الشرك فيه لم أرني بعدت عن الحق ولا جانب
الصدق . (١)

وقد يأخذ أسلوب التفضيل عند الجرجاني الموازنة بين شاعرين لا يفتض
فضل أحدهما ولا يفضل أحدهما لنقص في الآخر ولكن لأن السامع يطرب لأحد
أكثر من الآخر . يقول :
" وقد تغزل أبو تمام فقال :

دعنى وشرب الهوى يا شارب الكأس فأننى للذى حسيته حاسسى

لا يوحشك ما استعجمت من سقمى فان مغزله من أحسن الناس
من قطع الفاظه توصيل مهلكتى ووصل الحاظه تقطيع أنفاسى
متى أعيش تأميل الرجاء اذا ما كان قطهر جائى فى يدى ياسى

فلم يخل بيت منها من معنى يد يع وصنعة لطيفة طابق وجانس واستعار
فأحسن وهي معدودة في المختار من غزله وحق لها فقد جمعت على قصرها
فنونا من الحسن واصنافا من البديع ثم فيها من الاحكام والمتانة والقوة ما تراه
ولكننى وما أظنك تجد له من سورة الطرب وارتياح النفس ما تجده لقول بعض
الأعراب :

أقول لصاحبي والعيس تهوى	بنا بين المنيفة فالضمـار
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد	وريا روضه غب القطـار
وعيشك ان يحل القوم نجدا	وأنت على زمانك غيمـر زار
شهور ينقضين وما شعرنا	بأنصاف لهن ولا سـرار
فأما ليلهن فخير ليل	وأقصر ما يكون من النهـار

فهو كما تراه بعيد الصنعة فارع الألفاظ سهل المأخذ قريب المتناول^(١).

وبين الجرجاني أن العرب " انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن
بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف
فأصاب وشبه فقارب وبدء فأغزر ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن

تعباً بالتجنيس والمطابقة ولا تَجْعَلُ بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود
الشمر ونظام القريض . (١)

وقد وازن الجرجاني بين بعض من الشعراء فوازن بين أبي تمام . يقول بعد
قوله :

" وَلَيْ وَلَمْ يَظْلَمْ وَمَا ظَلَمَ امْرِئٌ حَتَّ النَّجَاءِ وَخَلَفَهُ التَّتَيْنُ

فهو يجعل الممدوح ثارة دلوا وثارة محراثا ومرة رشاء وأخرى تتينا وشيطانا
رجيما وأظنه جسر على ذلك لما سمع قول جرير :

أيام يدعونني الشيطان من غزلي وهن يهوينني ان كنت شيطانا
وما أبعد ما بين الكلامين وأشد تفاوت ما بين الموضعين . (٢) ويكتفى الجرجاني
بهذا الحكم .

ونجد الجرجاني يمرض أبياتا لبعض الشعراء موازنا بينها ولكنه يكتفى
في موازنته بالاشارة الى الأفضل دون تفضيل مفصل أو الى بيان السبق للشاعر في
هذا . يقول :

" فاذا جاءك الاستعارة كقول زهير :

وَعَرَّى أَفْرَاسُ الصَّبَا وَوَاخِلُهُ

وقول لبيد :

ان اصبحت بيد الشمال زمامها

(١) الوساطة ٣٣ - ٣٤

(٢) نفس المصدر ٦٩

والأبيات التي جعل الممدوح فيها كما ذكر قبل هذا البيت هي :

أترك حاجتي غرض التواني وأنت الدلو فيها والرشاء
ضاحي المحيا للهجير والقنا تحت المجاح تغاله محراثا
تغنى الحرب منه حيث تغلى مراجلها بشيطان رجيم

وقول ابن الطشيرة :

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

وقول الحارث بن حلزة :

حتى اذا التفع الظباء بأطراف الظلال وقلن في الكنُس

وقول أبي نواس :

أعطتك ريحانها العقار " (١)

ثم ذكر كثيرا من الابيات في هذا المعنى . (٢) الى أن يقول " فقد جاءك الحسن والاحسان وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ " . (٣)

وهو يوازن أثناء عرضه هذا الشعر المفضل على غيره في موضوعه - بسين

شاعرين يقول :

" وقول مسلم :

ظلمتك ان لم أجزل الشكر انما جعلت الى شكرى نوالك سلما

فانظر كم بين استعارته السلم ، واستعاره أبي تمام له في قوله :

ما ضر أروع يرتقى في همسة روعاء أن لا يرتقى في سلم " (٤)

وهذه موازنة مبهمة لم يبين الجرجاني سبب التفضيل أو المفضل ولكنه

اكتفى بالاشارة فقط . " (٥)

(١) الوساطة ٣٤-٣٥

(٢) نفس المصدر ٣٤-٣٩

(٣) نفس المصدر ٣٩

(٤) نفس المصدر ٣٦

(٥) انظر ٣٨ أيضا ففيها موازنة مشابهة بين أبي تمام وابن المعتز .

وبين الجرجاني أن لطلب البدن أشرا في ضعف الشعر فلا يصل
إلى درجة غيره إذا تمت المفاضلة بينه وبين شعر بعد عن تكلف البديع . يقول :
" قال أبو تمام :

كان الزمان بكم كلها ففادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحرم

ويقول :

فحرام عليك أن تقرعي هـا مة قلبي بدمعك المهراق

وما تكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة وأخرى غثة لا سيما
إذا طلب البديع وتبع العويص . (١)

ونجد الجرجاني يهتم بالموازنة في المعاني ، يقول في قول أبي تمام :

تكاد عطاياها يجن جنونها إذا لم يعوذها بنعمة طالب

وما بالها يحوجها إلى الجنون ويلتمس لها المود والرقى هلاك أسرها
وقدم خلاصها ولم ينتظر بها نعمة الطالب ففعل ما قاله أبو الطيب :

أخ لي يعطيني إذا ما سألته ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا (٢)

فهو يفضل ما قاله أبو الطيب في المعنى على ما قاله أبو تمام - مبينا
أن الشعراء قد أولوا هذا المعنى الذي جاء على لسان المتنبي . (٣)

(١) الموازنة ٦٩-٧٠

(٢) الوساطة ٧٦

(٣) نفس المصدر ٧٦-٧٧

المفاضلة بين المتنبي وغيره من الشعراء

اهتم الجرجاني بالمفاضلة بين المتنبي وشعراء آخرين ، وقد تفرق تلك في مواضع عدة في الوساطة ، وهو يعطى بذلك صورة لمنهجه في الموازنة بين الشعراء .

نجد الجرجاني يفضل المتنبي على الشعراء تفضيلاً مطلقاً بل يجعل له سبق والتفضيل في كثير من قصائده ويمدها مبيناً أن تلك القصائد لا يسمو إلى مستواها شعر . يقول بعد أن عرض بعض آراء الذين انتقصوا المتنبي في شعره عامة لأنه أخطأ في أبيات معدودة :
 " وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي انكرتها ولم تسلم له قصب السبق ونصال النضال ، وتعنون باسمه صحيفة الاختيار لقوله :

هو الجد حتى تفضل العيين أختها

وحتى يكون اليوم لليوم سيداً

وما قتل الأحرار كالمفوع عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليد

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وان أنت أكرمت اللئيم تمردا " .

ثم ذكر بقية القصيدة . (١)

(١) انظر ذلك وما تبقى من القصيدة في الوساطة ١٠١

وقوله :

وَاطْمَعَ عَامِرُ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ
وكانت بالتوقف عن رداها
ثم ذكر بقية القصيدة . (١)

وَنَزَقَهَا احْتِمَالُكَ وَالْوَقَارُ
نفوسا في رداها تستشعار

وقوله :

نَزَلُوا فِي مَصَارِعَ عَرَفُوهُنَّ
تحمل الريح بينهم شَعْرًا لَهَا
وذكر بقية القصيدة . (٢)

يَنْدِيُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ
م وَتَدْرِي عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالَ

وقوله :

قَادَ الْجِيَادُ إِلَى الطَّعْمَانِ وَلَمْ يَقْدِرْ
انْخَلَّتْ رُبَطُ بَادِئِ الْوَعْيِ
وذكر بقية القصيدة . (٣)

أَلَا إِلَى الْعِمَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ
فَدَعَاؤُهَا يَغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ

وقوله :

لَوْ كُنْتُ الْخَيْلَ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ
سَحَبَ تَمْرٍ بِحَصْنِ الرَّانِ مَمْسُكَةً
وذكر بقية القصيدة . (٤)

تَحْمِلْتَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمَمِ
وَمَابِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نَقَمٌ

-
- (١) انظر ذلك وما تبقى من القصيدة في الوساطة ١٠٢
(٢) " " " " " " ١٠٣
(٣) " " " " " " ١٠٤
(٤) " " " " " " ١٠٥

وقوله :

هندية ان تسفر معشرا صغروا
قاسمتها تل بطريق فكان لها
ثم ذكر بقية القصيدة . (١)

وقوله :

يا أعدل الناس لا في معاملتي
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
ثم ذكر بقية القصيدة . (٢)

وقوله :

الناس ما لم يروك أشبهاه
والجود عين وأنت ناظرها
ثم ذكر بقية القصيدة . (٣)

وقوله :

وفارس الخيل من حفت فوقرها
وذكر بقية القصيدة . (٤)

(١) الوساطة ١٠٥-١٠٦

(٢) نفس المصدر ١٠٦

(٣) نفس المصدر ١٠٧

(٤) نفس المصدر ١٠٧-١٠٨-١٠٩

وقوله :

خليلي اني لا أرى غير شاعر
فلا تمجبا ان السيوف كثيرة
ثم ذكر بقية القصيدة . (١)

فلم منهم الدعوى ومنى القوائد
ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وقوله :

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها
وأوفي حياة الفابرين لصاحب
ثم ذكر أبياتا أخرى في القصيدة . (٢)

بكى بعميون سرها وقلوب
منعنا بها من جيئة وذهوب
حياة امرى خانتة بعد مشيب

وقوله :

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامسة
ونذكر أبياتا فيها . (٣)

لمن بان عنه أن نلم به ركبنا

وقوله :

رأى ملك الروم ارتياحك للندى
ونذكر منها أبياتا . (٤)

فقام مقام المجتدى المتعلق

وقوله :

فلو خلق الناس من دهرهم
لكانوا الظلام وكنت النهارا (٥)

(١) الوساطة ١٠٩

(٢) نفس المصدر ١١٠، ١٠٩

(٣) نفس المصدر ١١٠

(٤) نفس المصدر ١١١

(٥) نفس المصدر والصفحة - وذكر منها أبياتا .

وقوله :

- (١) ورعن بنا قلب الفرات كأنما تخر عليه بالرجال سيول

وقوله :

- (٢) أيدري ما أرايك من يريب وهل ترقى الى الفلك الخطوب

وقوله :

- (٣) المجد عوفي ان عوفيت والكرم وزال عنك الى أعدائك الألم

وقوله :

- (٤) ما الدهر عندك الا روضة أف يا من شمائله في دهره زهر

وقوله يذكر رسول صاحب الروم :

- (٥) وأنى اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذ سرت فيها القساطل

وقوله :

- (٦) طلبتهم على الامواه حيتي تخوف أن تفتشه السحاب

وقوله :

- (٧) هبل الحدث الحمراء تعرف لو وتعلم أى الساقين الفئام

-
- (١) الوساطة ١١٢ - وذكر منها أبياتا
 (٢) نفس المصدر والصفحة
 (٣) نفس المصدر ١١٣
 (٤) نفس المصدر والصفحة
 (٥) نفس المصدر ١١٤
 (٦) نفس المصدر والصفحة
 (٧) نفس المصدر ١١٥

وقوله :

ودانت له الدنيا فصبح جالسا وأيامها فيما يريد قيام (١)

وقوله :

وللنفس أخلا تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا (٢)

وقوله :

وما زال أهل الدهر يشتمهون لى اليك فلما لحت لى لاح فرده (٣)

وقوله :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم (٤)

وقوله :

أما تغلط الأيام في بأن أرى بغيا تنائى أوحبيا تقرب (٥)

وقوله :

رأيتكم لا يصون المرعى جاركم ولا يدر على مرعاهم اللين (٦)

وقوله :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان (٧)

(١) الوساطة ١١٥ وذكر فيها أبياتا أخرى .

"" (٢) نفس المصدر ١١٦

"" (٣) نفس المصدر والصفحة

"" (٤) نفس المصدر ١١٧

"" (٥) نفس المصدر ١١٧-١١٨

"" (٦) نفس المصدر ١١٩

"" (٧) نفس المصدر والصفحة

وقوله :

(١) عيون رواحلى ان حرت عيـنى وكل بغام رازحة بغامى

وبين الجرجاني أن المتنبى قد فاق جميع الشعراء واستحق التفضيل عليهم بقصائده السالفة الذكر . . وهذا من الموازنة المطلقة التى لم يتقيد فيها الجرجاني بالمقارنة بين شعر وشعر أو بيان مواطن التفضيل .

ووازن الجرجاني بين المتنبى وابن المعذل في قصيدتيهما في الحمى - وهو في الموازنة بين الشعر في الفرع الواحد ، فقد ذكر قصيدة المتنبى في الحمى والتي يقول فيها :

وزائرتى كأن بها حياءاً فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاقتها ويات في عظامى (٢)

ثم قال عنها :

" وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم لاحد في معناها مثلها ، والأبيات التى وصف فيها الحمى أفراد فقد اخترع أكثر معانيها وسهل في ألفاظها فجاءت مطبوعة مصنوعة وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس " . (٣)

وهذا تفضيل مطلق للقصيدة .

ثم يوازن بينها وبين قصيدة ابن المعذل فيقول : " وقد أحسن عبد الصمد ابن المعذل في قصيدته الرائية التى وصف فيها الحمى ، وقصر في الضاد ية

(١) الوساطة ١١٩-١٢٠ وذكر فيها ابياتا أخرى- وذكر قصائد أخرى ١١٣-١٥١

(٢) نفس المصدر ١٢٠ وانظر بقية القصيدة ١٢٠-١٢١

(٣) الوساطة ١٢١

وفي مقاطيع له في وصفها ، وكان أبا الطيب قصد تنكب معانيه فلم يلم بشئ منها . قال عبد الصمد :

وبنت المنية تنتابني هدا وتطرقني سحره (١)

ثم يقول بعد انتهاء القصيدة :

.. فأحسن وأجاد وطمح واتسع وانما انا قست أبيات أبي الطيب بها على قصرها وقابلت اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى وكنت من أهل البصر وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفضول ، فأما أنا فأكره أن أبت حكما أو أفضل قضا أو أدخل بين هذين الفاضلين وكلاهما محسن مصيب . (٢)

وهذا موقف من مواقف الجرجاني في نقده .

ثم وازن بين المتنبي والبحتري في وصف الأسد مبينا فضل البحتري في ذلك ، وفضل المتنبي . يقول :

" قال المتنبي يصف أسدا :

وقعت على الاردن منه بليّة	نضدت بها هام الرفاق تلولا
متخضب بدم الفوارس لا بس	في غيله من لبّدته غيّلا (٣)

ثم قال بعد أن عرّض القصيدة :

" ولولا أبيات البحتري في هذا المعنى لعددت هذه من أفراد أبي الطيب . لكن البحتري قال يصف قتل الفتح بن خاقان أسدا عرض له :

(١) الوساطة ١٢١ وانظر بقية القصيدة ١٢١، ١٢٢

(٢) نفس المصدر ١٢٢

(٣) نفس المصدر ١٣٠ وذكر بقية القصيدة .

غداة لقيت الليث والليث مخدر يحدد نابا للقاء ومخلبا
 يحصنه من نهر نيزك معقل منيع تسامي غابه وتأشبا (١)
 ثم قال بعد أن عرض القصيدة :

" فاستوفي المعنى وأجاد في الصفة ووصل الى المراد وأما أبو زيد فانما
 وصف خلق الأسد وزغيره وجراته واقدامه وكأنما هو مرعوب أو مخدر والفضل له
 على كل حال لكن هذا غرض لم يرمه ومنه هب لم يسلكه " . (٢)

ثم وزن الجرجاني بين أبي الطيب وبعض الشعراء، يذكر لهم ما قالوه
 في غرض أو معنى - وفضل السابق - وتقصير المتأخر وما زاد به - وما كان سرقة
 في مفهومه . وهو لا يفاضل في الموازنة ولكنه عرض لما اشترك فيه المتنبي مع
 الشعراء الآخرين في غرض أو معنى في بيت أو أكثر . (٣)

وانا نظرنا في طريقة الجرجاني في الموازنة فاننا نجد لها لا تختلف كثيرا
 عن منهج الآمدي في موازنته وقد سبق ذلك بالتفصيل . (٤)

(١) الوساطة ١٣١ - ١٣٢

(٢) نفس المصدر ١٣٢

(٣) انظر ذلك منتشرا في الكتاب ومن ٢٢٨ - ٤١٢

(٤) انظر الباب الثاني - الفصل الاول (الموازنة) من هذه الرسالة .

الفصل الثاني

أخطاء الشعراء

اهتم الجرجاني برصد أخطاء الشعراء - كما فعل الآمدي - وكأنه بذلك يقدم العذر للانتصار للمتنبى من خصومه الذين عدوا عليه كثيرا من المعاييب . ونسب الجرجاني الى الشعراء القداسى الوقوع فى أنواع عدة من الأخطاء ، هين أن الخطأ كان ظاهرة عادية لدى أولئك الشعراء ومن جاء بعدهم .

يقول الجرجاني : " ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فأنظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه اما فى لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه أو اعرابه " . (١)

وهين الآمدي أن لا عذر لا أولئك الا تقدمهم " ولولا أن أهل الجاهلية جَدُّوا بالتقدم . واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والاعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية . لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل مذهب و قامت فى الاحتجاج لهم كل مقام " . (٢)

وهذه لفظة نقدية من الجرجاني رسم فيها مقياسا من مقياس النقد عند القدماء ، يبرز فى أن المتقدم يشفع له تقدمه . (٣)

وأحسب أن موقف الجرجاني هذا من أخطاء الشعراء - هو موقف مشترك

(١) الوساطة ٤

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) وهذا ما خالفه ابن قتيبة .

بين النقاد الذين سبقوه ورصدوا على الشعراء أخطاءهم - كالأمدى مثلاً - إلا أن الجرجاني هنا قد حدد مفهوماً جديداً سلكه النقاد القدامى وهو التجاوز عن القدامى - لقد مهمهم - وكأنه تقديس لما ورد عنهم من تراث .

وقد اهتم الجرجاني عند عرضه لأخطاء الشعراء ببيان أنواع الأخطاء التي وقعوا فيها مستشهداً بأقوالهم ومبيناً مواطن الخطأ في البيت - وهو بذلك يشبه في نهجه نهج الأمدى إلى حد بعيد .^(١)

أنواع الأخطاء عند الجرجاني

أخطاء في الاعراب :

وقد ذكر الجرجاني عدداً من هذه الأخطاء عند القدامى : يقول :
وما أراك - أدام الله توفيقك - إذا سمعت قول امرئ القيس :
أيا راكباً بلغ اخواننا - من كان من كندة أو وائل
فنصب " بلغ " ، وقوله :

فاليوم أشرب غير مستحقب - اثما من الله ولا واغـل
فسكن " أشرب " ، وقوله :

لها متنتان خطاتا كما - أكب على ساعديه النمر
فأسقط النون من " خطاتا " لغير إضافة ظاهرة .

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني (أخطاء الشعراء عند الأمدى)

وقول لبيد :

تَرَكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَ هَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَفُوسِ حَمَامَهَا
فسكن "يرتبط" ولا عمل فيها للـم . وقول طرفة :

" قد رفع الفخ فماذا تحذرى "

فحذف النون . وقول الاسدى :

كُنَّا نَرْقَعُهَا وَقَدْ مُزَّقَتْ وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ
فسكن " نرقعها " . وقال الآخر :

تَأْبَى قِضَاعَةٌ أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَهِيَ نَزَارُ وَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
فسكن " تعرف " ، وقول الآخر :

يَا عَجَبًا وَالِدُ هَرَجٍ عَجَبُهُ مِنْ عَنَزَى سَبَنَى لَمْ أَضْرِبْهُ
فرفع " أضربه " . وقول الفرزدق :

وَعِشْ زَمَانَ يَاهُنْ مِرْوَانَ لَمْ يَسُدَّ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا
فضم " مجلفا " (١)

وقول بعض الرجاجز ، أنشده المفضل :

كَانَتْ عَجُوزًا عَمَّرَتْ زَمَانًا وَهِيَ تَرَى سَيِّئَهَا أَحْسَانًا
تعرف منها الانف والعينان

ففتح النون من العينان . وقول آخر - أنشده أبو زيد :

طَارُوا عَلَيْهِنَّ فِطْرٌ عَلَاهَا وَاشْدَدُ بَمَثْنَى حَقَبٍ حَقَوَاهَا
ناجيةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا

فرفع حقواها ، وحقه النصب ، كما قد نصب أباهما ، وحقه الرفع . وقول الاقيشر :
 " وقد بدا هُنْكَ من المُنْزَر " (١)

ثم يذكر بيت امرئ القيس :
 كَانْ شَبِيرَا مِنْ عِرَانِينَ وَيَلْسُهُ
 كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَائِ مَزْمَلِ
 فخفف " مزلا " وهو وصف كبير " . (٢)

وقول الفرزدق :
 بِخَيْرِ يَدَيَّ مِنْ كَانَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَجَارِيَةٍٍ وَالْمَقْتُولِ لِلَّهِ صَائِمِ
 فخفف " صائم " . (٣)

أخطاء في اللفظة :

كما ذكر الجرجاني عددا من أخطاء الشعراء في اللفظة . يقول :
 " وقول ذي الخرق الطهوي :
 يقول الخني وأبفض المعجم ناطقا
 الى ربنا صوت الحمار اليجدع
 فأدخل الالف واللام . على الفعل . وقول رؤبة :
 أقفرت الوعثاء والمعثاء
 من بعد هم والبرق السبرارث
 وانما هي البراث جمع برث ، وهي الاماكن السهلة من الارض ، وروى الهوارث وكأنه
 جمع بارشة . " (٤)

(١) الوساطة ٧ - ٨

(٢) نفس المصدر ٨

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) نفس المصدر ٦ - ٧

وقول نقيع ابن حرموز :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى أمي ويرويني النقيع
فأدخل الالف في (أمي) لغير نداء ولا ضرورة * .^(١)

أخطاء في المعاني :

ثم ذكر الجرجاني أخطاء الشعراء في المعاني ، قائلا :
* ثم عدت الى ما عدده العلماء في أغاليطهم في المعاني - كقول امرئ القيس :
وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها شعر منتشر
وهذا عيب في الخيل . وقول زهير :
يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الفم والفرقا
والضفادع لا تخاف شيئا من ذلك . وقول سلمة بن الخرشب :
إذا كان الحزام لقصر يبيها أما ما حيث يمتسك البريم
يقول : ان الحزام يقرب في جولا إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين .
قال الاصمعي : أخطأ في الوصف ، لان خير جرى الاناث الخضوع ، وانما يختار
الاشراف في جرى الذكور ، فإذا اختضعت تقدم الحزام ، كما قال بشر بن أبي حازم :
نسوف للحزام بمرفقيه يسا يشد خواء طبييها الغبار
وقد ساعد متم بن نويرة على هذا الوصف سلمة فقال :
وكأنه فوت الجوالب جانثا رثم تنمايقه كلاب ، أخضع
فوصف الذكر بالخضوع وانما يختار له الاشراف * .^(٢)

(١) الوساطة ٨

(٢) نفس المصدر ١٠ - ١٢

ثم يقول :

وكقول الجعدي :

كَأَنَّ تَوَالِيَهُمَا بِالضَحَى نَوَاعِمَ جَعَلَ مِنَ الْأَثْنَاءِ

والجعل : صفار النخل ، وانما المراد الكبار ، وبه يصح الوصف فيما زعموا . وقول أبي ذؤيب يصف الفرس :

قَصْرُ الصُّبُوحِ لَهَا فَشَجَّ لَحْمَهَا بِالتِّيْ فَهِيَ تَتَوَخَّ فِيهَا الْاَصْبَعُ

قال الاصمعي : حمار القصار خير من هذا ، وانما يوصف الفرس بصلابة اللحم . (١)

ثم ذكر عدة أمثلة لعدد من الشعراء وأثبت فيها خطأهم في المعاني ، متعرضاً أثناء عرضه لذكر امرئ القيس تعرض الشرا في السماء ، وذكر زهير (احمر عاد) وهو أحمر ثمود ، والشاعر الذي ذكر للدوم أكاما ، والدوم لا أكام له . والشاعر الذي جعل في الفرات درا - والدر لا يكون في الماء المذب - وغير ذلك . (٣)

ولعلنا لاحظنا أن الجرجاني عند عرضه لأخطاء الشعراء في المعاني ، قد أورد أبياتاً لشعراء لم يورد هم الامدي - كما أنه استشهد ضمناً بآراء النقاش كالاصمعي مثلاً - وكذلك فعل في عدده أخطاءاً للشعراء في مواطن أخرى - حيث استشهد بآراء أبي زيد وغيره - كما بين صواب الخطأ مستشهداً بما أورد - الشعراء الآخرون .

(١) الوساطة ١٢

(٢) نفس المصدر ١٢-١٣

(٣) نفس المصدر ١٣-١٤

أخطاء في الوزن :

وقد ذكر من أخطاء الشعر في الوزن - أخطاء المحدثين حيث ذكر
أخطاء أبي نواس في ذلك . يقول :
" ومن الخطأ في الوزن قوله :

رأيتك من كـ	ن أحقما معتوها
ففى ذا الزمان	صار المقدم الوجيها
يارب نذل وضيع	نوهته تنويها
هجوته لكيمها	أزیده تشويها

فبعضه " مستفعلن مفعول وفعل " ، وبعضه " مستفعلن فاعلاتن " . (١)

وعندما استعرض أخطاء الشعراء ، اهتم بناحية على جانب كبير من
الاهمية . فعرض ما كان يحدث ويجرى من الرواة والشعراء - وذكر انكار
الاصمعي وأبى زيد وغيرهما لا خطأ الشعراء في اللفظة والاعراب (٢) ثم أشار
الى ما جرى بين عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه
في قوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
ففتح الياء من موالى فى حال الجر ، وما جرى له مع غنبة الفيل النحوى حتى
قال فيه :

لقد كان فى معدان والفيل شاغل لعنبة الراوى على القصائد (٣)

(١) الوساطة ٦٢-٦٣

(٢) انظر تلك الأخطاء من ٤ - ٨

(٣) الوساطة ٨ - ٩

ثم ذكر الجرجاني : " ما كان القدماء يتتبعونه في أ شمار الا وائل من
لحن وغلط واحالة وفساد معنى ، حتى قال البردخت لبعض النحويين :
لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كمثله العود مما تتبّع
تتبع لحننا في كلام مرقش وخلقك مبنى على اللحن أجمع
فميناك اقواء وأنفك مكفأ ووجهك ابطاء فأنت المرقم " (١)

" وقول الاصمعي في الكميت : جرمقاني من جرميق الشام لا يحتج بشعره وما
أنكره من شعر الطرماح ولحن فيه ذا الرمة " . (٢)

واذا كان الجرجاني قد ذكر أن النقاد التمسوا العذر للشعراء المتقدمين ،
فانه قد أشار الى أن النحاة قد تكلفوا لهم العذر بقول : " ثم تصفحت مع
ذلك ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج اذا أمكن : تارة بطلب التخفيف
عند توالي الحركات ، ومرة بالاتباع والمجاورة ، وما شاكل ذلك من المعانيير
المتحولة ، وتغيير الرواية اذا ضاقت الحجة ، وتشبث ما راموه في ذلك من المرامي
البعيدة ، وارتكبوا لاجله من المراكب الصعبة التي يشهد القلب أن المحرك لها ،
والباعث عليها شدة اعظام المتقدم ، والكلف بنصرة ما سبق اليه الاعتقاد وألفته
النفس " . (٣)

(١) الوساطة ٩-١٠

(٢) نفس المصدر ١٠

(٣) نفس المصدر ٤

(٤) نفس المصدر ١٠

أخطاء المتنبي

- عرض الجرجاني أخطاء المتنبي - بعد أن عرض نماذج من أخطاء الشعراء - وهو منهج نهج الأمدى في معالجته أخطاء أبي تمام والبحتري - إذ يجعل دراسة الأخطاء عند الشعراء - مدخلا إلى دراسة الأخطاء عند المتنبي - بيد أن الجرجاني قسم أخطاء المتنبي إلى أجزاء رئيسية :
- أولا - الفلو والافراط .
- ثانيا - الأخطاء التي عابه بها النقاد وليست أخطاءا
- ثالثا - الأخطاء التي أقرها الجرجاني وعرض نماذجها وأنواعها .

الفلو والافراط :

وجد الجرجاني أن الافراط لا يختص به شاعر من المحدثين دون آخر ولكنه . . . مذهب عام في المحدثين ، وموجود كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون فمستحسن قابل ، ومستقبح راب . . . " (١)

وان للافراط حدودا متى لزمها الشاعر لم تعد عليه مأخذا وأن له رسوما متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدّها جميعين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء . فاذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدت إلى الحال التي لا حالة ، وانما الحالة نتيجة الافراط وشعبة من الاغراق ، والباب واحد ، ولكن له درج ومراتب . " (٢)

(١) الوساطة ٢٠٤

(٢) نفس المصدر والصفحة

ونجد أن الجرجاني يلتصم العذر للشاعر المتأخر إذا أفرط . وقد سبقه
الى ذلك شاعر آخر ، ويرى أن في ذلك عذرا له - حتى ولو بالغ في الافراط ، لان
الشاعر وجد سننا مرسوما فاتبعه فان هو زاد فله العذر في ذلك - وضرب
الجرجاني أمثلة لذلك منها قوله :

* فإذا سمع المحدث قول الاول :

الا انما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب
وقول آخر من المتقدمين :

ولو أن ما ابقيت منى معلوق بعود تمام ما تأود عودها
جسر على أن يقول :

أسر إذا نحلّت وذاب جسمي لعل الريح تسقى بي اليه
واستحسن غيره أن يقول :

ذاب فلو زجّ بجسمانيه في ناظر الوسنان لم ينتبه
وسهل لابي الطيب الطريق فقال :

ولو قلّم ألقيت في شقّ رأسه من السقم ما غيرت من خطّ كاتب
وقال :

كفى بجسمي نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى اياك لم ترنسى (١)

ثم ذكر الافراط في الاستعارة - وبين أن الشعراء " كانت تجرى على نهج
منها قرب من الاقتصاد حتى استرسل فيها أبو تمام ومال الى الرخصة فأخرجه الى

(١) الوساطة ٤٢٠-٤٢١ وانظر الى نهاية ٤٢٣ حيث سرد أمثلة عدة على ذلك

التعدي وتبعه أكثر المحدثين بعده فوقفوا عند مراتبهم من الاحسان والاساءة
والتقصير والاصابة . . . (١)

فالافراط في الاستعارة موجود أصلا عند الشعراء - حتى جاء أبو تمام
ف تجاوز الاقتصاد وتمادى في الافراط - وهذه حقيقة يشتها الجرجاني لجعلها
مدخلا للدفاع عن المتنبي .

وقد عرض أبياتا للمتنبي - أوضح النقاد مدى افراطه فيها - واعتذر له
وبين أنه قد سبق الى ذلك . يقول :
" وقد كان بعض اصحابنا يجاريني أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج
عن حديد الاستعمال والمادة فكان مما عد منها قوله :
مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب
وقوله :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان احداها
فقال : جعل للطيب والبيض واليلب قلوبا وللزمان فؤادا . وهذه استعارة
لم تجر على شبه قريب ولا بعيد وانما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من
المناسبة وظرف من الشبه والمقاربة . . . (٢)

ويعتذر الجرجاني للمتنبي قائلا :
" فقلت له : هذا ابن أحمر يقول :

(١) الوساطة ٢٩٤
(٢) نفس المصدر والصفحة

ولم ت عليه كل معصفة هوجاء ليس للبها زُر
فما الفضل لمن جعل للريح لباً ، ومن جعل للطيب والبيض قلباً ، وهذا أبو
رميله يقول :

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد
وهذا الكميت يقول :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل الممك بالرميل
وشاتم الدهر العبقى يقول :

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله وأبدى لناظها أجب مسمعا
ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولونا ذا عثانين أجدعا
وجبهة قرد كالشراك ضويلة وصعر خديه وأنفا مجدعا
فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصا متكامل الأعضاء تام الجوارح ، فكيف أنكرت
على أبي الطيب أن جعل له فؤادا . . . (١)

ونجد الجرجاني يحلل الابيات مينا وجهة نظره النقدية - ومظهرها العلة
في كل بيت - وهو في ذلك انما يعتذر للمتنبى - ويبين مواطن الاشتراك في
المؤاخاة مع الشعراء . (٢)

ويستشهد في بعض المواطن - بشعر الاقدمين من الشعراء - خاصة الذين
سبقوا الى ابتداء البلاغة في شعرهم . يقول :

(١) الوساطة ٤٢٩-٤٣٠

(٢) نفس المصدر ٤٣١

"... ومثل هذه الالفاظ قول امرىء القيس هريد الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبـــــــــــــــــه وأردف اعجازا وناء بكلكـــــــــــــــــل
فجعل له صلبا وعجزا وكلكلا لما كان ذا أول وآخر ، وأوسط مما يوصف بثقل
الحركة اذا استطيل وبخفة السير اذا استقصر ، وكل هذه الالفاظ مقبولة
غير مستكرهة " (١)

الا أن الجرجاني يبين أن المحدثين قد اغرفوا ولم يستمروا على سنن
الأقدمين . (٢)

وقد وضع الجرجاني في هذا الموضوع قولا فصلا . جاعلا الاستقامة والقصيد
فيه أمرا محمودا - يقول :
" ... وهذه أمور متى حُطَّتْ على التحقيق وطلب فيها محض التقويم أُخْرِجَتْ
على طريقة الشعراء ، ومتى اتَّبَعَتْ فيها الرخص وأجريت على المسامحة أدت إلى
فساد اللغة واختلاط الكلام - وإنما القصد فيها التوسط والاعتدال بما قرب
وعُرف والاقتصاد على ما ظهر ووضح . . " (٣)

(١) الوساطة ٤٣٢

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ٤٣٣

الاططاء التي عابه بها النقاد وليست خطأ :

عارض الجرجاني آراء بعض النقاد الذين عدوا أخطاء أبي الطيب - وقرر الجرجاني أن تلك الاخطاء التي عدها العلماء انما هي مما سبق اليه الشعراء في أشعارهم - ومؤخذة أبي الطيب في امثالها تحامل عليه .

وهو ذلك يلتزم جانب الحياد في نقده حيث يقول :

" وقد قدما لك في صدر هذه الرسالة من شعر أبي نواس وأبي تمام وغيرهما ما مهدنا به الطريق الى هذا القول ، وأقمناه علما يرجع اليه في هذا الحكم وأعلمناك أنه ليس بغيتنا الشهادة لأبي الطيب بالعصمة ، ولا مرادنا أن نبرئه من مفارقة زلة وأن غايتنا فيما قصدناه أن نلحقه بأهل طبقة ولا نقصر به عن رتبته وأن نجعله رجلا من فحول الشعراء ونمنعك عن احباط حسناته بسيئاته ولا نسوع لك التحامل على تقدمه في الاكثرتقصيره في الاقل والفض من تمام تمييزه بخاص تعذيره " .^(١)

وقد عد الجرجاني من أخطاء الشعراء التي سبقوا بها المتنبي واحتملها النقاد لهم وعدوا أشباهها خطأ على المتنبي شيئا كثيرا . منها قول الفرزدق :
وما مظه في الناس الا ملكا ابو أمه حي أبوه يقاربـــــــــه
وقوله :

ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا

وقوله :

(١) فان التي ضرتك لو ذقت طعمها عليك من الاعباء يوم التخاصم

فاحتلمها النقاد للفرزدق وعابوا على المتنبي أشباهها . . كقوله :

" بقائى شاء ليس هم ارتحالا "

وقوله :

(٢) كأن العيس كانت فوق جفنى مناخات فلما ثرن سالا

وبين أن النقاد قد غضوا النظر عنها - وأن المتنبي لم يخرج على ذلك فيما رآه النقاد المتحاملون عيبا ، وقال الجرجاني معلقا على من تقد بيت المتنبي (كأن العيس) وأنه يسقط دواوين عدة شعراء : " فان كان هذا الحكم سائفا ، وكان ما قاله مقبولا فان أحد أبيات الفرزدق يسقط شعر بنى تميم جملة فقد ترى ما بينها من الفضل في النقص ، وتبين تفاوتها في سوء الترتيب واختلال النظم ، ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب أن لا يرى لأبي تمام بيت واحد . . " (٣)

وتعرض الجرجاني لأخطاء المتنبي التي عابه عليها النقاد في غموض المعنى وانتصف له قائلا : " وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقد يسم أو محدث إلا ومعنا مغمض مستتر ، ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر ولم تفرد فيها الكتب المصنفة وتشغل باستخراجها الأفكار الفارغة . . " (٤)

(١) الوساطة ٤١٦

(٢) نفس المصدر ٤١٦-٤١٧

(٣) نفس المصدر ٤١٧

(٤) نفس المصدر والصفحة

(١) وقد ساق أمثلة على ذلك مما سبق اليه الشعراء وتغاضى عنه النقاد
ثم قال معلقا على ذلك :

" وأنت لا تجد في شعرا أبي الطيب بيتا يزيد معناه على هذا الفموض
أو تتعقد ألفاظه تعقد أبيات الفرزدق . . . " (٢)

ثم عرض بعد ذلك نماذج من غلو القدامى . (٣)

ومن الأخطاء التي انصرف الجرجاني عن مؤاخذة المتنبي عليها - ما اتبع
فيه المتنبي آثار الشعراء المتقدمين . يقول :

" ولما سمع أبو الطيب قول قيس بن الخطيم في الطفنة نافسه فقال :
إذا ما ضربت القرن ثم أجزتنى فكلّ نَهْبا لي مرةً منه بالكلم

فلم يحفل بسوء النظم ، وهلهلة النسيج لما حصل له الغرض في انهار الطفنة
وتوسيع الجرح .

ولما سمع قول الموام بن عبد عمرو :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبدا وأزمنما

ووجد المحدثين قد تبعوه ، فذهبوا به مذاهب طلب الزيارة فقال :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

(١) الوساطة ٤١٧-٤١٩

(٢) نفس المصدر ٤١٩

(٣) نفس المصدر ٤١٩-٤٢٣ وانظر بداية أخطاء المتنبي من هذا البحث .

فلم يكثرث بالاحالة ولم يستقبح أن جعل غير شئ^١ مرثيا لما استوفى عند نفسه الغاية ، ولم يبق وراها مرمى لشاعر ، وشجعه على ذلك أيضا أنه سمع قول عمرو بن لجأ :

" وقعن يابن لا شئ هتفت به " (١)

ثم ذكر الجرجاني أبياتا للفرزدق (٢) وسحيم عبد بنى الحساس وجميل^(٣) سامح فيها النقاد هؤلاء الشعراء لانهم متقدمون ، وبين أن النقاد يلزمهم أن يسامحوا أبا نواس والعكوك وأبا الطيب فيما شابهوا فيه أولئك المتقدمين^(٤) .

ثم عرض الجرجاني ما عده النقاد خطأ على أبي الطيب - وليس بخطأ وناقش ذلك نقاشا موضوعيا ، مدلا على ذلك بما يراه مناسبا ، مبينا أن من اعترض على المتنبي واحد من اثنين : " اما نحوى لفوى لا بصر له بصناعة الشعر ، فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه " (٥) ، أو معنوى مدقق لا علم له بالاعراب ولا اتساع له في اللغة فهو ينكر الشئ الظاهر وينقم الأمر البين " . (٦)

فما عابه النحوى وليس بعيب قوله :

تخط فيها العوالي ليس تنفذها كأن كل سنان فوقها قلم

(١) الوساطة ٤٢٤

(٢) نفس المصدر ٤٢٥

(٣) نفس المصدر ٤٢٦

(٤) نفس المصدر ٤٢٦-٤٢٨

(٥) نفس المصدر ٤٣٤

(٦) نفس المصدر ٤٣٨

فزع أنه أخطأ في وصف درع عدوه بالحصانة ، وأسنة أصحابه بالكلال
ومن كان هذا قدر معرفته ، ونهاية علمه فمناظرته في تصحيح المعاني وإقامة
الأغراض عنا لا يجدى ، وتعب لا ينفع ، كأنه لم يسمع ما شحنت به العرب أشعارها
من وصف ركض المنهزم ، واسراع الهارب ، وتقصير الطالب ، وقولهم : ان الذى
نجى فلانا كرم فرسه ، والذى شبطنى عنه سرعة طرفه ، ولم يعلم أن مذا هـ سب
العرب المحموده عندهم ، المدح بها شجعانهم التفضل عند اللقاء وترك
التحصن فى الحرب ، وأنهم يرون الاستظهار بالجنن ضربا من الجبن ، وكثرة
الاحتفال والتأهب ليللا على الوهن ، ولم يسمع قول الاعشى :

وإذا تكون كتيبة لمومسة خرساء يخشى الدارعون نزالها
كنت المقدم غير لا بس جننة بالسيف تضرب معلما أبطالها (١)

ثم يقول بعد عرضه عدة أمثلة مشابهة :

" وقد قال العرب فى معنى أبى الطيب بعينه . قال شريح بن قرواش العيس :

عشية نازلت الفوارس عنسده وزل سناني عن شريح بن مسهر
وأقسم لولا درعه لتركته عليه عواف من ضياع وأنسهر

وقال ورقاء بن زهير فى هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على زهير بن
جندبمه :

فشلت يمنى يوم أغرب خالددا ويمنعه منى الحديد المظاهر " (٢)

(١) الوساطة ٤٣٥

(٢) نفس المصدر ٤٣٧

وقد أورد أمثلة عدة مبينا خلالها أن ما عيب به المتنبي في ذلك ليس من الخطأ وأنه قد ورد كثيرا على ألسنة الشعراء وأن ذلك "مذهب العرب". (١)

ومما عابه المعنوى . . قوله :

"لأنت أسود في عيني من الظلم"

فانه أنكر أسود من الظلم ، ولم يعلم أنه قد يحتل هذا الكلام وجوها يصح عليها وأن الرجل لم يرد "أفعل" التي للمبالغة". (٢)

وقوله :

"أثاب بها مُعَيِّي المطي ورازمه"

فزعوا أن كلام العرب : ثاب جسم فلان : رجع لقوته بعد المرض ، وهذا أبو زيد يروى عن العرب : أثاب الرجل اذا ثاب اليه جسمه ، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ، وحكى غيره ، ثاب وأثاب بمعنى واحد". (٣)

فالجرجاني يبين أن ما أخذ على أبي الطيب له مثل في شعر العرب وفصيح لسانهم . (٤)

الاعطاء التي أقرها الجرجاني ومرض نماذجها وأنواعها :

ويحصر الجرجاني الاعطاء التي وقع فيها المتنبي وعدّها عليه النقاد ، أخطاءاً وهي أخطاء يقرها الجرجاني - ولا يدافع معها عن المتنبي - ولكنّه يمرض احتجاج من احتج له أحيانا - دون أن يعلق عليه تصريحاً .

(١) الوساطة ٤٣٦ وانظر جمعا من الامثلة حتى ٤٣٨

(٢) نفس المصدر ٤٣٩

(٣) نفس المصدر ٤٤٠

(٤) نفس المصدر والصفحة

وقد قسم الجرجاني أخطاء المتنبى ضمنا عدة أقسام :
أولا - أخطاء تتعلق باللغة :

يقول :

" فما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه قوله :

جللا كما به عليك التبريح ——— أغذاء ذا الرشا الأغن الشيخ

فقال أهل الاعراب : حذف النون من تكن اذا استقبلتها اللام خطأ ، لانها تتحرك الى الكسر ، وانما تحذف استخفا اذا سكنت ، فقال لهم المحتج عن أبي الطيب : لعمرى ان وجه الكلام ما ذكرتم ، لكن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الالف واللام ، وقد حكاه أبو زيد عن العرب فى كتابه المعروف بكتساب النوادر ، وأنشد فيه لحسيل بن عرفة :

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفى بالسرر
 غير الجدّة عن عرفانها ——— خرق الريح وطوفان المطر
 وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجة " (١)

" وانكروا عليه قوله :

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة فى الناس بوقات لها وطبول
 فقالوا : ان جمع بوق على بوقات خطأ . وانما يجمع باب فعل على أفعال " (٢) ثم
 عرض آراء عدة فى ذلك (٣) مبينا موقف أهل اللغة من ذلك تارة ورأى خصوص
 المتنبى وأنصاره تارة أخرى . ثم يستمر فى بيان أخطاء المتنبى المتعلقة باللغة

(١) الوساطة ٤٤١

(٢) نفس المصدر ٤٤٣

(٣) نفس المصدر ٤٤٣-٤٤٦

ومنها قوله :

مضى بعدما التف الرماحان ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

فانكروا تثنية الرماح ، وهو جمع رمح فحاجهم أبو الطيب ببيت أبو النجم :

تنقلت من أول التنقل — بين رماحي مالك ونهشل

والتثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والجناس وأكثر ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضربه من شعراء العرب ، فهم القدوة وسهم الاثتمام ، وفيهم الأسوة .

وقوله :

فأرحام شعر يتصلن لدنة وأرحام مال ماتنى تتقطّع

فأنكروا تشديد النون من لدن ، وإنما هو ولدن ولدن ، فأما تشديد النون فغريب معروف في لغة العرب ، وقد كان أبو الطيب خوطب في ذلك فجعل مكان لدته ببابه ، ثم احتج بما أذكره جملة . قال : قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار اليه ، ولكن للاتساع فيه ، واتفاق أهله عليه فيحذفون ويزيدون ، وروى أبياتا منها :

(١) إذا غاب غدا عنك بلعم لم تكن جليدا ولم تعطف عليك المواطف

وذكر أمثلة أخرى . (٢)

(١) الوساطة ٥٠

(٢) نفس المصدر ٥٠-٥٢

ثم ذكر الجرجاني خطأ المتنبي في قوله :

وقوله :

ليس الآك يا علي همــام سيفه دون عرضه مسلـول

وقوله :

" لم تر من نادى إلا كـا "

وقال: فأذكروا اتصال الضمير بالـا ، وحق الضمير أن ينفصل عنها ، وبذلك جاء القرآن : " قال الله تعالى " ضل من تدعون إلا آيـاه " وهو الظاهر في قياس النحو ، والشهور عن العرب . وقد روى الفراء بيتا عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه :

فما نبالي اذا ما كنت جارتنا الا يجاورنا الآك ديـار^(١)

ثم يدل الجرجاني برأيه في ذلك قائلا :

" وأنا أرى أن لا يطالب الشاعر أكثر من اسناد قوله الى شعر عربي منقول عن ثقة وناهيك بالفراء " .^(٢)

ثم ذكر الجرجاني قوله :

" أحاد أم سداس في أحاد "

وبين أن النقاد اعترضوا عليه في قوله سداس وأنه غير محكى عن العرب " وأن أهل اللغة يزعمون أنهم لم يزيدوا على رباع وناهماي ألفاظ معدولة يوقف بها على

(١) الوساطة ٤٥٦-٤٥٧

(٢) نفس المصدر ٤٥٧

السمع بأن قال : أنه جاء عن العرب خمس وسداس إلى عشار ، حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت وذكره أبو حاتم في كتاب الأهل وزعم أبو عبيدة فسي اعجازه أنه لا يعلمهم قالوا فوق رباع وهؤلاء ثقات لم يحكموا إلا ما علموا . . . وقد جاء ذلك في الشعر قال الكميت :

فَلَمْ يَسْتَرْ يَثُوكَ حَتَّى رَمِيَ— تَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالًا عَشَارًا

وقال آخر :

ضربت خماس ضربة عشمسي أدار سداس أن لا يستقيما
وقد نسبت العرب الى كل ذلك فقالوا : خماسي وسداسي وعشاري ، قال
أبو النجم :

(١) " فوق الخُماسَى قليلا تفضّله "

فالجرجاني يعرض الخطأ ورأى الشاعر وأراء العرب ويستشهد بما جاء عنهم
كما لو كان يتضمن ذلك رأيه وموقفه . ثم ذكر قوله :

ولم ترد حياة بعد توليصة ولم تفت داعيا بالويل والحرب
ثم ذكر ما عليه العرب في دعائها - ف " لا تقول دعا بالويل والحرب وانما يقال
دعا ويله كما يقال دعا فلانا ، قال الله تعالى " لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا ،
وادعوا ثبورا كثيرا " فانما يقال دعا بكذا اذا طلب أن يؤتى بذلك الشيء
كقول الفرزدق :

دعوت بقضبان الاراك التى جنى لها الركب من نعمان أيام عرفوا
وتداعوا بشعارهم ، ودعا لكذا ، أى من أجله .^(١)

ثم يذكر رد أبي الطيب عليهم وقوله مدافعا : يقال دعا للقتال وللخير
وللشر ولما به أى اليه ومن أجله - ويستشهد بسبق الشعراء الى ذلك كقول
طرفة :

وان أدع للجلى أكن من حمايتها وان يأتك الاعداء بالجهد أجهد^(٢)
وغير ذلك من الشواهد والآراء المتعلقة بهذا . . .^(٣)

ثم يدلي الجرجاني برأيه قائلا :
" . . . والذى قاله أبو الطيب محكي عن الجرب ، معروف عند أهل العلم ، فاذا
أراد ذكر المدعو قال دعوته ، واذا أراد ما يلفظ به قال دعا بكذا وكذا وعلى
هذا بيت عنتره :

دعاني دعوة والخيل تردى فما أدرى أباسمى أم كنانسى^(٤)

ثم ذكر الجرجاني قوله :

" بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشليا
قالوا مخشليا ليس من كلام العرب . فقال أبو الطيب هي كلمة عربية فصيحة . وقد
ذكرها العجاج . . ."^(٥)

(١) الوساطة ٤٦٠

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) انظر الوساطة الى نهاية ٤٦٠

(٤) نفس المصدر ٤٦١

(٥) نفس المصدر والصفحة

ويورد عليه الجرجاني قائلا : " ولست أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب ، غير أنى أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظ ، لأنسى أجد العرب تستعمل كثيرا من ألفاظ العجم اذا احتاجت اليه لا قامة الوزن واتمام القافية ، وقد تتجاوز ذلك الى استعماله مع الاستغناء عنه ، كما سمو الحمل بـ^(١) برقا مع كثرة أسماء الفخم عندهم ، كما قال العفلى :

وكنا اذا القيسى نب عتوده ضربناه دون الانشين على الكر
أراد الكر دن ، وهو العنق ، فأقام به القافية وقال الآخر :

قد علمت فارس حمير والاعــــ راب بالدشت أيهم نــــزلا
أراد الدشت ^(٢) وهو فارسي ، وأسماءه عند العرب كثيرة . . . ^(٣)

وضرب أمثلة أخرى يبرر فيها استعمال المتنبي لكلمة (مخلصا) مبينا أن العرب نهجت مثل ذلك .

ثم ذكر أخطاء أخرى تتعلق باللغة - وناقشها على نفس الطريقة والمنوال مستشهدا بأراء المتنبي وغيره من الشعراء والنقاد . ^(٤)

ثانيا - أخطاء في البلاغة :

وقد ذكر الجرجاني أيضا أخطاء المتنبي المتعلقة بالبلاغة . منها قوله :

-
- (١) كلمة محرفة عن الكلمة الفارسية (بره -)
 - (٢) الدشت - الصحراء . وهي فارسية .
 - (٣) الوساطة ٤٦١
 - (٤) انظر مثلا الوساطة ٤٦٢ - ٤٦٤ - ٤٦٦ .

"وعابوا قوله :

واتي لمن قوم كأن نفوسنا بها أن تسكن اللحم والعظام
فقالوا ، قطع الكلام الاول قبل استيفاء الكلام واتمام الخبر ، وانما كان
يجب أن يقول : كأن نفوسهم ليرجع الضمير الى القوم ، فيتم به الكلام . وهذا
من شنيع ما وجد في شعره ، وقد اعتذر له بأمر سنذكرها على ما فيها بمشيئة
الله تعالى . (١)

" وقوله :

ولعلي مؤمل بعض ما أبلغ باللفظ من عزيز حميد .
قالوا : تمنى أن يؤمل بعض ما يبلغ ، وهذا لا يليق بالكلام وانما وجهه أن يقول
ولعلي بالغ بعض ما أؤمل . (٢)

ثم يذكر الجرجاني بعد ذلك مخرجا للمتنبى على لسان أنصاره قائلا :
" قال المحتج : قد يجوز أن يكون أراد لعلني أبلغ آمالي وأزيد عليها بلطف
الله تعالى حتى يكون ما أؤمله بعض ما أصل اليه وهذا غير مستنكر " . (٣)

ثالثا - الغريب :

ومما عد عليه الجرجاني من الخطأ ما ورد في شعره من الغريب . يقول :

" وقوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشبا

-
- (١) الوساطة ٤٤٦ ، ثم يذكر الجرجاني وجهة نظره ويحلل ذلك مستشهدا ببعض ما قاله الشعراء وما جاء عن العرب وما ورد في القرآن الكريم - وكأنه بذلك يدافع عن المتنبى (٤٤٧-٤٤٩)
(٢) الوساطة ٤٦٨
(٣) نفس المصدر والصفحة

قالوا : مخشلبا ليس من كلام العرب .^(١)

ولكن الجرجاني بين أن المتنبي قد دافع عن نفسه في هذه القضية مبينا أن كلمة (مخشلبا) ليست غريبة وإنما هي عربية فصحي يقول : " فقلنا أبو الطيب هي كلمة عربية فصيحة وقد ذكرها المعاج . .^(٢)

ثم ذكر قوله :

كأنك أبصرت الذي بى وخفته اذا عشت فاخترت الحما على الثكل

قالوا : هذا الكلام الذى لا طريق للفهم اليه لتخالف أطرافه وتنافر معانيه وألفاظه .^(٣)

وبورد الجرجاني بعد ذلك آراء المدافعين عن أبي الطيب وآراء خصومه - ثم يحكم بينهما جاعلا الحاكم قاضيا - ومتأثرا بهذا المنهج في نقده - منهج الخصومة والدفاع والقضاء .

رابعاً - أخطاء تتعلق بالوزن :

وقد ذكر منها قوله :

" تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمِنْطَقُهُ حَكْمٌ - وِباطْنُهُ دِينٌ وَظَاهَرُهُ ظَرْفٌ

قالوا : خرج عن الوزن لانه لم يجيء عن العرب مفاعلين في عروض الطويل وغير مصرع .^(٤)

(١) الوساطة ٤٦١

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ٤٧٥

(٤) نفس المصدر ٤٦٧

خامسا - ما خالف فيه العادة :

وقد ذكر الجرجاني عدّة أبيات له لا تتمشى مع العادة والعرف . يقول :

" وقوله :

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

قالوا : صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب الا يموت من لا يعشق
 فيعجب منه ، وانما يقتضى أن كل من يعشق يموت ، وكأنه أراد : كيف لا يعرف
 من يعشق .. فذهب عن مراده . " (١)

وقوله :

خلائق لوحواها الزنج لا نقلبوا ظمى الشفاه جعاد الشعر غرانا
 قالوا : الزنجى لا يوجد الا جعد الشعر " . (٢)

وقوله :

كأنه من علمه بالمقتــــل علّم بقراط فصاد الاكــــل

قالوا : لم يكن بقراط فصادا ولا كان الفصد غالبا عليه فى زمانه ،
 وانما كثر بعده . " (٣)

وقوله :

يفضح الشمس كلما زرت الشمـ سى بشمس منيرة ســــودا *

(١) الوساطة ٤٦٩

(٢) نفس المصدر ٤٧١

(٣) نفس المصدر ٤٧٢

قالوا : الشمس لا تكون سوداء ، والانارة تضاد السواد ، فقد تصّرف
في المناقضة كيف شاء .^(١)

ثم يقول :

" ومن هذا الضرب قوله :

ما ينقص الموت نفسا من نفوسهم الا وفي يده من ننتها عود

قالوا : والعمود لا يشتم ، ولو اشتهم لم يحظ من ريحه بطائل ، وانما يظهر
عرفه ان حلت النار أجزاءه ولطفتها ، فانبثت في الهواء ودخلت في الخياشيم^(٢) .

والملاحظ أن الجرجاني يعتمد بعد ذكر الاخطاء السبى الدفاع عن
المتنبى على لسان المحتج مبينا مخارج الاخطاء ومدافعا عن أبي الطيب . وهذه
قضية نشير اليها في موضع آخر ان شاء الله .

(١) الوساطة ٤٧٤

(٢) نفس المصدر ٤٧٧

الفصل الثالث

اللفظ والمعنى

أشار الجرجاني في الوساطة الى اللفظ والمعنى وبين دورهما في النقد العربي وأثرهما في الشعر . وبين موقف النقاد العرب الذين سبقوه من ذلك وقد أشار الى تتبع النقاد القدامى لفساد المعاني حيث كان الشعراء لا يولون الأمر عظيم اهتمام حتى تتبهم النقاد وخاصة النحاة .

يقول بعد أن عرض بعض أبيات اشتملت على أخطاء في اللغة وكيف تتبهم النحاة^(١) : " وما كان القدماء يتتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وظل واحالة وفساد معنى حتى قال البردخت لبعض النحويين :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل	وأنف كمثلي العود مما تتبع
تتبع لحننا في كلام مرقش	وخلقك مبني على اللحن أجمع
فعيناك اقواء وأنفك مكفـا	ووجهك ايطاء فأنت المرقع

وهذا يدل على أن النقاد ، خاصة اللغويين قد اهتموا بتتبع فساد المعاني واللحن في الالفاظ حتى ضاق بهم الشعراء ذرعا ، ويذكر الجرجاني في ذلك قول الأصمعي في الكمي : " جرمقاني من جرميق الشام لا يحتج بشعره^(٢) كما ذكر الجرجاني " ما أنكره من شعر الطرماح ولحن فيه ذال الرمة " .^(٣)

ثم ذكر من اهتمام النقاد القدامى بالمعاني ما عدّوه غلطا على الشعراء يقول :

(١) الوساطة ٨

(٢) نفس المصدر ٩ - ١٠

(٣) نفس المصدر ١٠

" ثم عدت الى ما عده العلماء من أنَّهُ ليطهّم في المعاني كقول امرئ القيس :
وأركب في الروع خيفانسة كسا وجهها شعر منتشر
وهذا عيب في الخيل .

وقول زهير :
يخرجن من شربات ماؤها طحل على الحدوع يخفن الغم والفرقا
والضفادع لا تخاف شيئا من ذلك .

وقول سلمة بن الخرشب :
إذا كان الحزام لقصر ييهها أمانا حيث يمتسك البريم

يقول : الحزام يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين
قال الاصمعي : أخطأ في الوصف لأن خير جرى الاناث الخضوع وانما يختار
الاشراف في جرى الذكور فاذا اختضعت تقدم الحزام كما قال بشر بن أبي خازم :
نسوف للحزام بمرفقيها يسد خواء طبييها الغار

وقد ساعد مثم بن نويرة على هذا الوصف سلمه فقال :
وكأنه فوت الجوالب جائئها رثم تضايقه كلاب أخضع
فوصف الذكر بالخضوع ، وانما يختار له الاشتراف .

وكقول الجعدي :
كأن تواليها بالضحى نواعم جعل من الأثاب
والجعل صفار النخل وانما المراد الكبار وبه يصح الوصف فيما زعموا .

وقول أبي ذؤيب في الفرس :

قصر الصُّبوح لها فُشْرَجَ لحمها بالنى فهي تتوخ فيها الاصبع

قال الاصمعي : حمار القصار خير من هذا وانما يوصف الفرس بصلابة اللحم. (١)

وقد ذكر أبياتاً من أخطائهم في المعاني مبينا اهتمام النقاد القدامى
بذلك . (٢)

بين الجرجاني أن سهولة الألفاظ من صفات جيد كلام العرب وأن الطباع
تؤثر في الألفاظ من حيث السهولة أو الوعورة والتعقيد . يقول : "... كانت
العرب ومن تبعها من السلف تجرى على عادة في تفخيم الألفاظ وجمال المنطق
لم تألف غيره ولا أنسها سواه وكان الشعر أحد أقسام منطقها ومن حقه أن يختص
بفضل تهذيب ويفرد بزيادة عناية فإذا اجتمعت تلك المادة والطبيعة وانضاف
اليها العمل والصنعة خرج كما تراخ فخما جزلا قويا متينا ، وقد كان القوم
يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر .
ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع
وتركيب الخلق فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة
الخلقة ... (٣)

(١) الوساطة ١٠-١١-١٢ والشعر والشعراء ٢/ ٦٥٥ الا أن قول الاصمعي
في الشعر والشعراء بعد البيت قوله (وهذا من أخبث ما نعت به الخيل
والصواب أن توصف بصلابة اللحم)

(٢) الوساطة ١٢ - ١٥

(٣) نفس المصدر ١٧-١٨

وبين أن الطبع والصنعة يؤثران على سهولة الألفاظ ، فمتى كان الشعر مطبوعا كانت ألفاظه سهلة واضحة مألوفة متقاربة فإذا دخله مذهب الصنعة أدى إلى تناثر الألفاظ وركاكتها وأساء إلى الشعر أساءة كبيرة - يقول بعد أن ذكر شعرا لأبي تمام : " ومن جنيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أحدهم بينا هو مسترسل في طريقته ، وجار على عادته يختلجه الطبع الحضري ، فيعدل به متسهلا ، ويرمي بالبيت الخنث ، فإذا أنشد في خلال القصيدة ، وجد قلقا بينها نافرا عنها ، وإذا أضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت سهولته ، فصارت ركافة . وربما افتتح الكلمة وهو يجرى مع طبعه ، فينظم أحسن عقد ، ويختال في مثل الروضة الانيقة ، حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعر طريق ويتعسف أخشن مركب ، فيطمس تلك المحاسن ، ويمحو طلاوة ما قد قدم ، كما فعل أبو تمام في كثير من شعره . " (١)

وبين أن التقليد يسيء أحيانا إلى سهولة اللفظ ووضوح المعاني فيؤدي التقليد إلى توعير الألفاظ وتعسفها وغموض المعنى :

يقول : " وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن كالذي نجده كثيرا في شعر أبي تمام فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره فقال :

فكأنما هي في السماع جنسادل وكأنما هي في القلوب كواكب
فتعسف ما أمكن في التصعب كيف قدر ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب
البديع فتحمله من كل وجه وتوصل إليه بكل سبب ولم يرض بهاتين الخلتين حتى

(١) الوساطة ٢٢ - وانظر مثلا لذلك من شعر أبي تمام أورده الجرجاني ٢٢-٢٣

اجتلب المعاني الغامضة وقصد الاغراض الخفية * . (١)

وبين أن ساقط الالفاظ وعويصها يسىء الى الشعر والى قيمته الفنية
فمتى اختار الشاعر لفظا ساقطا أو عويصا فانه ينحط بذلك الى الحضيض . (٢)

يقول : قال أبو تمام :

لو كان كلفها عبدا حاجة يوما لزنى شدقا وجد يلا
وأظنه لو وجد لفظة " أسقط من زنى " وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها . (٣)

ويقول بعد أن ذكر عدة أبيات للمتنبى : " قلت قد جمع في هذه الأبيات
وفي غيرها ما احتذى به حذوها بين البرد والفتاة وبين الثقل والوخامة فأبعد
الاستعارة وعوض الالفاظ وعقد الكلام واساء الترتيب وبالغ في التكلف وزاد على
التعمق حتى خرج الى السخف في بعض والى الاحالة في بعض وقلت وكيف يعدد
في الفحول المفلقين من يقول :

جمدت نفوسهم فلما جئتها أجريتها وسقيتها الفولانا
فقدنا أسيرا قد بللت ثيابه بدم ويل بهوله الأفعانا " (٤)

وبين أن الشعر اذا اخترعت أكثر معانيه وسهلت ألفاظه جاء مصنوعا
مطبوعا - وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس (٥) وهذا يدل بلا شك على

(١) الوساطة ١٩

(٢) انظر ما يدل على ذلك في الوساطة ٦٧

(٣) الوساطة ٦٧

(٤) نفس المصدر ٩٢

(٥) نفس المصدر ١٢٠ - ١٢١

أهمية دور المعاني والالفاظ في قيمة الشعر الفنية .

وبين أهمية اللفظ والمعنى عند النقاد العرب وانهما مدار المفاضلة في الشعر + يقول : " وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن وشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم لمن وصف فأصاب وشبهه فقارب وبده فأغزر ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ولم تحفل بالابداع اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القرىض . " (١)

يميل الجرجاني الى سهولة الاسلوب في الشعر ويطلب من الشاعر أن يقسم الالفاظ على رتب المعاني فتطف ثارة وتفخم تارة . يقول : " ومضى سمعتنى أختار للمحدث هذا الاختيار وأبقيه على الطبع وأحسن له التسهيل فلا تظن أنى أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث بل أريد النمط الاوسط ما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوى الوحشى وما جاوزه سفسفة نصر ونظرائه ولم يبلغ تعجرف هميان ابن قحافة واضرابه نعم لا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك أن تقسم الالفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستهطائك ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه فتطف اذا تغزلت وتفخم اذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه فان المدح بالشجاعة والبأس

يتميز عن المدح باللباقة والظرف ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريقة لا يشاركه الآخر فيه".^(١)

ويقول : " وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظم غناؤه في تحسين الشعر فتصفح شعر جرير وذى الرمة في القدماء والبحترى ففى المتأخرين وتتبع نسيب ميمى العرب ومتقربى أهل الجاهلية كعمر وكثير وجميل ونصيب واضرابهم وقسمهم بمن هو أجود منهم شعرا وافصح لفظا وسبكاً ثم أنظروا أحكم وأنصف - فان روعة اللفظ تسبق بك الى الحكم وانما تفضى الى المعنى عند التفتيش والحكم وملاك الامر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض العمل والاسترسال للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به ولست أعنى بهذا كل الطبع بل المذهب الذى قد صقله الادب وشحنته الرواية وجلته الفطنة والهم الفصل بين الردى والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبح ".^(٢) ثم ضرب أمثلة لهذا الشعر^(٣) للبحترى وجرير .

ونجده يميل الى اللفظ السهل والمعنى الجيد اذا لم يسبق الى استعماله شاعر فمتى حدث ذلك كان المعنى مبتذلاً واللفظ مشتهراً مستعملاً - حتى ولو كان المعنى واللفظ قمة في الفن وانما يكون الفضل عند ذلك لمن سبق .^(٤)

(١) الوساطة ٢٣ - ٢٤

(٢) نفس المصدر ٢٤ - ٢٥

(٣) نفس المصدر ٢٥ - ٣١

(٤) نفس المصدر ٢٧

والجرجاني بحيله الى الطبع ^(١) وأنه سبب الى سهولة اللفظ ووضوح المعنى
لا ينكر أن الصنعة الجيدة قد ترتبط بسهولة اللفظ عند بعض الشعراء ، يقول
عن قول السرى الموصلى :

أقول لحنان العشى المفرد	يهز صفيح البارق المتوقد
تبسم عن رى البلاد صبيبه	ولم يتسم الا لانجاز موعده
وياد يرها الشرقى لا زال رائح	يحل عقود المزن فيك ومفتد
عليه أنفاس الرياح كأنما	يمل بماء الورد نرجسها التدى
يشق جيوب الورد فى جنباته	نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

فقد جاءك الحسن والا حسان وقد أصبت ما أردت من أحكام الصنعة
وعذوبة اللفظ . . . (٢)

ويعارض الجرجاني اختلاف المعاني في الغرض الواحد عند الشاعر
فاذا كان الشاعر مادحا فلا يجنح في المدح الى اختلاف المعاني . ولذلك فقد
عارض الجرجاني وصف أبي تمام لمدوحه بعدة معان مختلفة ، حيث " جعل
المدوح تارة دلوا وتارة محراثا ، ومرة رشاء ، وأخرى تنينا " . (٣) وهكذا .

كما يرى أنه لا بد أن يرتبط الغرض بالمعنى ، فلا يشكو ما يعالجه الطبيب
مثلا ويصرف المعنى الى طلب الدواء عند الرؤساء لانه يُطلب عندهم صلاح
الاحوال لا صلاح الاجسام . يقول :

(١) الوساطة من ٢٥ - ٢٨ حيث يصل الى الطبع .

(٢) الوساطة ٣٩

(٣) نفس المصدر ٦٩

” وقوله :

شكوت الى الزمان نحول جسمي فأرشدني الى عبد الحميد
وانما يرشد في نحول الجسم الى الاطباء فأما الرؤساء فانما يلتص عند هم صلاح
الاحوال . ” (١)

وبين أن عدم وضوح المعنى يؤدي الى كثرة التفسير في الشعر فلا يصل
أحد الى الفهم المطلوب . يقول :

” وقوله :

قلنا من الرقيق نافع الدوب الـ لا أن برد الاكباد في جمده
فقد سلك مفسروا هذا البيت غير طريق وقالوا فيه غير قول فلم يزيدوا على تأكيد
المحال بالمحال واغماصة الخطأ الى الخطأ وما معنى جمد الرقيق ؟ وكيف يكون
برد الاكباد في جامده دون ذائبه وقد أعطاك أن ذوبه نافع مروهل بعد الرى
برد الاكباد . ” (٢)

ويرى أن الألفاظ تؤثر في المعنى فتعدل في المعنى أحيانا كما أن تصغير
اللفظ على تكثير المعنى غير منكر عند العرب . (٣)

يؤكد الجرجاني أن الألفاظ التي زعم الأصمعي أن الشعراء تفردوا بها
موجودة عن أئمة اللغة . يقول : ” فأما الألفاظ التي زعم أن الشعراء تفردوا بها

(١) الوساطة ٧٥

(٢) نفس المصدر ٧٧

(٣) نفس المصدر ٤٥٨ - ٤٥٩

فانها موجودة عن أئمة اللغة وعن ينتهى السند اليهم ويعتمد اللسان عليهم وانما نتكلم بما تكلموا به وواحد كالجميع والنفر كالقبيلة والقبيلة كالامة فاذا سمعنا من العربي الفصيح الذى يعتدُّ حجة كلمة اتبعناه فيها ثم ان لم يبلغنا عن غيره ولم نسمع بها الا في كلامه لم نزعم أنه اخترعها ولم نحكم أنه أبوعذرهما^(١).

وخلاصة القول أن الجرجاني وجد أن اللفظ والمعنى أساس متين من أسس قوة الشعر أو ضعفه وسموه الي أعلى المراتب أو انحطاطه - وقد أحكم قوله في ذلك بالدليل والبرهان شأنه شأن القاضى الذى يحكم اذا توفر له الدليل والحجة ، وهو يرى أنهما متلازمان فلا يسمو المعنى الا بجزالة الالفاظ ، ولا يستساغ اللفظ الا بشرف المعاني .

الفصل الرابع

السرقات الشعرية

اهتم القاضي الجرجاني بالسرقات - وتحدث عنها في كتابه - ودرس . .
جوانبها المتعددة .

والجرجاني يرى أن السرقات داء قديم ، وأن الشعراء قد أصيبوا بهذا
الداء منذ القدم ، وأنه لا يكاد شاعر يخلو من هذا . يقول :
" والسرقة - أيدك الله - داء قديم ، وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر
الآخر ، ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . . " (١)

فالجرجاني يرى أن السرقات إنما جاءت عن طريق استعانة الشاعر
بخاطر الآخر والاعتماد على معناه ولفظه .

ويهتم الجرجاني بما يسمونه (توارد الخواطر) ويجعل ذلك عذرا
للشاعر فيما نسب إليه من السرقة . يقول :

" ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى
بالأكبار ، لأن أحدهم يقف محصورا بلفظ قد ضيق بحاله ، وحذف أكثره ،
وقل عدده ، وحظر معظمه . ومعان قد أخذ عفوها ، وسبق إلى جيدها ، فأفكاره
تنبت في كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب ، فان وافق بعض ما قيل ، أو اجتاز
منه بأبعد طرف قيل : سرق بيت فلان ، وأغار على قول فلان . ولعل ذلك البيت
لم يقرع قط سمعه ، ولا مز بخلده ، كأن التوارد عندهم ممتنع ، واتفاق الهواجس
غير ممكن . " (٢)

(١) الوساطة ٢١٤

(٢) نفس المصدر ٥٢ .

فهو يرى أن التحامل في النقد أحيانا على الشعراء موقف غير معقول لان السرقة لا يكون دائما بالاخذ أو التماثل مطلقا ، وانما يكون ذلك من توارد الخواطر واتفاق الهواجس أحيانا .

والجرجاني بذلك يرى أن من أسباب وقوع الشاعر في السرقة ، استقصاء المعاني قبله - فالشعراء الذين سبقوه قد أخذوا غفوا المعاني وسبقوا السى جيدها حتى أن أفكار هذه المعاني المأخوذة التي سبق اليها الشعراء تنبث في كل وجهة وخواطرها تستفتح كل باب ، فاذا ما وافق قول الشاعر بعض ما سبق اليه نسب ذلك إلى السرقة ، ولا يراه الجرجاني سرقا . (١)

والى جانب ما بينه الجرجاني من أن السرقة داء قديم لا يكاد يخلو منه شاعر - وأن من أسبابه استقصاء المعاني ، فقد تحدث أيضا عن (المعاني المشتركة) التي أشار اليها الآمدى في نقده . (٢)

يرى القاضي الجرجاني أن هناك أمورا يشترك الشعراء فيها . يقول :
 " فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس ، والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطىء بالحجر والحصار ، والشجاع الماضى بالسيف والنصار ، والصب المستهام بالمخبول فى حيرته ، والسليم فى سهره ، والسقيم فى أنينه وتألمه أمور متقررة فى النفوس ، متصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم ،

(١) انظر ما يدل على ذلك فى الوساطة ٥٢

(٢) انظر الفصل الرابع من الباب الثانى (السرقات) .

والفصيح والاعجم ، والشاعر والمفحم ، حكمت بأن السرقة عنها منتفية ، والاخذ
 بالاتباع مستحيل ممتنع ، وفصلت بين ما يشبه هذا ويباينه ، وما يلحق به وما
 يتميز عنه ، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع ، فوجدت منه مستفيضاً
 متداولاً متناقلاً لا يعد في عصرنا مسروقاً ، ولا يحسب مأخوذاً ، وان كان الاصل
 فيه لمن انفرد به ، وأوله للذي سبق اليه ، كتشبيه الطلل المحيل بالخط
 الدارس وبالبرد النهج والوشم في المعصم ، والظعن المتحطة بالنخل ، وعلائقها
 بأعناق البسر ، والفحل بالقدن المشيد ، والظليم المهيج بأحقب يسوق
 أتنه ، وكوصف الحمول وموران الآل بها ، وزم الغراب ، والصر . . . (١)

ويذكر الجرجاني أموراً عدة يشترك الشعراء في الحديث عنها +

فالجرجاني يرى أن هذه الأمور المشتركة - التي يشترك الناس في وضعها
 لا يمكن أن تعد على المتأخر من السرقات ، لأن هذه الصفات لا يمكن أن يخرجها
 الشاعر من حالها إلى حال آخر ، فلا يمكن مثلاً تشبيه الحسن بالفلام ، أو الجود
 بالجدب ، لأن هذه الأمور كما يرى الجرجاني أمور متفق عليها - ولا يمكن
 للشاعر المتأخر أن يغير الصفات إلى أضدادها أو يستحدث صفات غير متفق
 عليها - ومن هنا فإن الحديث عنها بشبه ما سبق به لا يمكن أن يعد مسروقاً
 مطلقاً .

ويرى الجرجاني أن الفضل في السبق والانفراد لا يمكن أن يقصر عن المتقدم
 فالمبتدئ له فضل السبق ، فهو يبين أن :

" الاصل فيه لمن انفرد به وأوله للذى سبق اليه " (١) - ولا يعتبر التأسي من المتأخرين عيبا نقديا .

والمشترك عند الجرجاني نوعان : اما مشترك عام فيه الشركة ، لا ينفرد أحد منه بسهم ، ولا يختص بقسم ، وضرب لذلك مثلا - حسن الشمس والقمر ومضاء السيف وبلاد الحمار وجود الغيث ونحو ذلك مما هو مقرر لا ابداع فيه . وهذا مالا يمكن أن ينسب السرقة الى الاشتراك فيه - فهو عام الشركة لا ينازع أحد فيه أحدا ، ولذلك فان هذا يبقى متداول ما عن لشاعر أن يذكره .

وصنف آخر يسبق اليه المتقدم فيفوز به ، ويحظى بالسبق اليه ثم يتداول بعده ، ويكثر على السنة الشعراء ، كتشبيه الطلل بالكتاب والبرد ، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها - فيصبح متداول مشهورا على أن السبق والفضل لمن سبق اليه وفاز به ، فيصبح مع كثرة التداول والانتشار مشتركا ، فلا ينسب اليه السرقة .

ويضرب الجرجاني للمشارك العام في الشركة مثلا . بقول عنتره :

ألا ياما لذا البرق اليماني يضيء كأنه مصباح بان

وقول امرئ القيس :

يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل (٢)

(١) الوساطة ١٨٤

(٢) انظر البيتين في الوساطة ١٨٥

فهو يرى أنه لو سئل عامي عن البرق لأتى الى هذا المعنى . حتى ولو لم يستعمل الالفاظ . لان وصف البرق بهذه المعاني مقرر لا ابداع فيه مما لا يمكن أن ينسب السرق فيه لقائل .

ويضرب للصنف الآخر . وهو ما يسبق المستقدم اليه فيفوز به ، يقول الشاعر :
 كأن ريقه لما علا شبطاً — أقرب أبلق ينفي الخيل رمّاح
 وقول الآخر :

وترى البرق عارضا مستطيراً — مَرَحَ الْبُلُقُ جُلْنَ فِي الْأَجَلال (١)

وذلك لان الابداع ظاهر في هذا - والمعنى الذي أتى به الشاعران بعيد عن متناول الاذهان فـ "هيئات أن يعرض لك الاديب الفطن لذلك عن روية كثيرة أو فكر طويل" . (٢)

ويرى الجرجاني أن نسبة السرق الى المشترك العام في الشركة انما يكون من غفلة وجهل من نسبته الى السرق - لان تلك المعاني - لا تنحصر على شخص دون شخص .

أما الابداع في الوصف واختيار المعاني البعيدة فذلك ما قد يتيسر لامة ويضيق عن أخرى ، وما يسبق اليه قوم دون قوم . وينسب حدوث ذلك " لعمادة أو عهد ، أو مشاهدة أو مراس ، كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتركة النعام

(١) انظر البيهتين في الوساطة ١٨٦

(٢) الوساطة ١٨٦

ولعل في الامم من لم يرها ، وحمرة الخدود بالورد والتفاح ، وكثير من الاعراب
من لم يعرفهما ، وكأوصاف الفلاة ، وفي الناس من لم يصحر ، وسير الابل
وكثير منهم لم يركب . " (١)

ويرى الجرجاني أن التفاضل قد يقع بين الشعراء في المعاني المشتركة
وذلك " بحسب مراتبهم من العلم بصناعة الشعر ، فتشترك الجماعة في الشيء
المتداول ، وينفرد أحد هم بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع
موضعه ، أو زيادة اهتمت لها دون غيره فيريك المشترك المبتدل في صورة
المبتدع المخترع ، كما قال لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زهر نجد متونها أقلامها
فأدى اليك المعنى الذي تداولته الشعراء ، قال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زهور في عسيب يمانى
وقال حاتم :

أتعرف أطلالا ونؤيا مهدما كخطك في رق كتابا منمنما
وقال الهذلي :

عرفت الديار كرسم الكتا بيزبره الكاتب الحميرى " (٢)

فالمعاني في الابيات السابقة مشتركة في وصف الطلل بخط في رق قد يسم
- وعلى الرغم من تداول هذه المعاني على السنة الشعراء ، فان لبيد قد أداه
فأحسن الأداء . وفضل الشاعرين فانفرد بالحسن في ذلك والفضل على صاحبيه

(١) الوساطة ١٨٦

(٢) نفس المصدر ١٨٦ - ١٨٧

وهذا ما لاحظته الجرجاني في التفاضل مما يشترك فيه الشعراء في المعاني التي لا يعد الاخذ منها سرقا .

ويرى الجرجاني أن هذه المعاني المشتركة لا يمكن أن يعد الاخذ منها : سرقا لأنها مما يشترك فيه العامة والخاصة من الناس ، ولكنه مع ذلك يحفظ لمن تناول المعنى بزيادة فضله ويرى أن الاقتفاء بهذه الزيادة بعده مما قد يعد في السرقات . ويضرب لذلك مثلا تشبيه الخدود بالورود وتشبيه الورود بالخدود . فذلك مما تناوله الناس نثرا ونظما وقالت فيه الشعراء فأكثر ، إلا أن من تناول المعنى بزيادة وجب ضمها اليه . يقول :

" وهو من الباب الذي لا يمكن دعاء السرقة فيه إلا بتناول زيادة تضم اليه ، أو معنى يشفع به كقول علي بن الجهم :

عشيمة حياني بورد كأنه — خدود أضيفت بعضهم الى بعض
فإضاف بعضهم الى بعض له ، وإن أخذ فمنه يؤخذ ، واليه ينسب . وكقول ابن المعتز :

بياض في جوانبه احمرار — كما احمرت من الخجل الخدود

والخجل إنما يحمر وجنتاه ، فأما منهت الاصداء ، ومخطط العذار فقليل ما يحمران ، فهذا التمييز مسلم له ، وإن لم يكن يسبق اليه ، ولو اتفق له أن يقول حمرة في جوانبها بياض ، لكان قد طبق الفصل ، وأصاب الغرض ، ووافق شبيهه الخجل ، لكن أراد أن البياض والحمرة مجتمعان ، فجعل الاحمرار في جوانب البياض ، فراغ عن موقع التشبيه . ثم قال أبو سعيد المخزومي :

والورد فيه كأنما أوراقه — نزع ورد مكانهن خدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق ، فصرت
إذا قسته الى غيره وجدت المعنى واحدا ، ثم أحسست في نفسك عنده هزة ووجدت
طرية تعلم لها أنه انفراد بفضيلة لم ينازع فيها .^(١)

وخلاصة القول أن الجرجاني لا يرى أن الاشتراك في المعاني المشتركة سرقة
ولكنه يحتفظ لصاحب الابداع والسابق بفضله . . .

وموقف الجرجاني من السرقة والمعاني المشتركة يقوده الى الحديث عن
تمييز السرقة اذا وقعت من الشاعر ، فينظر اليها من زاوية أخذ الشاعر المعاني .
فان كان ذلك مهاب أخذ المعنى والزيادة فيه مما يجعل للشاعر الفضل فانه
يعد ذلك أمرا محمودا وسرقة ممدوحة .

والسرقة الممدوحة في نظر الجرجاني هي السرقة التي تأتي في المعاني
المشتركة مع الابداع والسبق اليه - ويرى أن لا بد أن يقرر فضل صاحبها - فهي
ليست من المعاييب - وكأنه يحصر السرقة المذمومة في أخذ المعنى بعينه ، دون
زيادة أو تغيير .

ويضرب الجرجاني مثلا للسرقة الممدوحة بقول امرئ القيس يشبه الناقة في
سرعتها بتيس الظباء في عدوه :

أو تيس أظب بهطن واد يعدو وقد أفرد الفزال^(٢)

(١) الوساطة ١٨٧-١٨٨

(٢) نفس المصدر ١٨٨

فالجرجاني يقرر فضل امرئ القيس ، على الرغم من أنه قد قيل في هذا المعنى كثيرا - ولكنه زاد افراد الغزال " وهذه زيادة حسنة لانه اذا أفرد اجتمع للتيس الخوف والوله ، فكان أشد لعدوه " (١)

ويذكر كذلك قول امرئ القيس في وصف الطعنة ، وقد زاد على كل من شبهها بجيب الحمقاء ، وجيب الفتاة ، لانها اذا ريعت وهي تستغلى عجلت عن الرفق :

كجيب الدفنس الدرهما ريعت وهي تستغلى (٢)

" وقال أوس بن حجر :

وفي صدره مثل جيب الفتاة تشهق حيناً وحيناً تهر

فزاد بالتقسيم الجارى على الشهيق والهرير ، ولكن زيادة الاول أحسن وأغض مأخذا ، وأوقع تشبيها ، فأما القند فانه أورد البيت على حاله : واضطرته القافية الى ترك الزيادة التي ذكرناها ، فقال :

كجيب الدفنس الورهما ريعت بعد اجفـال (٣)

فالجرجاني يبين السرقة المدحقة وأنها تتحقق بالزيادة التي تضيف على المعنى حسنا وتشبيها اكثر وقعا . ولذلك فقد فضل امرؤ القيس أوس بن حجر والقند - لانه زاد فكان قوله أغض مأخذا وأوقع تشبيها .

(١) الوساطة ١٨٨

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ١٨٩

ويورد الجرجاني أمثلة للسرقة الممدوحة ويناقش هذه الأمثلة مبينا مواطن
الفضل فيها . يقول :

" ومتى سمعت قول أبي دهل الجمحي :

وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندى ولا بالذى أوليت من قدم

علمت أنه من قول النابغة :

أبى غفلتى أنى إذا ما ذكرتـه تقطع حزن فى حشى الجوف داخل
وان تلالدى ان نظرت وشكيتى ومهرى وما ضمت الى الا نامل
حباؤك والعيس العتاق كأنها هجان المها تردى عليها الرحائل

فإذا أنصفت أباد هبل عرفت فضله ، وشهدت له بالا حسان ، لانه جمع
هذا الكلام الطويل في : " ولا أيديك واحدة عندى " . ثم أضاف اليه " ولا بالذى
أوليت من قدم " . فتم المعنى ، وأكدّه أحسن تأكيد ، لان الامور العظيمة قد
تنسى اذا طال أمدها وتقادم عهدا ، فنفى عنه وجوه النسيان كلها " .^(١)

ويقول : " وقد اختصر النابغة أبياته هذه في بيت من كلمة أخرى ،

فقال :

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحتنى فكيف ومن عطائك جلّ مالى

فأحسن وزاد على أبي دهل بأن جعل جل ماله من عطائه ، واقتصر أهـو
دهبل على تتابع الايادى ، وقد تصغر وقد تكبر ، لكنه انفرد بالمصراع الثانى ،
فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى مفرد " .^(٢)

(١) الوساطة ١٨٩

(٢) نفس المصدر ١٩٠

ومعنى ذلك أن السرقة تكون ممدوحة بالتغيير أحيانا في طريقة عرض
المعنى - أو باختصار الالفاظ - أو بالزيادة في المعنى ، والأتان بمعنى ^{يستم}
المعنى السابق - وقد تكون بالاغراق في المعنى . فقد استحسّن للناطقة قوله
" فكيف ومن عطائك جل مالى " .

ويقرر الجرجاني أن الفضل لا يكون بالزيادة في الالفاظ ومحدّها لان البهيت
أحيانا في معنى من المعاني يفضل كثيرا أبياتا عدة فس نفس المعنى ، ويستشهد
الجرجاني على ذلك بما فعله المعطوي إذ أخذ قول ابن منذر :

تراضينا بحكم الله فينـ	لنا أدب وللثقيـ
ففرقه في أربعة أبيات ، بيت ابن منذر خير من جميعها ، فقال :	
رضينا بحكم الله بين عباده	رضا علماء لا تمخط جهال
لئن خص قوما بالنباهة والغنى	وألبسنا ثوبى خمول واقلال
لقد جاء بالعلم النفس الذى به	رشد نافلهم نلبس ملابس ضلال
فلو سَمَتْنَا لم نعطِ علما بثروة	ولم نر للتمييز كفوا من المال (١)

فالجرجاني بين أن (المعطوي) لا فضل له على قول ابن منذر . بالرغم من
أنه قد زاد في البناء كثيرا - ولكنه قصر عن الفضل في المعنى .

ولا يرى الجرجاني مؤاخذه على الشاعر اذا كان قوله مأخوذا من قول العامة
شرطة أن يأتى بالزيادة المليحة . يقول :

" وما ضر قول المتنبى :

فاستعار الحديد لونا وألقى لونه فى ذوائب الاطفال

وان كان مأخوذا من قول العامة : هذا أمر يشيب الطفل . وكانت الشعراء قد تداولته وابتدلتها حتى أخلق ورث ، وقد زاد فيه الزيادة الطيحة . " (١)

وقد يكون أخذ الشاعر من غيره لا مذمة فيه اذا أخذ وأحسن الأخذ وذلك بأن اختصر اللفاظ مع جمع المعاني فى الفاظ أقل - دون اساءة الى المعنى يقول الجرجاني :

" وقد أخذ أبو الجويرية بيتي الخنساء أحسن أخذ ، وجمعهما فى بيت استوفى فيه معنييهما . قالت الخنساء :

وما بلغت كفى امرئ متناول من المجد الا والذى فيك أطول
وما بلغ المهدون نحوك مدحاً وان أطنبوا الا وما فيك أفضل

فقال أبو الجويرية :

يزيد على سَرَوِ الرجال بَسَرُوهُ ويقصر عنه قول من يتصدح " (٢)

ويرى الجرجاني أن السرقة المعيب انما يكون بنقل اللفاظ والمعانى دون زيادة أو تغيير . . " حكى أبو عبيده وغيره أن عبد الله بن الزهري دخل على معاوية فأنشده لنفسه :

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه اذ الم يكن عن شفرة السيف مزحلاً

(١) الوساطة ١٩٠

(٢) نفس المصدر ١٩١

فقال له معاوية ، لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبد الله المجلس
حتى دخل معن بن أوس المزني ، فأنشده كلمته التي أولها :
لعمرك ما أدري واني لأوجل على أينما تعدو المنية أول
حتى أتى عليها ، وهذه الابيات فيها ، فأقبل معاوية على عبد الله بن
الزبير فقال : ألم تخبرني أنها لك ؟ فقال : المعنى لى واللفظه ، ويعد
فهو أخى من الرضاع وأنا أحق الناس بشعره . (١)

وكفعل جرير بقول سويد بن كراع العكلى :
ومابات قوم ضامين لنا دما فتوفيتها الا دما شوافع
فانه نقل البيت الى قصيدة له ، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن نداء التيمى
وكان أحد الأسباب التي هاجت الشريينهما . (١)

وبنى الجرجاني أن الابداع في المعاني والانفراد بها - قد يكون سببا
في عدو الشاعر عليها بالقوة - خاصة اذا كان ممن يخشى جانبه لدى صاحب
القول البار - فياخذ بهمينه وينسبه اليه - ويعد الجرجاني ذلك من السرقات
و ضرب الجرجاني لذلك مثلا ببيت جميل :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
سمعه الفرزدق فقال : أنا أحق بهذا البيت فأخذه غصبا . (٢)

(١) الوساطة ١٩٢ - ١٩٣

(٢) انظر معنى ذلك فى الوساطة ١٩٣

وقد ذكر الجرجاني مثالا على ذلك قصيدة أبي مكثف المزني الذي نسبها اليه دعبل - وادعى على أبي تمام أن أبا تمام سرقها ورثى بها محمد بن حميد مع تغيير اسم المراثى والقبيلة فقط .^(١)

وقد أورد الجرجاني نماذج من السرقات^(٢) ظهر من خلالها أن ثمة شعراء اتفقوا في الازان وسرقوا اللفظ والمعنى جميعا مع تغيير في بعض الالفاظ التي تؤدي نفس ما يؤديه اللفظ المعروف . وكأن الجرجاني يسجل بذلك نماذج من السرقة التي يرى أنها من السرقات الممنوعة - أو يسميها حقيقة بالسرقات . ولكننا لا نرى الجرجاني يتعرض لهذه الامثلة بالتحليل والتعليق وكأن رفضه لها أمر مسلم به - إذ أن في عرضه للسرقات المدححة وحد يثب عليها ما يؤيد هذا المذهب .

وبين الجرجاني أن السرقة قد لا تكون في الامور الظاهرة - وفي الالفاظ والمعاني الواضحة - ولكنها قد تكون في المعاني والاغراض والمقاصد فيعمد الشاعر الى سرقة المعاني المتناسبة في الاوصاف مع اختلاف في المعنى والغرض . ويضرب لذلك أمثالا منها قول لبيد :

وما المال والا هلون الا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع
وقول الافوه الا ودى :

انما نعمة قوم متعـــــة وحياة المرء ثوب مستعار

(١) انظر ذلك في الوساطة ١٩٣ - ١٩٤ وقد ذكر الجرجاني امثلة على ذلك

ص ١٩٤ .

(٢) الوساطة ١٩٤ - ٢٠٠

ويقول فيهما : " وان كان هذا ذكر الحياة ، وذلك ذكر المال والولد ،
وكان أحدهما جعل وديعة والاخر عارية " .^(١)

ويقول :

" تعلم أن قول الشاعر :

" وما المرء الا حيث يجعل نفسه "

هو من قول الاخر :

فنفسك أكرمها فانك ان تهين عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

وحتى تتأمل هذه الأبيات فتعرف انتساب بعضها الى بعض ، واتصال كل
واحد منها بصاحبه ، مع افتتان مذاهبيهما ، واختلاف مواقعهما ، كقول زهير :
وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لمن قد حظه الله حامل

وقول حاتم :

اذا أوطن القوم البيوت وجدتهم عماة عن الاخبار خرق المكاسب

وقول الاخر :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان القعود مع العيال قبيح

وقول الاخر :

ومرءك مثلي ذاعيال ومقتسرا من المال يطرح نفسه كل مطرح^(٢)

(١) الوساطة ٢٠١

(٢) نفس المصدر ٢٠١-٢٠٢

ويذكر الجرجاني أبياتا أخرى في هذا الشكل من السرقات ^(١) . ويعمد في
النهاية الى التحليل والتعليل مبينا رأيه النقدي في الافضل . يقول : بمعد
أن جاء بقول أبي تمام :

نرينى وأهوال الزمان أعانها فاهواله العظمى تليها رغائبه

يقول : " تعلم أن زهيراً جمع في قوله :

" وليس لمن لم يركب الهول بغية "

ما يسطه هؤلاء ، وأن أبا تمام زاد بأن حقق ذكر البغية ، وحصول المراد
لا محالة ، واقتصر زهير على التأميل ، فلا يبي تمام فضيلة التأكيد ، وأن الفرض
الحث على تجشم الأهوال في الطلب ، فكلما ازداد الكلام تأكيداً كان أبلغ .
ولزهير مزية الصدق ، لأن الأمل مقرون بهذه الحال ، والبغية مطلوبة ، فأما
الظفر الذي حكم به أبو تمام فقد يكون ، وقد يقطع الطالب دونه ، ويحال
بينه وبينه ^(٢) .

والجرجاني بذلك يعالج بطريقة نقدية ما عرضه من الأبيات لهذا الشكل
من السرقات مثبتاً لصاحب الفضل فضله ولذى المزية مزيتة معللاً لما يراه حسناً
وما يراه مقصراً . .

(١) الوساطة ٢٠٢

(٢) نفس المصدر ٢٠٢ - ٢٠٣

وبين الجرجاني أن من الشعراء من يتفنن في السرقة وذلك أنه اذا علق
المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنعه وعن وزنه ونظمه ، وعن رويته وقافيته ،
فاذا مر بالفجى الغفل وجد هـما أجنيبين متباعدين ، واذا تأملهما الفطن الذكى
عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التى تجمعهما ، قال كثير :

أريد لانسى ذكرها فكأنمنا تمثل لى ليلى بكل سبيل
وقال أبو نواس :

ملك تصور فى القلوب مثاليه فكأنه لم يخل منه مكان
فلم يشك عالم فى أن أحدهما من الآخر ، وان كان الاول نسيا والثانى مديحا .^(١)

فالسرقه هنا جاءت محيطه بالمعنى ، على الرغم من اختلاف الفئسين ،
وكذلك الاختلاف العروضى بين البيتين ، وهما ما لا يدركه الا العالم البصير
المحيط بالمعاني - وما يغفل عن ادراكه الفجى .

وقد ساق الجرجاني أمثلة عدة - لعل من المفيد عرضها - لتظهر طريقة
معالجته لها وبيانها لطريقة السرق والتفنن فيه .
" قال أبو نواس :

خليت والحسن تأخذه تنتقى منه وتنتخب
فاكتست منه طرائفه واستزادت فضل^(٢)

(١) الوساطة ٢٠٤-٢٠٥

(٢) هكذا البيت في الوساطة (ص ٢٠٥)

وقال عبد الله بن مصعب :

كأنك جئت محتكما عليهم
تخير في الابوة ماشاء

فأحد البيتين هو الآخر في المعنى ، وإن كان أحدهما يتخير الحسن
والآخر الابوة ، وإنما هما من قول بشار :

خلقت على مافي غير مخير
هواي ولو خيرت كنت المهذبا

ثم تناوله أبو تمام ، فأخفاه فقال :

ولو صورت نفسك تزد هـا
على مافيك من كرم الطبعاع^(١)

فقد عرض الجرجاني أبياتا بعضها أخذ من بعض - ولكن الشاعر تفسن
في السرقة فحور في المعنى المدلول الذي يريد ، كما أن أبا تمام أخفى
المعنى وكأنه يعطى مدلولاً غير السابق ، بينما اجتمعت المعاني كلها في كافة
الابيات دالة على التسخير في الاوصاف المحبوبة . .

يقول :

" وقد أخذ أبو نواس قول جرير :

بعثن الهوى ثم ارتمين قلوبنا
بأسهم اعداء وهن صد يـق

فقال :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صد يـق

وأخذ أيضا قول أبي خراش الهذلي :
ولم أدر من ألقى عليه ردا ،
على أنه قد سل من ماجد محض

فقال - يصف شرها :

ولم أدر منهم غير ما شهدت بهه بشرقي سابط الديار السليم
فلم يخف موضع الأخذ ، وان كان قد نقل الغزل الى الزهد ، والمرثية الى المناهضة^(١)
فالجرجاني يرى أن من التفنن في السرقة نقل المعنى من غرض الى غرض آخر .

ويرى الجرجاني أن من لطيف السرقات مناقضة الشاعر غيره ، يقول :
" ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب ، وقصد به النقض ، كقول المتنبي :
أأحبه وأحب فيه ملا ———
ان الملامة فيه من أعدائه

إنما نقض قول أبي الشيص :
أجد الملامة في هواك لذينة
حبا لذكرك فليلمني اللوم
وأصله لا بهي نواس في قوله :

إذا غاد يتنى بصبح ———
فاني لا أعد اللوم في ———
فمزوجا بتسمية الحبيب
عليك إذا فعلت من الذنوب

وقول المتنبي :

والجراحات عنده نغمات
سبقت قبل سيئه بسـ ———

انما ناقض به أبا تمام في قوله :

ونعمة معترف جدواه أحلى
على أذنيه من نغم السماع

وقد تبعه البحتري فقال :

نشوان يطرب للسؤال كأنما
غناه مالك طسي أو معبد

وقول المتنبي :

أنت نقيض اسمه إذا اختلفت
قواضب البيض والقنا الذبيل

انما هو نقيض قول أبي نواس :

عباس عباس إذا احتدم الوغى
والفضل فضل والربيع ربيع

وقول ابن أبي طاهر :

يشارك العالم في ذممه
لكنني أمدحه وحدي

انما هو عكس قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والوري
معي وإذا ما لمته لمته وحدي * (١)

وهذا باب يحتاج الى انعام الفكر ، وشدة البحث ، وحسن النظر ، والتحرز من الاقدام قبل التبين ، والحكم الا بعد الثقة . وقد يغمض حتى يخفى ، وقد يذهب منه الواضح الجلى على من لم يكن مرتاضا بالصناعة ، متدربا بالنقد ، وقد تحمل العصبية فيه العالم على دفع العيان ، وجحد المشاهدة ، فلا يزيد على التعرض للفضيحة ، والاشتهار بالجور والتحايل . * (٢)

(١) الوساطة ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) نفس المصدر ٢٠٨

وهذا بلا شك يشترط في الناقد التخصص والدراية والاحاطة وامعان
النظر والبعاد عن العصبية ، وهذا ما دعا اليه نقاد متقدمون كابن سلام ^(١) . .
والجاحظ ^(٢) حتى يكون حكمه مقبولا .

ويرى الجرجاني أن كثيرا من درس السرقات قد أخطأ الحكم . فنسب
الى السرقات ما ليس منها وادعى على الشعراء ما لم يكن مسروقا - وخص من هؤلاء
أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار وما أخرجاه من سرقات أبي تمام ، وما تتبعه
بشر بن يحيى على البحتري ، ومهلهل بن يموت على أبي نواس ، وبين أن ذلك
الادعاء انما كان من آثار الهوى ، وهو ما لا يعتبره سرقا . يقول :

" زعم مهلهل أن قول أبي نواس :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرمي الملسنا
مأخوذ من قول كثير :

لهم أزرق حمى الحواشي يطونها بأقدامهم فى الحضرمي الملسن

والحضرى الملسن أشهر عند العرب من أن يفتقر فيه الى قول كثير أو غيره ،
وانما هو صنف من نعالهم كان مستحسنا عندهم ، فما فى ذكر أبي نواس له من
السرقعة المعروفة شىء ، ثم لو ذكر بعض شعرائنا اليماني المخصر والكناني المطبق
ثم وجدناه فى شعر غيره ، أكنا نقول : انه مأخوذ منه ؟ أو كنا نعدده سرقعة ؟
وليس بين البيتين اتصال ولا تناسب الا فى هذه اللفظة ، لان كثيرا مدح قوما
فوصفهم بالمرح والنعمة والخيلاء ، وذكر سبوغ أزرقهم ، وانهم يطئون بها بنعالهم
الحضرمية الملسنة هوانا بها ، وقصد أبو نواس معنى آخر فذكر أنه قصد مدح

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٠
(٢) البيان والتبيين ١٠٤

ماشيا ، وامتنى نعله الحضرمية المسنة ، فما رأى غير ما ذكر .^(١)

” وزعم أن قول أبي نواس :

نعزى أمير المؤمنين محمدا على خير ميت غيبته المقابر
وان أمير المؤمنين محمدا لرابط جأش للخطوب وصابر

من قول موسى شهوات :

بكت المنابر يوم مات وانما أبكى المنابر فقد فار سهنه
لما علاهن الوليد خليفة قلن ابنه ونظيره فسكنه

وهذا أعجب من الاول ، لانهما لم يتشابهما في لفظ ولا معنى ، وأكثر ما فيها أن كل واحد منهما عزى خليفة عن أبيه ومدحه ، فان كان هذا سرقة فالكلام كله سرقة ، وانما الذى يقارب قول موسى قول محمد بن عبد الملك يرثى المعتصم ويمدح الواثق :

لن يجبر الله أمة فقتلت مثلك الا بمثل هـارون

لانه جعل انجبار الامة بعد الوهن الشديد بهارون كسكون المنابر — بالوليد بعد البكاء على أبيه ، وهذا أخذ لطيف .^(٢)

وقد زعم أن قوله :

هبارياب جلّتهى ملحوب فالقطيّات الى الذنوب

(١) الوساطة ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) نفس المصدر ٢١٠

من قول عبيد :

أقفر من أهله ملحوب فـالقطبيات فالذنوب (١)

وهذه أسماء مواضع لا معنى للسرقة فيها ، ولو كان الجمع بينها سرقة
لكان افرادها كذلك ، فكان يحرم على الشاعر أن يذكر شيئا من بلاد العرب
وان قوله في الخمر :

أتدونها الايام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سماء

من قول جرير :

يجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام (٢)

ولست أرى شيئا يشتركان فيه الا أن ادعى احتذاء المثل فلعله .
وأن قوله :

ترى العيين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها

من قول الأبيد :

وقد كنت أستعفي الاله اذا اشتكى من الامر لي فيه وان عظم الامر

ولا أراها اتفاقا الا في الاستعفاء ، وهي لفظة مشهورة مبتدلة ، فان كانت
مستترقة فجميع البيت مسرورق ، بل جميع الشعر كذلك ، لان الالفاظ منقولة
متداولة وانما يدعى ذلك في اللفظ المستعارة أو الموضوع ، كقول أبي نواس :

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

(١) الوساطة ٢١٠

(٢) نفس المصدر ٢١١

وقول البطيين البجلي :

طوى الموت ما بينى وبين أحبة بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع .^(١)

وقد ساق على نظير ذلك أمثالا عديدة .^(٢)

ويرى الجرجاني أن ما ذكره من أمثله الادعاء في السرقة على أبي نواس وأبي تمام والبحترى إنما هو قليل من كثير .

وخلاصة ما عرضناه من أمثلة سابقة ذكرها الجرجاني أن السرقة لا تكون في الالفاظ المشهورة المستعملة عند العرب مع اختلاف المعاني ، لان ذلك مالا يمكن أن ينفرد به شاعر دون آخر ، وأن الاصطلاح المستعمل يشترك فيه الشعراء والناس كافة - وانما المعول في السرقة على المعاني التي سبق اليها الشاعر وانفرد بها وأبدع فيها .

والسرقة لا تكون في الاغراض ، فاذا سبق شاعر الى غرض واتبعه آخر لم يحتج حذوه في اللفظ والمعنى فان ذلك لا يعد بحال من الاحوال سرقة .

ويرى الجرجاني كذلك أن السرقة لا تكون باشتراك الشاعرين في ذكر أسماء المواضع .

(١) الوساطة ٢١١

(٢) نفس المصدر ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، وانظر في ص ٢١٣ مقارنته بين بيستي أبي نواس وعبيد بن الحساس وهو ما يتعذر ذكره هنا ، وبين فيه الجرجاني أنه لا تشابه الا في كلمة واحدة وهذا مالا يمكن أن يعد البيت معه مسروقا .

كما لا تكون السرقة في احتذاء المثل ، بين شاعرين ، كقول الشاعر فسي
الخمير :

أتت دونها الايام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سما
وقول جرير :

يجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام (١)

فالجرجاني يقطع برأيه في السرقات - كما رأينا - أنها لا تكون إلا في المعنى
الذي سبق اليه الشاعر وانفرد به - ولا تكون في المشترك الذي يكون عاما بين الناس

كيف عالج الجرجاني سرقات المثنى ؟

رأينا أن الجرجاني قد درس نماذج من سرقات أبي تمام والبحتري وأبى
نواس ، وقد بين الجرجاني أن ما عرضه لا يعد من السرقات مطلقا - وإنما هو
ما ادعاه بعض النقاد سرقا وليس بمسروق - واعتبر الجرجاني موقف النقاد هذا
من التحامل في النقد ، وقد أشار الى ذلك التحامل بقوله :

" وإنما خصمك الالد ، ومخالفك المعاند ، الذي عهدت لمحاكمته وابتدأت
بمنازعته ومحاجمته ، من استحسن رأيك في انصاف شاعر ، ثم ألزمك الحيف على غيره
وساعدك على تقديح رجل ، ثم كلفك تأخير مثله ، فهو يسابقك الى مدح أبي تمام
والبحتري ، ويسوغ لك تقرير ابن المعتز وابن الرومي ، حتى اذا ذكرت أبا الطيب
ببعض فضائله ، وأسميته في عداد من يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور ، ونفر

نفار المضيم ، فغض طرفه وثنى عطفه ، وصعرخده ، وأخذته العزة بالاثم ، وكأنما زوى بين عينيه عليك المحاجم " . (١)

وبين الجرجاني أن هذا التحامل في النقد قد يكون في السرقات . يقول " ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالاكبار ، لان أحدهم يقف محصورا بين لفظ قد ضيق مجاله ، وحذف أكثره ، وقل عدده ، وحظر معظمه . ومعان قد أخذ عفوها ، وسبق الي جيدها ، فأفكاره تنبت في كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب ، فان وافق بعضها قيل أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل سرق بيت فلان ، وأغار على قول فلان " . (٢)

والتحامل في النقد - هو الذي دفعه الى دراسة السرقات عن أبي تمام والبحترى وأبي نواس ، حيث أورد نماذج وبين أنها ليست مسروقة وانما هي ادعاء النقاد .

وكان الجرجاني يمهّد بهذه الدراسة لينفي كثيرا ما نسب الى المتنبي وعد من السرقات :

يقول عن سرقات المتنبي :

" وهذا ما ادعى على أبي الطيب فيه السرقة ، وما أضيف اليه معاشرت به " . (٣)
شأنه في ذلك شأن ما عرض من نماذج لابي تمام وصاحبيه .

(١) الوساطة ٥٢-٥٣

(٢) نفس المصدر ٥٢

(٣) نفس المصدر ٢١٦

وقد سلك الجرجاني في نفي السرقة عن المتنبى طرقا في العرض . كأن يوضح ما زاده أو ما غيره أو ما أبدع فيه أو ما حوَّله من غرض لغرض ينتفى عنه السرقة .

يقول :

" قال أبو تمام - وقد رُوي هذا البيت لبكر بن النطاح ، وقد دخل في شعر أبي تمام :
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليترك الله سائله

قال أبو الطيب :

يأيها المجدى عليه روحه ان ليس يأتيه لها استجداء
أحمد عفاك لا فجعت بفقد هم فترك ما يأخذ وإعطاء

وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح ألمح لفظا وأصح سبكا . وزاد أبو الطيب بقوله : انه يجدى عليه روحه ، ولكن في اللفظ قصور ، والا ول نهاية في الحسن^(١)

فالجرجاني يرى أن أبا الطيب قد زاد عن البيت الاول - وان كان السابق يفضل أبا الطيب - الا أن لابي الطيب ما يعذره في الاخذ - وهو الزيادة وهذا موقف نقدي من مواقف الجرجاني في هذا المجال .

ومثله نقل المعنى اذا لا يعده من السرقات . يقول عن الاخذ من البيت نفسه : " ثم نقل المعنى^(٢) عن الروح الى الجسد فقال :

(١) الوساطة ٢١٦

(٢) يعنى المتنبى

لو اشتهمت لحم قاريها لبادرها خزانل منه في الشيزى وأوصال
وهذا هو الاول ، ومن جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ، وكأنه من قول ابن الرومي :
لو حزن من جسمه لسائله أنفس اعضائه لما ألما

ثم كرره وغيره بعض التفسير فقال :

ملت الى من يكاد بينكمي لو كنتما السائلين ينقسم
ثم لاحظ هذا فأخفاه ، وأحسن ما شاء فقال :
انك من معشر اذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
المعنى قول بكر بن النطاح :
ولو خذلت أمواله فيض كفه لقاسم من يرجوه شطر حياته^(١)

فالجرجاني يرى أن الاخذ من السابق مع أي تغيير كالزيادة أو اخفاء المعنى
والاحسان فيه - حتى ولو كان الفرغ واحدا يشفع للشاعر . .

كما لا تكون السرقة في المعنى المتداول : يقول :

" وقال الاعشى :

لو أسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقال أبو الطيب :

فذقت ماء حياة من مقبلها لو صاب ترها لاهيا سالف الام

وهذا معنى متداول بعد الاعشى ، وقد قيل فيه ما كثر .^(٢)

(١) الوساطة ٢١٦-٢١٧

(٢) نفس المصدر ٢١٨

هذا الذى أبصرت منه حاضرا مثل الذى أبصرت منه غائبا
ثم مثل فقال :

كالبدور من حيث التفت رأيتـه يهدى الى عينيك نورا ثاقبا^(١)

وأشار الجرجاني الى أن السرقات لا تتحقق إذا كان هناك اختلاف فى
صور الامثلة على المعنى الواحد وساق على ذلك مثلا بالآيات التالية :

” قال عبد الله بن محمد المهلبى :

ما كنت الا لكم مِيَّتٍ دعا الى أكله اضطرارا

وقال أبو الطيب :

غير اختيار رضيت بِرَّكَ بى والجوع يرضى الاسود بالجيف
وقريب منه قول أبى على البصير :

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم

ومنه قول الآخر :

فلا تحمد ونى فى الزيارة اننى ازوركم ان لا أرى متعللا^(٢)

فمعنى الآيات جميعا : أن المرء قد يرضى بالسيء اضطرارا لعدم توفرها

يريد ...

(١) الوساطة ٢٢٠

(٢) نفس المصدر ٢٢٠ - ٢٢١

وليس من السرقات عند الجرجاني الاقتصار على بعض الجملة :

" قال أبو تمام :

هانت على كل شيء فهو يسفكها حتى المنازل والا حجاج والاهل

قال أبو الطيب :

فما أمر بهيـع لا أسائله ولا بذات خمار لا تريق دمي

جعل أبو تمام كل شيء يسفك دمه ، وجعل أبو الطيب ذات خمار تريق دمه ،
فاقتصر على بعض تلك الجملة .^(١)

ولا يكون سرقا اذا كان المعنى منفردا :

" وقال أبو تمام :

لبست سواه أقواما فكانوا كما أغنى التيمم بالصعيد

قال أبو الطيب :

وزارك بي دون الملوك تخرجي اذا عن بحر لم يجز لى التيمم

قال ابن الخياط :

لمست بكفى كفه ابتغى الفسنى ولم أد ر أن الجود من كفه يمدى
فلا أنا منه ما أفاد ذو الفسنى أفدت ، وأعداني فأطفت ما عندى

قال أبو تمام :

علمنى جودك السماح فمأ أبقيت شيئا لدى مرحدتك

وقال آخر :

لست أضحي مصافحا لسلام اننى ان فعلت أطففت مالى
فنقله أبو الطيب الى الزمان ، فصار كالمعنى المنفرد ، فقال :
أعدى الزمان سخاؤه فسحا به ولقد يكون به الزمان بخيلا^(١)

ولا يعد الشاعر سارقا اذا اختصر وأحسن :

" قال " منصور بن الفرج :

" حل في جسمى ما كان بعينيك مقيما "

البحترى :

وكان في جسمى السدى في ناظريك من السقم

قال أبو الطيب :

أغارنى سقم جفنيه وحملتى بين الهوى ثقل ما تحوى مآزره
فاختصر وأحسن وأورد البهت فى نصف مصراع^(٢) " (٢)

ومما لا يعد سرقا استيفاء المعنى وتأكيده فى مصراع واحد :

" قال أبو تمام :

لا أظلم البين قد كانت خلائقها من قبل وشاك النوى عندى نوى قد فا

(١) الوساطة ٢٢٣

(٢) نفس المصدر ٢٢٩

وليه :

ففراق جرعته من فــــراق وفراق جرعته من صــــود

البحترى :

على أن هجر ان الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسمى هو المعدل

قال أبو الطيب :

أبعد نأى الطيحة البخل فى البعد ما لا تكلف الا بـل
فاستوفى المعنى وأكدّه فى مصراع واحد (١) .

ومما لا يعد سرقا - نقل المعنى مع التعب فى ذلك :

" قال : بعضهم :

انى رأيتك فى نومى تعانقنى كما تعانق لام الكاتب الالفـا
ألم به أبو الطيب فقال :

دون التعانق ناحلين كشكلتى نصب أدمهما وضم الشاكل

فكانه معنى مفرد ، ولئن أخذ منه كما يزعمون فما عليه معتب ، لأنّ التّعَبَ فيه ونقله لا ينقص عن التعب فى ابتدائه . (٢)

(١) الوساطة ٢٣٧

(٢) نفس المصدر ٢٣٩

ومما لا يعد سرقا . ما كان مستوفى المعنى سائر المثل نادرا :

قال أبو تمام :

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

أبو الطيب :

رأت وجهه من أهوى بليل عوانلى فقلن نرى شمسا وماطلع الفجر

البحترى :

ولم ألق فى رنق الصرى لي موردا فحاولت ورد النيل عند احتفاله

أبو الطيب :

قواصد كافور توارك غسيرة ومن قصد البحر استقل السواقيا
وهذا مصراع نادر ، مستوفى المعنى سائر المثل . (١)

ومما لا يعد سرقا نقل المعنى الى معنى آخر :

" البحترى :

تقاذف بى بلاد عن بلاد كأنى بينها غير شرو

بعضهم :

" كأنى قذى فى عين كل بلاد "

أبو الطيب - وهو منقول الى معنى آخر كالمفرد :

يخيل لى أن البلاد سامعى وانى فيها ما تقول الموان ل * (١)

ويحمد الجرجاني للمقبى تغيير المعنى والطافه حتى يأتى كالمعنى المخترع

يقول :

* وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره ، وَلَطَفَ فجاء كالمعنى المخترع :

يفدى أتم الطير عمرا سلاحه نَسُورُ المَلَأَ أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخابب وقد خُلِقَتْ أسيافه والقوائم * (٢)

وقد ذكر أن أبا الطيب أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش الا انها لم تقاتل * (٣)

ومن ذلك : بسط المعنى وشرحه :

* قال الخريجي :

لقد وقرتنى الحادثات فما أرى لنازلة من ربيها أتوجع

وقد بسطه أبو الطيب وشرحه وزاد فيه تمثيلا حسنا فقال :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال * (٤)

(١) الوساطة ٢٥٣ وانظر ٣٦٧

(٢) نفس المصدر ٢٧٦

(٣) نفس المصدر ٢٧٤

(٤) نفس المصدر ٣٣٦

ومما لا يعد سرقا - احسان الشاعر غاية الاحسان :

قال " بعض المحدثين :

وما فسد تلى يشهد الله نية عليك بل استفسد تنى فاتهمتنى

أبو الطيب وأحسن غاية الاحسان :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم
وعادى محبيه بقول عدائهم
وصدق ما يعتاده من توهم
واصبح فى ليل من الشك مظلم (١)

ويخرج من السرقة اكثر المعنى :

" الاعور الشنى - وهو كثير :

اذا صبحتنى من أناس شغالين
لا دفع ما قالوا منحتهم حقرا

أبو الطيب :

ويحتقر الحساد عن ذكره لهم
كأنهم فى الخلق ما خلقوا بعد

ولله :

أبد و فيسجد من بالسوء يذكرنى
المصراع الثانى هو المعنى الاول ، وقد كثر حتى خرج عن باب السرقة " (٢)

(١) الوساطة ٣٤١ وانظر ٣٥٤

(٢) نفس المصدر ٣٥٢ - ٣٥٣

ولا يكون البيت مسروقا باستعارة لفظة مشتركة بين الابيات مختلفة المعانى :

" زياد العبدى :

صفان مختلفان حين تلاقيا آبا بوجه مطلق أو ناكح

سلم :

إذا ما نكحنا الحرب بالهيف والقتا جعلنا المنايا والد ماء طلاقها

سلم الخاسر :

يرمى المعجاج بها أغر محجل جعل السيوف مناكها وطلاقا

أبو الطيب :

يجنبها من حثفه عنه عاقل ويصلى بها من نفسه منه طالق

وهذه الابيات مختلفة المعانى ، وببيت أبي الطيب بمعزل عنها ، وانما استعار منها لفظة الطلاق فقط .^(١)

وقد عرض الجرجاني أبياتا كثيرة من سرقات المتنبي دون تحليل - بل يكتفى بذكر ~~الهيئ~~ والابيات التى أخذ منها المتنبي :

" قال أبو تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد الا الفراق على النفوس دليلا

قال أبو الطيب :

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا^(٢)

(١) الوساطة ٣٨٠

(٢) نفس المصدر ٢١٧

" أبو تمام :

متواطئو عقبيك في طلب العلا والمجد ثمت تستوى الاقدام

قال أبو الطيب :

رأيت عليا وابنه خير قومه وهم خير قوم استوى الحر والعبد

واعاده فقال :

حتى يشار اليك ذا مولا هم وهم الموالى والخلقة أعبد" (١)

قال بشار :

إذا أنشد حمدا فقل أحسن بشار

وقال أبو هفان يهجو ابن أبي طاهر:

إذا أنشدكم شعرا فقولوا أحسن الناس

وقال أبو تمام مثله في غير هذا المعنى :

ومهما تكن من وقعة بعد لا تكن سوى حسن ما فعلت مردد

فقال أبو الطيب :

أجزنى إذا أنشدت شعرا فانما بشعري أتاك الماد حون مردد" (٢)

وكثير غير هذا (٣) ولم يناقش الجرجاني هذه الابيات ولم يبين موقفه منها كما فعل في اشارته النقدية التي أسلفنا .

(١) الوساطة ٢١٩

(٢) نفس المصدر ٢٢١-٢٢٢

(٣) نفس المصدر ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١ وصفحات أخرى حتى ٤١٦

وقد يعرض الجرجاني لسرقات شاعر آخر غير المتنبي ويبين موقفه منها :
 " قال جرير :

كَانَ رُؤُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غَدَاةَ الْوَفَى تِجَانُ كَسْرَى وَقِيصِرَا
 مسلم :

يَكْسُو السُّيُوفُ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامُ تِجَانُ الْقَنَا الذَّهَبِ
 وقريب منه قول أبي تمام :

أَبْدَلْتُ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مَنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطَى مَدْعَمًا (١)

وقد عد هذا من سرقات أبي تمام ~~ولست أراه كذلك~~ ، لانه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا وهذا معنى مشترك لا يسرق ، فأما ابدال القنا بقنا الظهور فلم يعرض له مسلم ولا جرير ، وهى ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك اليه قول أبي تمام :

مَنْ كُلُّ ذِي لِمَةٍ غَطَّتْ شَفَاثِرَهَا صَدْرُ الْقَنَاةِ فَقَدَ كَادَاتِ تَرَى عِلْمَا
 ومثله قول أبي الطيب :

مَبْرَقَعَى خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مَتَّخِذَى هَامُ الْكِمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَبًا (٢)

ويعرض الجرجاني لدراسة السرقة في بعض الاحيان دراسة مستفيضة مبينا وجهة نظره بوضوح - وذاكرا السبب لذلك :

(١) الوساطة ٢٢٩

(١) نفس المصدر - ٢٣٠

” قال أبو تمام :

غريته العلا على كثرة الا هـ ل فأضحى في الا قريين جنيبا
فليطل عمره فلو مات في سر وتقيما بها لمات غريبا

وقال أبو الطيب :

وهكذا كنت في أهلى وفى وطنى ان النفيس غريب حيثما كانا
وبيت أبى الطيب أجود وأسلم ، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت فى المديح
فلا حاجة به اليه ، والمعنى لا يختل بفقده ، ومن مات فى بلده غريبا فهو فى
حياته أيضا غريب ، فأى فائدة فى استقبال المدح بما يتطير منه ” . (١)

البحترى :

ملك له فى كل يوم كريهة اقدام غر واعتزام مجرب
أبو تمام :
ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهم أغمار
ولسه :

كهل الاناة فى الشذاة اذا غدا للحرب كان الماجد الغطيفا
أبو الطيب :

تدبير نى حنك يفكر فى غـد وهجوم غر لا يخاف عواقبا
وقد قالوا : ان الاصل فيه قول قطرى بن الفجاءة :
ثم انشيت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الاقدام

وليس هو عندى كذلك ، لان قطريا زعم أن اقدامه اقدام قارح ، وبصيرته
بصيرة جذع ، والقارح أتم سنا من الجذع ، وهؤلاء زعموا أن اقدامهم اقدام غر ،
وتجارهم تجارب كهل محنك ، فهو ضد ذلك المعنى ، اللهم الا أن يقال قلبه
فلا يبعد ذلك عن الصواب .^(١)

وهذا ينفى السرقة من بيت قطري- الا اذا كان تخريجها على ما ذكر .
" أبو تمام :

وكانما نافست قدرك حظاً وحسدت نفسك حين ان لم تحسد
أبو الطيب :

يحدث عن قلبه مكرهاً ————— كان له منه قلباً حسوداً

ان كان فيه أخذٌ فى اللفظ ، ومثله قد يؤخذ ، فأما المعنيان فمختلفان
لان أبا تمام أراد أنك نافست قدرك ، وحسدت نفسك ، فطفقت تناهى فى شرف
الفعل ، وتزيد على كل غاية تصل اليها ، وان كنت فيها منقطع القرين فانت الشأو ،
وأبو الطيب يقول : كان قلبك يحسدك على فضائلك فهو يكره أن يستقبل بذكرها
وهذا نوع آخر من المديح وفى غير المذهب الاول ، لكنهما اجتماعاً فى حسد
النفس والقلب .^(٢)

فالجرجاني لا يرى الاخذ هنا من المعنى ، بل من اللفظ لان المعنيين
مختلفان .

(١) الوساطة ٢٥٧ - ٢٥٨ وانظر ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٣١

(٢) نفس المصدر ٣٤٩

" ذو الرمة :

رجيعة أسفار كأن زمامها شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

أبو الطيب :

تجاذب فرسان الصباح أعنة كأن على الأعناق منها أفاعيها

وفى هذا البيت معنى يخرج من اتباع البيت الاول ، لان ذا الرمة لم يزد على التشبيه وليس هو الذى قصده أبو الطيب ، وان كان قد جرى فى غرض بيته ، وانما أراد أنها لا تترك الأعنة تستقر فى أيدي فرسانها ، لما يزعجها من سورة الحرح ، وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أفاعى تدغ عناقها اذا باشرتها ، فيجاذبها الفارس فرسه وهى تجاذبه اياها . وهذا غرض آخر ومقصد لم يتعرض له ذو الرمة .^(١)

ابن المعتز :

فكرت كنصل السيف تنطو لواقحا كأن حصى الصمان من وقعها رمل

أبو الطيب :

اذا وطئت بأيديها صخورا يفئن لوطاً أرجلها رمالا

وقد أحسن غنى قوله " يفئن لوطاً أرجلها " وزاد بأن جعل للأيدي ما جعله الاول لجملة القوائم ، وللاول من الفضل أنه خص الحصى وهو أشد من الصخر وأصلب وهذا المعنى كثير مبتدل ، وانما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظاً ومعنى .^(٢)

(١) الوساطة ٣٥٩

(٢) نفس المصدر ٣٨٤

فالجرجاني بذلك يعرض الابيات التى عدّ بعضها قد سرق من بعض
 وبين وجهة نظره النقدية - وهو لا يعمل ذلك فى معالجة لقضية السرقات عموماً
 - فقد رأينا كيف يكتفى بالاشارة العابرة فقط - أو يعرض الابيات دون تعليل
 أو بيان موقف نقدي منها فى مواطن عديدة حيناً ويقف عند بعضها حيناً معللاً
 ومحللاً وكأنه بذلك بين أن هذه الابيات لا يزول اللبس عنها الا بمثل ذلك
 أو أن الجدل فيها لم ينقطع فعمد الى التوضيح والتفصيل الذى يؤدى الى
 الموقف النقدي الذى يريده حول البيت أو الابيات بصورة قاطعة .

أقسام السرقات كما عرضها الجرجاني

من خلال استعراضنا لموقف الجرجاني من السرقات يظهر لنا أن الجرجاني
 قد وضعها فى ستة أقسام رئيسية وهى :

- ١ - السرقة الممدوحة
- ٢ - السرقة المنصومة
- ٣ - التفنن فى السرقة
- ٤ - السرقة القبيحة
- ٥ - السرقة الحسنة
- ٦ - السرقة السيئة

(١) السرقة الممدوحة :

هى تلك التى يفضل الشاعر المتأخر فيها المتقدم . فينفرد بلفظة تستعذب
 أو ترتب يستحسن أو تأكيد يوضع فى موضعه أو زيادة تبهتد لها دون غيره
 فيجعل المشترك المبتدل فى صورة المبتدع المخترع - فإذا عمد الشاعر الى ذلك

وحقيقه أو حقق بعضه في بيت أخذه من شعر غيره فتلك السرقة الممدوحة التي (١)
 " لم تعد مع المعاييب ولم تحص في جطة المثالب وكان صاحبها بالتفضل أحق
 وبالممدوح والتركية أولى " (٢) وقد ساق الجرجاني أمثلة كثيرة لهذا النوع من
 السرقات الذي لا يعد عيباً ولا يؤخذ الشاعر عليه . (٣)

(٢) السرقة المذمومة :

وهي ما سماها الجرجاني " عيباً " وهي أن يأخذ الشاعر البيت فلا يسدع
 فيه ولا يحسن بل ينقل معناه وكثيراً من الفاظه ويقصر عن الاحسان . (٤)

(٣) التفنن في السرقة :

وهي - كما يراها الجرجاني - العدول بالمعنى عن نوعه وصفه وعن وزنه
 ونظمه وعن روية وقافيته - فهو كما يقول : " اذا مر بالفجى الغفل وجد هما
 أجنبيين متباعدين ، واذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة
 التي تجمعهما ، " (٥)

ويستشهد على ذلك بقول كثير :

أريد لا نسي ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

(١) انظر في ذلك الوساطة ١٨٦

(٢) الوساطة ١٨٨

(٣) نفس المصدر من ١٨٨ - ١٩٢

(٤) نفس المصدر ١٩٠-١٩١

(٥) نفس المصدر ٢٠٤

وقال أبو نواس :

ملك تصور فوالقلوب مثاله ————— فكأنه لم يخل منه مكان^(١)

يقول الجرجاني معلقا : " فلم يشك عالم أن أحدهما من الآخر ، وإن كان
الاول نسيا والثاني مديحا " .^(٢)

(٤) السرق القبيح :

ويعنى به الجرجاني اتفاق المعنى والوزن والقافية ، واستشهد على ذلك
بسرقه المتنبى بيت أبي تمام :

أبو تمام :

وما سافرت في الآفاق الا ————— ومن جدواك راحلتى وزادى

أبو الطيب :

محبك حيثما اتجهت ركبسى ————— وضيفك حيث كنت من البلاد^(٣)

(٥) السرقة الحسنة :

وقد أشار اليها الجرجاني بقوله " قد أحسن " أو " نقله وأحسن " أو " غير
المعنى فأحسن " ونحو ذلك ، وقد استشهد على ذلك بأبيات أوردها :

(١) الوساطة ٢٠٥

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ٢٤٩

.. العباس بن الاحنف :

اذا زرت شمساً تستضيء بشمسه
فقلبك مفبون وطرفك رابح
ومن هذا قول أبي الطيب ، وقد أحسن :
فانى قد وصلت الى مكان
عليه تحسد الحدق القلوب " (١)

البحتري :

يدكرنا ربا الاحبة كلما
تنفس فى جنح من الليل بارد
نقله أبو الطيب وأحسن :
اذا كان شم الروح أدنى اليكم
فلا برحتنى روضة وقبول " (٢)

البحتري :

وطيك سرا لو تكلف طيحه
دجى الليل عنا لم تسعه ضمائه
فنقله أبو الطيب ، وغير معناه فقال وأحسن ما شاء :
وكننت اذا يمت أرضاً بعييدة
سريت فكنت السر والليل كاتمه " (٣)

(٦) السرقة السيئة :

ومن السرقات ما يطلق عليه الجرجاني " السرقة السيئة " مستعملاً لفظية
" أساء أو أساء غاية الاساءة . وقد ذكر أمثلة من السرقة السيئة منها :

-
- (١) الوساطة ٢٥٦
(٢) نفس المصدر ٢٧٠
(٣) نفس المصدر ٣٩٩

الراعى :

رَجَاؤُكَ أَنَسَانِي تَذَكَّرَ اخَوْتِي وَمَالِكَ أَنَسَانِي بَوَهْبَيْنَ مَالِيَا

البحترى :

ومثل نداك أذهلنى حبيبى واكسبنى سلوا عن بلادى

أبو الطيب - وأساء غاية الاساءة :

أَمْسَى السَّكُونُ وَحَضَرَ مَوْتًا ووالدتي وكندة والسَّبعاء^(١)

" أبو تمام :

أغار من القميص اذا علاه مخافة أن يلامسه القميص

الخُبْرُ آرزى :

من لطف اشفاقي ودقة غيرتى أنى أغار عليك من ملكيك

ولو استطعت جرحتك لفظك غيرة أنى أراه مقبلا شفتيك

أبو الطيب :

أغار من الزجاجة وهى تجرى على شفة الامير أبى الحسين

فأساء ، لان هذه الفيرة انما تكون بين المحب ومحبيه ، فأما الأمراء والملوك فلا يغار على شفاهما .^(٢)

" أبو تمام :

تجاوز غايات العقول رغائب تكاد بها لولا العيان يكذب

(١) الوساطة ٢٦٩

(٢) نفس المصدر ٣٠٨

البحتري :

وحديثٌ مجدٌّ عنك أفرط حسنه
وأصله قول بعض العرب :

أحدثٌ من لا قيت يوما بهـ
أبو الطيب :

كرما فلو حدثته عن نفسيـ
يعظيم ما صنعت لظنك كاذبا
فأساء ، لانه جعله يستعظم فعله .^(١)

مصطلحات لغوية في موضوع السرقات

استعمل الجرجاني مصطلحات وصف بها السرقات دون أن يبين المقصود منها وكان هذه المصطلحات معروفة في عصره .

الفصب :

يبدو أن الجرجاني يقصد به ما أخذه الشاعر بالقوة من غيره واختص بهـ
دونه ومنعه من أن ينسبه الى نفسه أو يبين أنه قائله - ويكون ذلك اذا كان
السارق ممن يخشى جانبه . ومنه :

" فعل التزندق ان سمع جميلا ينشد :

تري الناس ما سرنا يسرون خلقنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
فقال : أنا أحق بهذا البيت ، فأخذه غصبا .^(٢)

(١) الوساطة ٣٣٣

(٢) نفس المصدر ١٩٣

ولعل جميلا خشى من لسان الفرزدق وهجوه . وكانت الشعراء ذلك العصر
تخشى الفرزدق وجريرا .

ويعتبره الجرجاني من السرقة الواضح وهو ما أشار اليه في موضع آخر
بالسرقة القبيح .^(١)

الاحتذاء :

ومثاله عند الجرجاني :

" البحتري :

وإذا ما تنكرت لي بـ_____ أو صديق فأننى بالخيار

وقال أبو الطيب واحتذى مثال البحتري وأجاد ، وللبحتري الفضل :

إذا صديق نكرت جانبـه لم تعينى فى فراقه الحيل
فى سمة الخافقين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل .^(٢)
وقد عده الآمدى من السرقة الممدوحة حيث قال (فأجاد) .

الالمام :

ومثاله عند الجرجاني :

قتلت نفوس العدا بالحديد د حتى قتلت بهن الحديد

وكانه ألم فى استعارة القتل للحديد بقول أبي تمام :

(١) الوساطة ٢٤٩

(٢) نفس المصدر ٣٠١ - ٣٠٢ وقد جمع الجرجاني بين الاحتذاء وقلب
المعنى فى مثال واحد انظر الوساطة ٤٠٩ .

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر^(١)
مسلم :

لو كان عندك ميثاق يخلد لنا الى المشيب انتظرنا سلوة الكبر
ألم به أبو الطيب فقال :
ولو كنت أدرى كم حياتي قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم^(٢)
ولعل الجرجاني يعنى بالالمام سرقة جزء من المعنى الذى سبق اليه .

الاقتداء :

ومثاله عند الجرجاني : قول المتنبي :

القاتل السيف فى جسم القتل به وللسيوف كما للناس آجال
ثم أعاد وزاد تشبيها فقال :
ومنعفر لنصل السيف فيه توارى الغضب خاف من احتراس
وكانه اقتدى فى ترك السيف فى جسم القتل بقول الحصين بن الحمام :
نطاردهم نستنفذ الجرد كالقنا ويستنفذون السهمى المقوما^(٣)

القلب :

ومثاله عند الجرجاني :

(١) الوساطة ٣٢٧

(٢) نفس المصدر ٣٨٠

(٣) نفس المصدر ٣٢٨

قال :

ولولا أيادي الدهر في الجمع بيننا غفلنا فلم نشعر له بذنوب
وهذا قلب بيت أبي تمام الاول :
ما ان ترى شيئا لشيء محييا حتى تلاقيه لا خرقا تـ
أبو الطيب :

بذا قضت الايام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد (١)

نقل المعنى :

" البحتري :

وما أنا الا عبد نعمتك التي نسبت اليها دن رهطى ومعشرى
نقله أبو الطيب فقال :
دُعيتُ بتقريظك في كل مجلس وظن الذي يدعو ثنائى عليك اسى (٢)

التقصير :

" لبيد :

مقرُّ مرٍّ على أعدائِهِ وعلى الادين حلو كالعسل
قال أبو الطيب :
أنت طورا أمرٌ من ناقع السـ م وطورا أحلى من السلسال

(١) الوساطة ٢٧٨ وانظر مثالا في قلب المعنى ٤٠٩ .

(٢) نفس المصدر ٣٨٥ وانظر مثالا في نقل المعنى ص ٣٩٩ و ص ٣٦٠

وهو بيت لبيد لفظا ومعنى ، وقد قَصَّر عنه ، لان لبيدا فصل الحالين بين الاعداء
والأدنين . (١)

التبريد :

”عمران بن حطان :

أنكرت بعدك من قد كنت ألفة ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
قال أبو الطيب :

ومن اعتاض عنك اذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كـ
وله في أخرى :

انما الناس حيث أنت وما لنا س بناس في موضع منك خال
فتبرّد وبالغ . (٢)

التصريح :

ذكر الجرجاني قول بشار :

وكن جوارى الحى ما دمت فيهم قباحا فلما غبت صرن ملاحا
وقال أبو الطيب :

ونذمهم وبهم عرفنا فضلهم وبضدّها تتبين الاشياء

فصرح بالمعنى ، وبين أن المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه . (٣)

(١) الوساطة ٣٠٠ - ٣٠١

(٢) نفس المصدر ٢٣٦

(٣) نفس المصدر ٢٧٨

الملاحظة :

ومن أمثله عند الجرجاني :

" قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل به وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

وقد لاحظ في هذا قول الخليل :

وجدت ألد العيش فيما بلوته ترقب مشتاق زيارة شائق

لأنه أيضاً يرجو ويتقى ويخاف ويأمل . وقد أكثر الناس فيه على المعين معاً . (١)

التناسب :

وقد ذكره الجرجاني دون تعريف واكتفى بالاشارة الى تناسب قول لبيد

وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وقول الافوه الا ودي :

انما نعمة قوم متعة ————— وحياة المرء ثوب مستعمار (٢)

وذكر التناسب بين عدة أبيات ، وبين علاقة التناسب بصريح المعاني بصرف النظر

عن اختلاف المعارض والأمثلة (٣)

اعتساف اللفظ :

" وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيد ين أطيب الطيب طيباً ان تمسيه ، أين مثلك أيننا

(١) الوساطة ٣٩٤ وهناك أمثلة شتى .

(٢) نفس المصدر ٢٠١ وانظر ٢٠٣

(٣) نفس المصدر ٢٠٣

أبو الطيب ، وتعسف اللفظ :

الطيب أنت اذا أصابك طيبه والماء أنت اذا اغتسلت الفاسل

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه اذا أصابك ، والماء أنت الفاسل له
اذا اغتسلت به . (١)

ولم يشر الجرجاني الى مدلول هذه الاصطلاحات . الا أنه اعتبر فهمها وتمييزها شرطا أساسيا يتحقق في الناقد لقبول حكمه . ولعل هذه الاصطلاحات كانت تعطى مدلولاً واضحاً لاهل عصره . فلم تكن فيه حاجة في التوضيح والبيان لان ذلك ظاهر مألوف : يقول :

" ولست تعد من جهابذة الكلام ، ونقاد الشعر ، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علماً برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرقة والغصب ، وبين الاغارة والاختلاس ، وتعرف اللام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به ، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه ، وأحياء السابق فاقتطعه ، فصار المعتدى مختلساً سارقاً ، والمشارك له محتدياً تابعاً ، وتعرف اللفظ الذي يجوز أن يقال فيه : أخذ ونقل ، والكلمة التي يصح أن يقال فيها : هي لفلان دون فلان . " (٢)

ومعنى ذلك أن هذه المصطلحات تعطى مدلولاً معيناً عن القاضي الجرجاني .
يطلب معه أنه يجب على الناقد فهمه والادراك به .

(١) الوساطة ٣٩٠

(٢) نفس المصدر ١٨٣

واذا نظرنا في ظاهر بعض هذه المصطلحات فاننا نجدها تعطينا مدلولاً محدوداً قد يدركه الشخص بالبدئية ، فالغضب ، والاحتذاء ، والالمام والاعتداء وقلب المعنى ، ونقل المعنى ، والتقصير ، والاعارة ، والملاحظة كل هذه المصطلحات قد تعطينا مفهوماً محدوداً اذا نظرنا الى معانيها من حيث اللفظ ومدلوله .

فالغضب : هو الأخذ بقوة والانتزاع ، وهذا المعنى ظاهر من تمثيل الجرجاني نفسه .

والاحتذاء والاعتداء : معناهما الاتباع والتأثر .

وقلب المعنى : عكسه .

ونقل المعنى : تحويله من غرض الى آخر .

والتقصير : يعطى مدلولاً نصل معه الى أن الشاعر لم يستطع الوصول الى درجة سابقة في الاجادة .

والاعارة : تعطى مدلولاً نصل معه الى اعجاب الشاعر بالمعنى اعجاباً قوياً ثم أخذه بناءً على ذلك .

ويبدو أن الجرجاني عند عرضه لهذه المصطلحات لا يعنى دائماً ما يتعلق بمعناها المرتبط باللفظ - ولكنه يعنى مدلولاً نقدياً معيناً .

الاقتباس والاخذ من غير الشعر

عرض الجرجاني أمثلة من الشعر ، وبين أنها أخذت أصلا من معاني
القرآن الكريم - وهى ما يسميه " بالاقتباس " .
" البحتري :

إذا ساركف اللحظ عن كل منظر سواء وغض الطرف عن كل مسمع
فلست ترى إلا أفاضة شاخص إليه بعين أو مشير باصبع
أبو الطيب :

بمن تشخص الابصار يوم ركوبه ويخرق من زحم على الرجل البرد
وتلقى وما تدرى البنان سلاحيها لكثرة ايماء إليه اذا ييسد و
فأكد المعنى وزاد فيه ، كأنه اقتبس معنى البيت الثانى من قوله تعالى
" فلما رأيته أكبره " . (١)

البحتري :

نصد حياء أن نراك بأعين أتى الذنب عاصيها فليم مطيعها
أبو الطيب :

وجرم جره سفهاء قــــــــوم وحل بغير جارمه العنذاب
كأنما اقتبسه من قوله تعالى : " أتهلكنا بما فعل السفهاء منا " . (٢)

ومن قول السيد :

(١) الوساطة ٢٥٢-٢٥٣

(٢) نفس المصدر ٢٨٤

قد ضيع الله ما جمعت من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر
 قال أبو الحسن : وهذا البيت يروى للمخيم الراسبي : قال : والجماعة
 اعتمدت فيه على قول الله عز وجل : " انهم الا كالا نعام بل هم أضل " . (١)

" وكما يكون الاخذ من القرآن الكريم يكون من الحديث الشريف :
 " ذو الاصبح :

أطاف بنا ريب الزمان فداسنا له طائف بالصالحين بصير
 البحتري :

ألم تر للنواكب كيف تسمو الى أهل النوافل والفضول
 أبو الطيب :

" أفاضل الناس أغراخى لذا الزمن "

ومثل هذا قوله :

أعيذكم من صروف دهركم فانه في الكرام متهم
 ومن هذا المعنى قول أبي تمام :

ان يتحل حد ثان الدهر أنفسكم ويسلم الناس بين الحوض والعطن
 فالما ليس عجيبا أن أطييهه يغنى ويمتد عمر الاجن الاسن

وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : " أعظم الناس بلاء
 الا مثل فالامثل " . (٢)

(١) الوساطة ٣٤٧

(٢) نفس المصدر ٣٥٤ - ٣٥٥

وقد يكون الاخذ من أقوال الحكماء :
 وحكى عن بعض الحكماء أنه سئل عن أسوأ الناس حالا فقال : من قويت
 شهوته وبعدت همته ، واتسعت معرفته ، وضافت مقدرته .

أبو الطيب :

وأتعب خلق الله من زاد هممه وقصر عما تشتهي النفس وجده^(١)

ونقل قول الشاعر :

فلا ينحلل في المجد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقده
 ودبره تدبير الذي المجد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
 فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وحكى الجاحظ عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حمدا
 ومجدا ، فانه لا حمد الا بفعال ، ولا مجد الا بمال .^(٢)

رؤبة :

قد رفع العجاج باسمي فادعني باسمي اذا انساب طالت يكفني
 وانما أخذه من قول النسابة البكري لما أتاه فقال له : من أنت ؟ فقال :
 رؤبة ابن العجاج . قال : قصرت وعرفت .^(٣)

(١) الوساطة ٣٨٧

(٢) نفس المصدر ٣٨٧

(٣) نفس المصدر ٣٩٦

وهكذا عرض الجرجاني نماذج بين فيها أن أخذ المعنى في السرقات لا يقتصر على أخذه من الشعر وإنما قد يكون اقتباسا من القرآن الكريم أو أخذاً من معنى الأحاديث أو أقوال الحكماء - أو أقوال العامة .^(١)

وإذا كان الجرجاني قد عرض السرقات على الشكل الذي مر بنا فإنه أكد أن السرقات عيب قديم وأن الشعراء إلى عصره يستمعون بخواطير بعضهم بعضا . فإنه قد بين فضل المحدثين بلاشك في انتهاجهم طرقا جديدة في السرقات يقول : " ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب ، وتغيير المنهاج والترتيب ، وتكلفوا جبر مافيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال ، والتصریح في أخرى ، والاكتجاج والتعليل ، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله . " ^(٢)

وهكذا يضع الجرجاني السرقات بين أيدينا وقد عالجه من جميع الجوانب وبين آرائه فيها وفتح عهدا جديدا لمن بعده في دراسة هذه القضية التي اهتم بها النقاد العرب منذ ظهورها .

(١) وانظر في ذلك مثلا الوساطة ٣٤٧ فإن الشاعر قد يأخذ معنى من قول العامة

كقولهم " فلان بهيمة وحمار " .

(٢) الوساطة ٢١٤ .

الفصل الخامس

القديم والجديد

تعرض الجرجاني الى قضية القديم والجديد بين القضايا النقدية التي درسها في الوساطة .

وعلى الرغم من أن دور القاضي الجرجاني في الوساطة كان منصبا على الحكم على المتنبى ، وعرض آراء خصومه فيه وآراء النقاد واعطاء حكمه النقدي - الا أنه قد أشار الى بعض القضايا التي عرضت له - ومنها القديم والجديد .

ولقد كان للقاضي الجرجاني آراء في هذه القضية تتسم بطابع يختلف عما سبقه اليه النقاد ولسه فيها آراء نقدية أحسبه خالف فيها بعض النقاد .

وقد عرض الجرجاني آراء النقاد القداسي في هذه القضية ليدلل على مواقفهم وليجعل ذلك شاهدا في بعض المواضع لنصرة ما يراه أو يستحسنه .

فالجرجاني يرى أن أكثر حفاظ اللغة وجلة الرواة " يلهج بعيب المتأخرين فان أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجده ويعجب منه ويختاره فان انسب الى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله ورأى تلك الفضاضة أهون محملا وأقل مرارة من تسليم فضيلة لمحدث والاقرار بالاحسان لمولد " (١)

ثم ينقل بعض آراء المتقدمين :

" حكى عن اسحاق الموصلي أنه قال : أنشدت الاصمعي :

هل الى نظرة اليك سبيل فيل الصدى ويشقى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل
فقال :

والله هذا الدياج خسرواني لمن تنشدني ؟ فقلت : انهما ليلتهما
فقال : لا جرم والله ان أثر التكلف فيهما ظاهر .

وعن ابن الاعرابي في أبيات أبي تمام في الروض نحو من هذا . وله نظائر
مشهورة تحكى عن الأصمعي ومن بعده . وقد بعدت بهم العصبية في ذلك السى
تناول بعض المتقدمين .^(١)

ويذكر الجرجاني : من أسباب إهمال النقاد القدامى للشعر المحدث
سهولة ألفاظه . فيقول " زعم الأصمعي أن العرب لا تروى شعر أبي دؤاد ،
وعدي بن زيد لان ألفاظهما ليست نجدية . " ^(٢) ولا يؤيد الجرجاني هذا
الرأى ولكنه يستنكره مبينا أن العرب روت شعريهما وفضلته على غيره . يقول :
" وكيف يكون ذلك ، وهذا معاوية يفضل عديا على جماعة الشعراء ، وهذا
الخطيئة يسأل من أشعر الناس ؟ فيقول الذي يقول . وأنشد لابي دؤاد :

لا أعد الا قتار عدا ولكن فقد من قد رزته الاعدا م
من رجال من الاقارب ماتوا من حذاق هم الرؤس الكرام
فيهم للملايين أنسا وعرام اذا يراد عرام^(٣)

(١) الوساطة ٥٠ - ٥١

(٢) نفس المصدر ٥١

(٣) نفس المصدر والصفحة

كما يرى أن العصبية من أسباب اَهْمال القدامى الشعر المحدث الـتى
قد يخلعها المتعصب اذا رأى في الشعر ما يدعوه الى الاعجاب المفرط فيرجع
عن قوله السابق - ويأمر بحفظه وتدوينه . يقول الجرجاني :

" ولقد يتفق لا حد هؤلاء غلبة الانصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت ،
فيخلع رداء العصبية ويصفى ويميز فيرجع . حدثني جماعة من أصحاب أبي برياش
القيسي ، ولا نعرف في زماننا راوية تقدمه ، وكان معروفًا بالتحامل على هؤلاء ،
والغض من أبي تمام والبحترى خاصة ، حتى أن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة
في وقته ، لقلّة الرغبة فيهما ، أنه أنشد ذات يوم قول البحترى :

نظرت الى طدان فقلت ليلسى	هناك وأين ليلى من طدان ؟
ودون مزارها ايجاف شهر	وسبع للمطايا أو ثمان
ولما غربت أعراف سلمسى	لهن وشرقت فتن القنسان
تصويت البلاد بنا اليكم	وعنى بالاياب الحاديان

فقال : أحسن والله . من هذا البدوى المطبوع ؟ فقيل : انها للوليد
ابن عبيد ، فقال : أعد ، فأعيدت ، فرجع عن رأيه فيه ، وحض الناس على روايته شعره^(١)

وقد بين الجرجاني أن من أنصار القديم من " يعم بالنقص كل محدث ،
ولا يرى الشعر الا القديم الجاهلى وما سلك به ذلك المنهج ، وأجرى على تلك
الطريقة ، ويزعم أن ساقه الشعراء رؤىة ، وابن هرمة ، وابن ميادة ، والحكمم
الخضرى ، فاذا انتهى الى من بعدهم - كبشار وأبى نواس وطبقتهم - سمى شعرهم

ملحاً وطرفاً ، واستحسن منه البيت استحسان النادرة ، واجراه مجرى الفكاهة ،
فإننا نزلت به الى أبي تمام وأضربه نفض يده ، وأقسم واجتهد أن القوم لــــم
يقرضوا بيتاً قط ، ولم يقعوا من الشعر الا بالبعد .^(١)

يحدد الجرجاني موقفه من القديم والحديث بالاعتدال ليعطي كل ذي حق
حقه . يقول :

" وليس يجب اذا رأيتني أمدح محدثاً أو أنكر محاسن حضري أن تظن بــــي
الانحراف عن متقدم ، أو تنسبني الى النقص من بدوى ، بل يجب أن تنظر مغزى
فيه ، وأن تكشف عن مقصدي منه ، ثم تحكم على حكم المنصف المثبت ، وتقضى قضاء
المقسط المتوقف .^(٢)

ويرى الجرجاني أن المفاضلة يجب أن لا تكون للقديم لقدمه ولكنها تخضع
لتوافر أمور في الشعر قد يما كان أو حديثاً فتكون مصدر الحكم له أو عليه . يقول :

" أنا أقول - أيدك الله - ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع
والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن
اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته
من الاحسان ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلــــى
والمخضرم ، والاعرابي والمولد . . .^(٣)

(١) الوساطة ٤٩

(٢) نفس المصدر ١٥

(٣) نفس المصدر والصفحة

وعلى الرغم من موقفه الصريح هذا من القديم والجديد فهو يضع لتفضيل المحدث أسسا . فيقول :

" الا أننى أرى حاجة المحدث الى الرواية أس ، وأجده الى كثرة الحفظ أفقر " ^(١) معللا لذلك بقوله : " فاذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت . . سببها والعللة فيها أن المطبوع الذكى لا يمكنه تناول ألفاظ العرب الا رواية ولا طريق للرواية الا السمع ، وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض ، كما قيل : ان زهيراً كان رواية أس ، وان الحطيثة رواية زهير ، وان أبا نؤيب رواية ساعدة بن جويرية ^(٢) ، فبلغ هؤلاء فى الشعر حيث تراهم . " ^(٣)

يرى الجرجاني أن الشعر القديم فيني مجموعته أقوى وأمتن وأجزل وأفخم وأن عامة الشعر القديم قد امتاز بذلك . يقول : ^(٤)

" فان قلت : فما بال هذا النمط والطريقة ، وهذه المنقبة والفضيلة ينفرد بها الواحد فى العصر وهو مشحون بالشعر ، وكان فيما مضى يشتمل الدهماء ويعم الكافة ؟ قلت لك : كانت العرب ومن تبعها من السلف تجرى على عادة فى تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره ، ولا أنسها سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب ، ويفرد بزيادة عناية ، فاذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف اليها العمل والصناعة خرج كما تراه فخما جزلا قويا متينا . " ^(٥)

-
- (١) الوساطة ١٥ - ١٦
 (٢) هكذا ورد وصحته (جوية) انظر المؤلف والمختلف ١١٣ ، وشرح أشعار الهذليين ١٠٩٥ - ١١٨٥ .
 (٣) الوساطة ١٦ - ١٧
 (٤) نفس المصدر ١٧
 (٥) نفس المصدر والصفحة

وبالرغم من أن الجرجاني قد ألمح الى أن متانة القديم تصعب على المتأخرين أن يأتوا بمثلها فهو يقرر أن من المتأخرين من يصل في صياغة الشعر الى مراتب المتقدمين على الرغم من حداثة عصره وتأخر زمانه - وقد ضرب لذلك مثلاً لشعر الرواة المنتحلين أمثال حماد وخلف وابن دأب واضرابهم وكيف اختفى شعرهم واندمج في شعر المتقدمين ، وصعب على النقاد والعلماء تمييزه وتمحيصه وعلى أهل العناية اقراره وتفسيره " .^(١) وهذا يعني أن بعض المتأخرين الذين حفظوا اشعار القدامى ومرتوا في الشعر قد استطاعوا أن يأتوا بشعر يصل الى درجة الشعر القديم - أن مرد ذلك عنايتهم بالشعر وانقطاعهم لــــه وحفظهم دواوين الاقدمين وطريقتهم في بناء القصائد ، ولا علاقة لذلك بالزمان المتأخر ، فالقاعدة التي وضعها الجرجاني هنا تدل على أن متانة القديم لا تصل اليها متانة الجديد وأن الدخيل فيه ينكشف حيث يرى أن المتأخر لو " حاول أن يقول قصيدة ، أو يقرض بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير ، فسي فخامته وقوة أسره ، وصلابة معجمه لوجده أبعد من العيوق متناولا ، وأصعب من الكبريت الأحمر مطلباً " .^(٢)

ويرى الجرجاني أن ما قلل قيمة الشعر الحديث ومنع الاحتجاج به فساد اللسان واختلاط اللغة . يقول بعد أن ذكر بعض المحدثين الذين أجادوا :
 " . . . وهؤلاء محدثون حضريون وفي العصر الذي فسد فيه اللسان واختلطت اللغة وحظر الاحتجاج بالشعر وانقضى من جملة الرواة ساقية الشعراء " .^(٣)

(١) الوساطة ١٦-١٧

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ١٧

وبين الجرجاني أن التكلف ميزة الشعر الحديث ، وإن ذلك كان سبباً
 في عدم الارتياح له ، وأن الصنعة والتعقيد واللوان البديع المختلفة لا تسمى
 بالشعر الحديث كما تسمى الجودة وشرف المعنى وصحته وجزالة اللفاظ واستقامتها
 - بالشعر المتقدم . يقول في ذلك :
 " وقد تغزل أبو تمام فقال :

دعنى وشرب الهوى يا شارب الكاس	فاننى للذى حسيته حاسسى
لا يوحشك ما استعجمت من سقى	فان منزله من أحسن الناس
مق قطع الفاظه توصيل مهلكتى	ووصل الحاظه تقطيع أنفاسى
متى أعيش بتأميل الرجاء اذا	ما كان قطع رجائى فى يدى ياسى

فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة ، طابق وجانس ، واستعار
 فأحسن وهى معدودة فى المختار من غزله . وحقق لها ، فقد جمعت على قصرها
 فنونا من الحسن ، وأصنافا من البديع ، ثم فيها من الاحكام والمثانة والقسوة
 ما تراه ، ولكننى ما أظنك تجد له من سورة الطرب ، وارتياح النفس ما تجسده
 لقول بعض الاعراب :

أقول لصاحبى والعيس تهوى	بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجـد	فما بعد العشية من عـرار
الا يا هبذا نفحات نجـد	وريا روضه غب القطـار
وعيشك ان يحل القوم نجـدا	وأنت على زمانك غـير زار
شهور ينقضين وما شعرنا	بأنصاف لهن ولا سـرار
فأما ليلهن فخير ليـل	واقصر ما يكون من النهـار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الالفاظ ، سهل المأخذ ، قريب التناول ^(١) .

ويرى الجرجاني أن العرب تفاضل بين الشعراء بمقاييس نقدية هي :
 " الحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق
 فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، ويده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله
 وشوارد أبياته ، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة
 اذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض ^(٢) " .

وقد أشار الجرجاني الى أن الاكثار من البديع في شعر المحدثين راجع
 أصلاً الى وجوده في شعر الاقدمين ، واعجاب المحدثين به دفعهم الى الاكثار
 منه والتوغل فيه . يقول :

" وقد كان يقع ذلك في خلال قصائد ها ، ويتفق لها في البيت بعد البيت
 على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر الى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات
 من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ ، تكلفوا الاحتذاء
 عليها فسموه البديع ، فمن محسن ومسيء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط ^(٣) " .

وبين الجرجاني أن من العوامل التي ترفع الشعر وتعظم مكانته " الطبع
 والذكاء " - ان لاحظ أن الشاعر اذا كان ذا طبع وذكاء وفطنة رقى بشعره - واذا
 كان العكس تأثر شعره بذلك ، لانه يرى " أن الشعر علم العرب يشترك فيه الطبع
 والرواية والذكاء ثم تكون الدراسة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فممن

(١) الوساطة ٣٢ - ٣٣

(٢) نفس المصدر ٣٣ - ٣٤

(٣) نفس المصدر ٣٤

اجتمعت له الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من
الاحسان .^(١)

ويرى الجرجاني أنه لا علاقة لذلك بكونه قديماً أو جديداً . . . وأن الفضل
فى التفوق يرجع لعامل الطبع والذكاء . يقول :

” فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع
الذكى لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ، ولا طريق للرواية إلا السمع
وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية
شعر بعض ، كما قيل : ان زهيراً كان راوياً فأس ، وان الحطيئة راوية زهير ،
وان أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية^(٢) ، فبلغ هؤلاء فى الشعر حيث تراهم ، وكان
عبيد راوية الاعشى ولم تسمع له كلمة تامة ، كما لم يسمع لحسين راوية جريس ،
ومحمد بن سهل راوية الكميت ، والسائب راوية كثير ، غير أنها كانت بالطبع أشد
ثقة واليه أكثر استئناساً ، وأنت تعلم أن العرب مشتركة فى اللغة واللسان
وأنها سواء فى المنطق والعبارة ، وانما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة .
ثم تجد الرجل منها شاعراً مقلداً ، وابن عمه وجار جنبه ولصيق طنبه بكيثاً مفعماً
وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب ، فهل ذلك
إلا من جهة الطبع والذكاء وحدّة القرينة والفطنة .^(٣)

(١) الوساطة ١٥

(٢) هكذا ورد فى الوساطة - والصواب (ساعدة بن جؤبة) وهو من شعراء

هذيل - انظر شرح اشعار الهذليين ١٠٩٥-١١٨٥ والمؤلف والمختلف ١١٣

(٣) الوساطة ١٥ - ١٦

ويرى الجرجاني أن لا دخل لذلك بالصورة القديم فيها والحديث. يقول :
 " وهذه أمور عامة في جنس الشعر لا تخصيص لها بالأعصار ولا يتصف بها دهر
 دون دهر . " (١)

وللجرجاني موقف منصف من الشعر الحديث ، يختلف عن مواقف النقاد
 المتقدمين . فهو لا يهضم حق الجديد من الشعر الحديث ، ويرى أن الغضاضة
 من شأنه تحامل في النقد وان الانصاف يجب أن يكون قائما على أساس درجة
 الاحسان بصرف النظر عن تأخر الزمان والاخذ من المتقدمين وأن ما قاله
 المحدث سبق اليه . وهو يرى أن المتقدمين لم يتركوا للمتأخرين شيئا لكثرة
 ما طرّقوا وان احسان المتأخر يظهر فيما يضيفه على السلوب من محسنات يسبق
 اليها أو يبرع فيها . (٢)

— — —

(١) الوساطة ١٦

(٢) انظر ما يدل على ذلك من ٤٩ - ٥٤

الفصل السادس

فضايات نقدية أخرى

عرض الجرجاني في كتاب الوساطة قضايا مهمة تتعلق بالشعر ونقده
 اضافة الى تلك القضايا الرئيسية التي عرضناها في الفصول السابقة ، وتتخص
 تلك القضايا في الآتى :

مفهوم الشعر وما يؤثر فيه

يرى الجرجاني " أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية
 والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ^(١) وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت
 له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ^(٢) .

والجرجاني لا يرى خلافا في ذلك بين الشعراء في مختلف عصورهم
 وبيئاتهم فهو لا يفضل في هذه القضية " بين القديم والمحدث والجاهلي
 والمخضرم والأعرابي والمولد " ^(٣) ولكنه " يرى حاجة المحدث الى الرواية أمس
 ويجده الى كثرة الحفظ أفقر " ^(٤) - وفيما عدا ذلك فالشعر علم يشترك فيه
 الطبع والرواية والذكاء والدربة ، فمتى توفرت فيه تلك الامور الأربعة أصبح
 الشعر يختلف عن أى علم آخر .

ويرى الجرجاني أن أهم ما يؤثر في الشعر هو :

- ١ - اختلاف الطبائع .
- ٢ - البيئة .

(١) يبرز ذلك عند النقاد القدامى فقد رأى ابن سلام هذا الرأي في كتابه
 طبقات فحول الشعراء

(٢) الوساطة ١٥

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) نفس المصدر ١٥-١٦

- ٣ - فساد العقيدة .
- ٤ - التكلف في الشعر .
- ٥ - كون الشاعر راوية أشعار .

١- اختلاف الطبائع:

يرى الجرجاني أن للطبائع دورا مهما في الشعر فأنت تجد الشعراء يختلفون في ذلك " وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ومائة الكلام بقدر مائة الخلقة " . (١)

ويضرب لذلك مثلا لموسا بقوله : " وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجاني الجلف منهم كز الألفاظ معقد الكلام وعسر الخطاب حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته وفي جرسه ولهجته " . (٢)

وبين أن اختلاف الطبائع يأتي من طريقة حياة الشاعر ، فالبدواة مثلا تحدث بعض الجاني الجلف ، والحضارة تؤثر السلاسة والعشق يؤثر الرقة وهكذا . (٣)

(١) الوساطة ١٧ - ١٨

(٢) نفس المصدر ١٧

(٣) انظر ما يدل على ذلك في الوساطة ١٨

٢- أثر البيئة في الشعر :

يرى أن بيئة الشاعر ذات أثر هام في شاعريته ، فالحضارة ذات أثر في
 لبن الشعر " ولذلك تجد شعر عدى - وهو جاهلي - أسلس من شعر الفرزدق
 ورجز رؤبة وهما آهلان ، لملازمة عدى الحاضرة وإيطائه الريف ومعه عن جلالة
 البدو وجفاء الأعراب " (١)

" فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر
 ونزعت البوادي الى القرى وفشا التأديب والتظرف اختار الناس من الكلام
 ألينه وأسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا ،
 وألطفها من القلب موقعا ، والى ما للعرب فيه لغات فاقصروا على أسلسها وأشرفها
 كما رأيتم يختصرون ألفاظ الطويل ، فانهم وجدوا للعرب فيه نحو من ستين
 لفظة ، أكثرها بشع شنع . . . فنهبوا جميع ذلك وتركوه ، واكتفوا بالطويل
 لخفته على اللسان . . . وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض
 اللحن ، وحتى خالطتهم الركافة والمعجمة ، وأعانتهم على ذلك لبن الحضارة
 وسهولة طباع الاخلاق ، فانتقلت العادة ، وتغير الرسم ، وانتسخت هذه
 السنة ، واحتدوا بشعرهم هذا المثال ، وترققوا ما أمكن وكسوا معانيهم ألطف
 ما سنع من الالفاظ ، فصارت اذا قيس ذلك الكلام الاول يتبين فيها اللين ،
 فيظن ضعفا . . . " (٢)

(١) الوساطة ١٨

(٢) نفس المصدر ١٩

وبين أن الحضارة أثرت في الشعر باللين حتى مقلته النقاد المتقدمون يقول : " زعم الأصمعي أن العرب لا تروى شعر أبي دؤاد وعدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية " (١)

وبين أن البداوة تؤثر في الشعر فيكون " كز الالفاظ معقد الكلام وعسر الخطاب . . ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك " (٢).

٣- فساد العقيدة :

وبين أثر فساد العقيدة في الشعر ، وأن بعض النقاد يعتبره عيبا - ولكن الجرجاني يخالف أولئك النقاد ويعجب منهم . يقول " والعجب ممن ينقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله :

يترشفن من فمى رشقات هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله :

وأبهر آيات التهامى أنه أبوكم واحدى مالكم من مناقب" (٣)

ثم يذكر أبياتا لأبي نواس في فساد العقيدة (٤) وهى أبيات غاية فى ذللك الفساد ، ولا يرى فيها عيبا يمس بشاعريته من الناحية الفنية - صارفا النظر والاهتمام عن الناحية الدينية - يقول :

(١) الوساطة ٥١

(٢) نفس المصدر ١٨

(٣) نفس المصدر ٦٣

(٤) نفس المصدر والصفحة

"فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ولكن أولا هم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الامة عليه بالكفر ، ولو جـب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا ، ويكافهمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر ."^(١)

٤- التكلف في الشعر :

كما وضح أثر التكلف في الشعر قائلا : " . . . ومع التكلف المقت وللنفس عن التصنع نفرة وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق وأخلاق الدنيا^١ وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن كالذى نجده كثيرا في شعر أبي تمام ."^(٢)

ويرى أن التكلف قد يأتي من تقليد المحدثين للأقدمين ويؤدي ذلك الى توعير اللفظ والنفور عن الشعر . يقول عن أبي تمام : " فانه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالاول في كثير من ألفاظه ، فحصل منه على توعير اللفظ ، فقبح في غير موضع من شعره ، فقال :

فكأنما هي في السماء جنادل وكأنما هي في القلوب كواكب

فتعسف ما أمكن ، وتغلغل في التصعب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى أغاف اليه طلب البديع ، فتحمله من كل وجه ، وتوصل اليه بكل سبب ، ولم

(١) الوساطة ٦٤

(٢) نفس المصدر ١٩

يروض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الفامضة ، وقصد الاغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقیل ، وأرصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هـذا الجنس من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر ، وكد خاطر ، والحمل على القريحة ، فان ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة ، وحين حسره الاعياء ، وأوهن قوته الكلال . وتلك حال لا تهش فيها النفس للا ستماع بحسن ، أو الالتذان بمستظرف ، وهذه جريرة التكلف .^(١)

هـ- كون الشاعر راوية أشعار:

وقد بين دور الرواية وأثرها في الشعر وذلك اذا كان الشاعر راوية — لا شعار أصلا — حيث يعلوا الى أرقى المراتب في الشعر — ويؤكد الجرجاني بهذه الحقيقة دور ثقافة الشاعر من الالفاظ والافكار في شعره . يقول " . . . الا أننى أرى حاجة المحدث الى الرواية أسوأجده الى كثرة الحفظ أفقر فاذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعللة فيها أن المطبوع النكسى لا يمكنه تناول الفاظ العرب الا رواية ولا طريق للرواية الا السمع وملاك الرواية الحفظ وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض كما قيل ان زهيراً كان رواية أوس ، وان الحطيئة رواية زهير ، وان أبانؤيب رواية ساعدة بن جويرية فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم . " ^(٢)

(١) الوساطة ١٩

(٢) نفس المصدر ١٦ - ومساعدة بن جويرية ورد في الوساطة هكذا ، والصواب

ساعدة بن جؤية (انظر شرح أشعار الهذليين ص ١٠٩٥ - ١١٨٥)

الرواية والانتحال

تحدث الجرجاني في هذه القضية وبين دورها في الشعر وأهميتها في النقد الأدبي ، وبين أن ضياع كثير من الشعر واختفاء كثير منه مظنة للانتحال إذ يتوقع أن كثيرا ما ضاع من الشعر قد انتحله شعراء آخرون ، يقول : " . . . مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الخطوط و خمول أكثر ما قيل و ضياع جل ما نقل . وأظنك قد سمعت أو انتهى اليك أن البحترى أسقط خمسة شاعر في عصره ، فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم الى غيري ؟ وما يدري مني ما فيها ؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها ، ومقتبس منها ؟ ، وهؤلاء المحدثون الذين شاركونا في الدار والبلد ، وجاورونا في العصر والمولد فكيف بمن بعد عهده ، وقدم زمانه ، وتناسخت الامم بيننا وبينه . " (١)

ومن أهم ما يستطيع أن يحكم به الناقد على الشعر معرفة الشاعر ، فإذا كان لا يعرف الشاعر ولا اسمه ولا شهرته فان ذلك يؤدي الى عدم الحكم على هذا الشعر هل هو صحيح النسبة أو منحول ولذلك فقد أورد الجرجاني روايات تدل على عدم احاطة النقاد المتقدمين لبعض الشعراء - ودور الرواة في نسبة الشعر اليهم دون احاطة النقاد لذلك . يقول " زعم بعض آل الزبير أنه زار عروة بن الزبير ذات يوم فسأله عما يعنى بطلبه من العلوم ، فقال قلست الشعر فقال لاى قبائل العرب أنت أروى فقلت لبني سليم فأشدني لعسدة أكثرها من بني سليم ولم أعرف واحدا منهم " . (٢)

(١) الوساطة ١٦٠

(٢) نفس المصدر والصفحة

ويقول :

" وقد ذكر الاصمعي عن كردين المسمعي : أن فتية من الهى أتوا أبها
ضمضم الراوية ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : أتيناك نتحدث . قال : كذبتم
قلتكم : خرف الشيخ ، هلموا نتغفله . ثم أنشد هم لمائة أو ثمانين شاعرا ،
كلهم يسمى عمرا . قال الاصمعي : فجهدنا أن نتم ثلاثين شاعرا يسمى عمرا ،
فلم نجد . " (١)

ويقول : " وقد يرى فى أشعار القبائل الأبيات تنسب الى الرجل
المجهول الذى لم يرو له غيرها ولا يعرف له اسم الا بها وكأن النفس تشهد
أن مثلها لا يكون باكورة الخاطر ولا تسمح بها القريحة الا بعد الدربة وطول
الممارسة ومن ذا يسمع قول الهذلي :

أبا مالك قاصر فقصره على نفسه ومشيم غناه
إذا سدت سدت مطواعه ومهما وكلت اليه كفاه

فيشك أنها لم تندر فلتة ، وتصدر بفتة ، وأن لها مقدمات سهلت سبيلها
وأخوات قرئت مأخذها ، وهى فى شعر الهذليين أبيات لم يرو لشاعر غيرها . " (٢)

وهذا يدل على ضياع شئ من شعر هذا الشاعر لم يتناقله الرواة إذ أن
للرواية دورا فى حفظ الشعر وبقائه .

وبين الجرجاني أن الانتحال يظهر فى الشعر ، وأن الناقد يمكنه أن
يكشف ذلك بسهولة . يقول : " وقد كان قدام مكة أيام مقامى بها شيخ

(١) الوساطة ١٦١

(٢) نفس المصدر والصفحة

بدوى من بنى عامر بن ربيعة ، يدعى مطرف بن سفيان ، فأنشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسنى وجدتها متنافرة الأبيات ، مختلفة الاطراف ، بين عين نادر ، ومتوسط متقارب ، وضعيف ساقط ، فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها ، وظهور تفاوتها ، وامتحنت الشيخ فوجدت شعره الى الضعف ما هو^(١)

وبين الجرجاني أن مرد هذا التفاوت في شعره أنه عندما عزم القدوم لمكة لمدح محمد الحسنى جمع فتيان قومه وطلب أن يزودوه بشعرهم في يزوده كل واحد بببيت أو بيتين أو ثلاثة فجمعها في قصيدة وانتحلها لنفسه فكان ذلك سبب اختلاف أبياتها تبعاً لاختلاف قائلها وتباين تفاضل القرائح واختلاف الأفكار بينهم والهواجس .^(٢)

الطبع والصنعة

ومن القضايا التى اهتم بها الجرجاني قضية الطبع والصنعة مبيناً أن أثرهما يظهر في الشعر ويؤثر في تقبله أو مجسه ، فالطبع يؤدي الى سلاسة الالفاظ ولطف المعانى والبعد عن التعقيد والوصول الى الغاية التى يريد ها الشاعر بسهولة مع وضوحها لسامعيه ، فاذا فارق الشاعر الطبع قلت حلاوة الشعر وذهب رونقه وادى ذلك الى اخلاق الديباجة .^(٣)

(١) الوساطة ١٦٢

(٢) انظر ما يدل على ذلك فى الوساطة ١٦١ - ١٦٢

(٣) انظر ما يدل على ذلك فى الوساطة ١٩

ولا يترك ذلك للطبع المطلق ، ولكنه يحيد الطبع المذهب فهو السدى
يجمع بين الحسن والاتقان . يقول : " واذا أردت أن تعرف موقع اللفظ
الرشيق من القلب ، وعظم غناؤه في تحسين الشعر ، فتصفح شعر جرير وذى الرمة
في القدماء ، والبحترى في المتأخرين ، وتتبع نسيب متيمى العرب ، ومتفرزلى
أهل الحجاز ، كعمر ، وكثير ، وجميل ، ونصيب ، وأضرابهم ، وقسمهم بمن هو
أجود منهم شعرا ، وأفصح لفظا وسبكا ، ثم أنظروا حكم وأنصف ... فان
روعة اللفظ تسبق بك الى الحكم ، وانما تفضى الى المعنى عند التفتيش والكشف
وملاك الامر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض العمل والاسترسال للطبع ،
وتجنب الحمل عليه والعنف به ، ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المذهب
الذى قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلبته الفطنة ، وألهم الفصل بين
الردى والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبح . " (١)

وبين أن الصنعة تؤدي الى التعقيد وكزازة الالفاظ وبعد المعاني وذلك
يؤدي بدوره الى أن ينجح السامع الشعر ولا يحتل سماعه وهذه اساءة الى الشعر
المصنوع جلبتها الصنعة ومجانبة الطبع . يقول . من المحدثين : " فان
رام أحدهم الاغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء ، لم يتمكن من بعض
ما يرويه الا باشد تكلف وأتم تصنع ومع التكلف المقت وللنفس عن التصنع نفرة
وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق واخلاق الديباجة وربما كان
ذلك سببا لطمس المحاسن . " (٢)

(١) الوساطة ٢٤ - ٢٥

(٢) نفس المصدر ١٩ - وقد ضرب مثلا بشعر لابي تمام وتكلفه واختياره مذهب
الصنعة فتعسف وتغلغل في التصعب وطلب البديع واجتلب المعاني
الفامضة وقصد الاغراض الخفية فاحتمل فيها كل غث ثقل - فصار هذا
الشعر اذا قرع السمع لم يصل الى القلب وتلك جريرة الصنعة والتكلف .

ويمين أن الصنعة تؤدي إلى التكلفة في الشعر والتكلفة مقوت مكروه- يحط من قيمة الشعر الفنية قدرا كبيرا .^(١) كما أن الصنعة تؤدي إلى تفاوت الشعر فهو يتأرجح ما بين الجودة والرداءة ، فما كان من القصيدة مطبوعا فهو الجيد الذي يعجب السامع ويأخذ بالالجاب وما كان قد دخلها من الصنعة فهو ما تنفر منه النفس " فيطمس تلك المحاسن ويمحو طلاوة ما تقدم " .^(٢)

ويتضح موقف الجرجاني في هذه القضية بتفضيله الطبع على الصنعة وميله إلى اختيار المطبوع من الشعر ، ومع ذلك فقد اختار شعرا مطبوعا لبعض الشعراء وأشاد به واستشهد به على أثر الطبع في الشعر . يقول " ومتى أردت أن تعرف ذلك عيانا وتستشبهته مواجهة فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضل ما بين السمع المنقاد والعصى المستكروه فاعمد إلى شعر البحترى ، ودع ما يصد ر به الاختيار ، وبعد في أول مراتب الجودة ، ويتبين فيه أثر الاحتفال ، وعليك بما قاله عن عفو خاطره وأول فكرته " .^(٣)

ثم استشهد له بأبيات عديدة في النسب تدل على سماحة الطبع وأشهره في شعره^(٤) قائلا بعد أن عرضها : " ثم انظر هل تجد معنى مبتدلا ولفظا مشهرا مستعملا ، وهل ترى صنعة وابداعا أو تدقيقا أو اغرابا ، ثم تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب اذا سمعته ، وتذكر صهوة ان كانت لك تراها مثل ضميرك ومصورة تلقاء ناظر " .^(٥)

(١) الوساطة ١٩

(٢) نفس المصدر ٢٢

(٣) نفس المصدر ٢٥

(٤) نفس المصدر ٢٥ - ٢٧

(٥) نفس المصدر ٢٧

ثم ذكر أبياتا في المدح ليدل على أن الطبع يؤثر في قبول الشعر في كل فنونه - ردا على من زعم أن قبول أبيات البحتري في النسيب إنما كان لقبول النفس لشعر النسيب وارتياحها له - وبين أن الطبع يحسن الى الشعر فسي: كافة الفنون . (١)

وبين أثر الطبع في أبيات لجريز وأثر التكلف في أبيات لأبي تمام وقارنها بشعر مطبوع مبينا فضله . (٢) (٣)

مقدرة الشاعر الفنية

ثم تحدث الجرجاني عن أشياء ترتبط بالشاعر - كالتفاوت في الشعر فهين أن التكلف هو أهم أسباب ذلك التفاوت ويأتي التكلف من خروج الشاعر على طبعه ومحاولة تقليده للاوائل . وقد يكون ذلك الخروج في بيت أو أبيات فسي القصيدة فتتأخر أبياتها ويظهر تفاوتها (٤) وقد عرض نماذج من التفاوت فسي شعر أبي تمام (٥) وشعر أبي نواس . (٦)

(١) الوساطة ٢٧ - ٢٨

(٢) نفس المصدر ٢٩

(٣) نفس المصدر ٣٢ - ٣٣

(٤) نفس المصدر ١٨ - ١٩

(٥) نفس المصدر ١٩ و ٢٢ و ٦٥

(٦) نفس المصدر ٥٥

وبين الجرجاني أن التفاوت في الشعر قد لا يدعو النقاد الى الحط من قدر الشاعر : يقول عن أبي نواس : " ولو تأملت شعراً أبي نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه ، وعددت منفيه ومختاره ، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحققت ، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعراً أعم اختلالاً ، وأقبح تفاوتاً ، وأبين اضطراباً ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطاً من شعره هذا ، وهو الشيخ المقدم والامام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والاصمعي ، وفسر ديوانه ابن السكيت ، فهل طمست معاييه محاسنه ؟ هل نقص رديه من قدر جيده . " (١)

وبين الجرجاني أن الشعراء تختلف قدراتهم الفنية " وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصناعة الشعر ، فتشترك الجماعة في الشيء المتداول ، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضح موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع ، كما قال لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زهر تجد متونها أقلامها

فأدى اليك المعنى الذي تداولته الشعراء ، قال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زهور في عسيب يمانى

وقال حاتم :

أتعرف أطلالا ونوبا مهدما كخطك في رق كتابا منمنما

وقال الهذلي :

عرفت الديار كرم الكتــــــــــــــــا ب يزهره الكاتب الحميري
وأمثال ذلك ممالا يحصى كثرة ، ولا يخفى شهرة ، وبين بيت لبيد وبينهما
ما تراه من الفضل ، وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشّف . . . (١)

وبين أن حسن التخلص وحسن الخروج وحسن الابتداء ما يتعلق بقدره
الشاعر الفنية وأن ذلك يستحسن له ويعد من مناقبه .

وقد عد أبياتا للمتنبي في ذلك مثل قوله :
حدق يذم (٢) من القواتل غيرها بدر بن عمار بن اسماعيل
وقوله :

وهز اطار النوم حتى كأنني من السكر في الفرزين ثوب شبارق
شد واباهن اسحاق الحسين فضا^{فحت} ذفاريها كيرانها والنمارق (٣)

ثم عد أبياتا من المستكره من تخلصه . مثل قوله :

" ولعلك لا تجد له تخلصا مستكرها الا قوله :

أحبك أو يقولوا جر نــــــــــــــــل ثبيرا أو ابن ابراهيم ريعا

وقوله

فأفنى وما افنته نفسي كأنــــــــــــــــا أبو الفرج القاض له دونها كهف

(١) الوساطة ١٨٦ - ١٨٧

(٢) يذم : يجبر

(٣) الوساطة ١٥٢

وقوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بَعْرَانَا

وقوله :

أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب
وحر أبو المسك الخضم الذي له على كل بحر زخرة وعباب

فهى وان لم تكن حسنة مختارة ، فليست من المستهجن الساقط .^(١)

ثم عد شيئا من ابتداءاته مبينا تفاوت قدرته الفنية - فله ابتداءات معيية^(٢)
وله أخرى حسنة ، رأى الجرجاني أنها تغفر له ابتداءاته التي عيب بها^(٣)
وبين أن هذه الابتداءات الحسنة^(٤) أفراد أبيات منها أمثال سائرة ومنها معان
مستوفاة ولم تجد في أخواتها^(٥) وجارات جنبها ما يصلح لمصاحبتها ولعل
أكثرها أو معظم ما أثبت منها وكثيرا مما ذكر في درج ما تقدمها من اللمع المختارة
مختارة المعاني مفرعة المذاهب . . .^(٥)

وهذه كما نرى أمور تتعلق بفنية الشاعر . . .

ومما انتهجه الشعراء في شعرهم " البديع " فأبوى ذلك الى تفاوتهم
في الاحسان والاساءة ومرد ذلك مقدرة الشاعر الفنية فمن مبدع محسن جعل

(١) الوساطة ١٥٥

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر ١٥٥-١٥٩

(٤) يعنى بقية أبيات القصيدة

(٥) الوساطة ١٥٩-١٦٠

البديع من أبياته غاية في الحسن ومن مسمى * خرج به البديع ، الى الاساطة وقد يحسن الشاعر نفسه ويسى * .

يقول : * وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها وينفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد فلما أفضى الشعر الى المحدثين ورأوا مواقع تلك الابيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع فمن محسن ومسى * ومحمود ومذموم ومقصد ومفرط * . (١)

وضرب أمثلة للاستعارة الحسنة لزهير ولبيد وابن الطثرية وأبي نواس ، والهارث بن حلزة ومسلم وأبي تمام والسري الموصلي (٢) وختم القول بعد ذلك قائلا : * فقد جاءك الحسن والاحسان وقد أصبت ما أردت من احكام الصنعة وعذوبة اللفظ * . (٣)

ثم ذكر أمثلة من الاستعارة السيئة لأبي تمام وأبي نواس (٤) وختم القول بعد ذلك قائلا : * فأسد مسمعك واستفهي ثباتك وإياك والاصفاء اليه واحذر الالتفات نحوه فانه مما يصدى * القلب ويعميه ويطمس البصيرية ويكد القنريحة * . (٥)

(١) الوساطة ٣٤

(٢) نفس المصدر ٣٤ - ٣٩

(٣) نفس المصدر ٣٩

(٤) نفس المصدر ٤٠

(٥) نفس المصدر ٤١

دور الناقد

وذكر الجرجاني أمورا تتعلق بالناقد . مبينا طريقة الحكم على الشعر يقول : " والشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحااجة ، ولا يحلى فى الصدور بالجدال والمقايسة ، وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقره منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشئ متقنا محكما ، ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وثيقا ، وان لم يكن لطيفا رشيقا . وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة ، وأخرى دونها مستحلاة موموقة ، ولكل صناعة أهل^ك يرجع اليهم فى خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها . " ^(١) مبينا أن الحكم على الشاعر يجب أن يشمل جميع الشعر حسنه وردئه فلا يكتفى بالسى ليسقط الشاعر عن مراتب الفحول . ^(٢)

وبين أن الناقد لا بد أن يكون منصفاً، وعارض التحامل فى النقد وعده من عيوب الناقد . فلا يجوز للناقد أن " يحمل على شاعر اقتصر أثره من سابقه لان الشاعر " يقف محصورا بين لفظ قد ضيق مجاله وحذف أكثره وقتل عدده وحظر معظمه ومعان قد أخذ عفوها وسبق الى جيدها فأفكاره تنبت فى كل وجه وخواطره تستفتح كل باب . . " ^(٣) - ولا يجوز للناقد أن يحكم على الشاعر بالسرقة فان لتوارد الخواطر دورا مهما فقد يقول الشاعر شعرا سبق الى لفظه ومعناه " ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده " ^(٤) بل يراه من توارد الخواطر واتقان الهواجس . ^(٥)

(١) الوساطة ١٠٠

(٢) نفس المصدر ١٠١

(٣) نفس المصدر ٥٢

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) نفس المصدر والصفحة

وبين أن مؤاخذة الشاعر على تقصير يحدث منه يعتبر مخالفا لحياة النقد يقول " وأقبل عليك أيها الراوى المتعصب فأقول لك : خبرنى عن تعظمه من أوائل الشعراء ، ومن تفتتح به طبقات المحدثين هل خلص شعر أحد هم من شائبة وصفا من كدر ومعاية ؟ " (١) فأخطأهم لم تهون من مكانتهم وتقد يمهم .

موقف الجرجاني من النقد

نستطيع أن نحدد موقف الجرجاني من النقد من ملاحظة موقفه النقدي من عدة قضايا ويظهر لنا من خلال ذلك " حياده في النقد " .

يتحدث عن موقف النقاد من المتنبي ويرى أنهم فريقان ، فريق متناسب في تقييده ومنقطع اليه بجملته منحط في هواه بلسانه وقلبه يلتقى مناقبه بالتعظيم ويمتدح لا خطائه - وفريق كاره له متحامل عليه يخفى محاسنه ويمظم أخطائه . (٢)

ويحدد الجرجاني موقفه بقوله " وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه " . (٣)

ويطلب الجرجاني من الناقد أن يكون محايدا في ذلك قائلا للحق مطبقا للعدل - وبين أن هذا منهجه الذي اتبعه في نقده والحكم للمتنبي أو عليه . (٤)

(١) الوساطة ٥٣

(٢) انظر ما يدل على ذلك في الوساطة ٣

(٣) الوساطة ٣

(٤) نفس المصدر ٣-٤

ويقول في موضع آخر : " ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدراسة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والخضر والاعرابي والمولد " (١) ولكن الحكم عنده على قدر الاحسان .

ويقول بعد ما ذكر أبياتا لا بهي تمام غاية في التكلف والقبح وبين معانيه فيها " ولست أقول هذا غضا من أبي تمام ولا تهجينا لشعره ولا عصبية عليه لفيره فكيف وأنا أدین بتفضيله وتقديمه وانتحل مولاته وتعظيمه وأراه قبلة أصحاب المعاني وقدوة أهل البديع لكن ما سمعني أشرطه في صدر هذه الرسالة أنه يحظر الا اتباع الحق وتحري العدل والحكم به لي أو علي . . . " (٢)

الجرجاني والدفاع عن المتنبي :

يدافع الجرجاني عن المتنبي ضد خصومه الذين حاولوا أن يلحقوا به النقص والميب في بعض شعره وقد بنى الجرجاني أساس دفاعه هذا على حياده في النقد - وهو يرسم ذلك في بداية دفاعه حيث يقول : " . . . وأعلمناك أنه ليس بغيتنا الشهادة لأبي الطيب بالمصمة ولا مرادنا أن نبرئه من مفارقة زلة وأن غايتنا فيما قصدناه أن نلحقه بأهل طبقة ولا نقصر به عن رتبته ، وأن نجعله رجلا من فحول الشعراء ونمنعك عن احباط حسناته وسيئاته ولا نسوغ لك التحامل على تقدمه في الاكثر بتقصيره في الاقل والفض من عام تبريزه بخاص تمذيره . . . " (٣)

(١) الوساطة ١٥
(٢) نفس المصدر ١٩-٢٠
(٣) نفس المصدر ٤١٥-٤١٦

ثم أخذ يعرض أبياتا للمتقدمين احتملها النقاد لهم وأبياتا تشبهها في العيوب لم يحتطوها للمتنبي بل جعلوها أساسا للغض منه ورميه بالعيوب والاساءة في الشعر مينا أن الانصاف يقضى باحتمالها كما غُفِرَتْ لَأُولَئِكَ. (١)

ثم عارض موقف النقاد من غلو المتنبي بعرض أشعار فيها افراط وغلو مبينا أن ذلك مذهب الشعراء المحدثين ، وموجود كثير في شعر الاوائل والناس فيه مختلفون - وأن ذلك لا يختص به المتنبي ليصبح عيبا يفض من شاعريته . (٢)

وبين الجرجاني أن المتنبي لم يقدم على بعض ما أخذ عليه من الشعر حتى رأى له مثيلا قبله فقال ما يشبهه ذلك وهو كثير وهو بذلك لا يبتدع وإنما يقتفى وهذا يفرله في نظر الجرجاني ما أخذ عليه . (٣)

ثم ذكر ما أخذ العلماء على أبي الطيب ودفاعه عنه وقد أشرنا الى ذلك في موضوع آخر من هذه الرسالة . (٤)

والجرجاني بذلك يطبق مبدأه في الحياد - خلافا لما يراه بعض النقاد من تحيزه للمتنبي - وخير دليل على ذلك ذكره محاسنه ومساوئه على حد سواء والاعتذار له بما سبق به الشعراء الاوائل والمحدثين بمثل ما أخذ عليه .

(١) انظر الوساطة من ٤١٦ - ٤١٩

(٢) انظر الوساطة من ٤٢٠ - ٤٢٣ وانظر من ٤٢٩ - ٤٣٣

(٣) نفس المصدر من ٤٢٤ - ٤٢٨

(٤) نفس المصدر ٤٣٤ - ٤٤٠ وانظر الفصل الثاني من الباب الثالث - اخطباء الشعراء .

ويظهر منهجه النقدي وسلوكه فيه سلك القاضي خاصة في الدفاع
عن أبي الطيب في عرض آراء الخصوم ورد المتنبي عليها ثم حكمه في الموضوع
للمتنبي أو عليه وهذا ظاهر واضح في منهجه .^(١)

--

(١) يظهر ذلك في منهجه خاصة في قضية سرقات المتنبي (الوساطة ٢١٦) ،
والدفاع عن أبي الطيب (الوساطة من ٤١٥ - ٤٤١) حيث عرض أثناء
ذلك كثيرا من آراء الخصوم ودفاع المتنبي ثم حكمه له أو عليه ..

الباب الرابع

أثر الآمدى والجرجانى فى النقد بعدها

- الفصل الأول - أثر الآمدى فى النقد عند الجرجانى
- الفصل الثانى - أثر الآمدى فى النقد فى كتاب الصناعيتين
- الفصل الثالث - أثر الجرجانى فى النقد فى كتاب الصناعيتين

الفضل لله

أثر الأمدى في النقد عند البحر جاني

إذا نظرنا في كتابي الموازنة والوساطة ، فانا نجد أسلوب الناقد ين وطريقتهما في النقد لا تكاد تختلف كثيرا - وإذا علمنا أن الجرجاني متأخر قليلا عن الآمدي فلا شك أنه اطلع على كتابه الموازنة وأفاد منه في طريقة نقده .

وإذا كان الجرجاني قد عالج قضية النقد حول المتنبي في كتابه الوساطة فانه قد ألم بأكثر القضايا النقدية التي عرضها الآمدي في الموازنة - واتبع أسلوبه في العرض في بداية الكتاب - فكما عرض الآمدي أخطاء الشعراء المتقدمين على أبي تمام والبحترى ثم انطلق ليحصر أخطاءهما . فقد صنع الجرجاني مثل ذلك فعرض أخطاء الشعراء المتقدمين ورد تماما ما نقله الآمدي ثم عرض بعد ذلك أخطاء المتنبي .^(١)

وكما عرض الآمدي قضية السرقات عند الشعراء المتقدمين وحصر جزءا منها فقد اتبع الجرجاني نفس الأسلوب وخلص في النهاية الى سرقات المتنبي ودفاعه عنها كما فعل الآمدي عندما خلى بعد دراسته للسرقات الى سرقات أبي تمام والبحترى .

أما قضية الألفاظ والمعاني التي انبثقت عند الناقلين من خلال تعرضهما لشعر أبي تمام والبحترى ، وشعر المتنبي ودراسة ذلك وتقويمه فقد تشابهت استنتاجا الناقلين وموافقهما من القضية وكأن الجرجاني يستقي آراء الآمدي في قضية

(١) انظر الباب الثاني الفصل الثاني ، والباب الثالث الفصل الثاني من هذه الرسالة
(٢) انظر " " " الرابع ، " " الرابع من هذه الرسالة

اللفظ والمعنى ويتبع أسلوبه النقدي في دراسة القضية وان اختلفت طريقة العرض أحيانا . (١)

وكانت قضية القديم والجديد من أهم القضايا التي تعرض لها الامدى فى الموازنة وبين موقفه منها ونظرته النقدية الى الجديد متبعا أسلوبا وموقفا يختلف عن مواقف النقاد المتقدمين الذى انحازوا الى القديم - فجاء الامدى ليعين فضل القديم وتقديمه لأسباب فنية محضة - ولا يغفل فضل الحديث وابداع المحدثين وهو الاسلوب الذى اتبعه الجرجاني فيما بعد . (٢)

وكانت الموازنة بين أبى تمام والبحترى غاية الامدى من تأليف كتابه - وكان قد وزن بين الشاعرين ودعاه ذلك الى موازنتهما بغيرهما من الشعراء - والى موازنة شعراء آخرين بشعراء غيرهم كسليمان بن سالم للموازنة بين الشاعرين فى كتابه - فاتبع الجرجاني أسلوبا للموازنة لا يختلف كثيرا عن أسلوب الامدى - فوازن بين المتنبي وغيره من الشعراء وتعرض أثناء ذلك الى موازنة شعراء آخرين بغيرهم وان اختلفت طرق الموازنة بين الناقدين فان اتفقا في الغاية واضح مما يدل على تأثر الجرجاني بسابقه . (٣)

(١) انظر الباب الثانى الفصل الثالث ، والباب الثالث الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) انظر الباب الثانى الفصل الخامس ، والباب الثالث الفصل الخامس من هذه الرسالة .

هذا بالنسبة لمنهج الناقد في معالجة القضايا العامة حيث يظهر أثر اقتفاء الجرجاني للآمدى في ذلك .

ويظهر التأثير بشكل دقيق في تعرض الناقد لبعض المواقف النقدية في كتابيهما وسنعرض هنا نماذج موجزة تثبت هذا التأثير :

فالآمدى يقرر أن " العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد " (١) ويرى الآمدى أن ذلك لا يتأتى إلا " للمتخصص العارف بها المختص بمزاياها كما يختص العالم بشيء ما بمعرفته فلا يعرف محاسن ثوب الوشي ومعايبه إلا المختصون في الطراز وعيوب الجوارى العالم بصفاتهن " .

فلا بد من العلم بالشعر مع الدربة والتخصص وقوة الإدراك وهذا قريب مما يقوله الجرجاني :

" أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان " . (٢)

ويرى الآمدى أن الشعر المطبوع بعيد عن التكلف وأن الصنعة تجر السى التكلف والتعقيد ومستكره الالفاظ ووحشى الكلام لما في الصنعة من الاستعارات والمعاني المولدة وهو ما انتهجه أبو تمام . (٣)

(١) الموازنة ١ / ٤١٢ - ٤١٣

(٢) الوساطة ١٥

(٣) الموازنة ١ / ٤ - ٥

ويكرر الجرجاني ذلك قائلا " . . ومع التكلفة المقت وللنفس عن التصنع
نفرة وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق واخلاق الديباجة وربما
كان ذلك سببا لطمس المحاسن كالذى نجده كثيرا في شعر أبي تمام . . " (١)

ويرى الجرجاني رأى الآمدى في أثر البيئة في الشعر وأن شعر البادية
أقوى لفظا وأجزل من شعر الحاضرة . (٢)

وقد طلب الآمدى في الشاعر أن يكون بعيدا عن الاغراق في طلب البديع
متجنباً لغموض المعاني لا يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة ويقتصرها مكرهة،
وان يتناول ما يسمح به خاطر ، وأن الشاعر لا يكون شاعرا حتى يتمكن من العلم
بالشعر وما يتعلق به ، وأن يكون صادقا لان الصدق من فضائل الكلام . (٣)

وهذا لا يختلف كثيرا عما طلبه الجرجاني في الشاعر فهو يرى أنه لا بد
للشاعر من البعد عن التكلفة الذى يؤدى الى تفاوت الكلام (٤) وبين أن تفاوت
الشعراء انما يكون بسبب تفاوت علمهم بالشعر وما يتعلق بصناعتهم (٥) وهذا
يشابه ما أورده الآمدى .

(١) الوساطة ١٩

(٢) انظر الموازنة ٤٧١/١ والوساطة ١٨-١٩، ٥١

(٣) الموازنة ٤١٧/١ - ٤١٨

(٤) الوساطة ٢٢، ١٩

(٥) نفس المصدر ١٨٦ - ١٨٧

واشترط الامدى في الناقد أن يكونا عالما بالشعر متخصصا فيه عالما به
فهناك أمور في الشعر لا تعرف " الا بالدربة ودايم التجربة وطول الممارسة
وبها تفضل أهل الحداقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته وقلبت
دريته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها " ^(١) وبين
أن الفرق بين الشيعين المتقاربين لا يعلمه الا أهل الخبرة والدربة الطويلة ^(٢)

ويقول الجرجاني ما يشبه ذلك فـ " لكل صناعة أهل يرجع اليهم فـ
خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها " ^(٣)

وكما عارض الامدى التحامل في النقد ^(٤) فقد عارضه الجرجاني بنفس الموقف
تقريباً " ^(٥)

وكما أشار الامدى الى أنه بنى نقده في الموازنة على الحياد ^(٦) فان الجرجاني
قد أشار الى موقفه الحيادى في الحكم الذى لا يخالف منهج الامدى فى حكمه ^(٧)

-
- (١) الموازنة ١١/١
 - (٢) نفس المصدر والجزء ١٢-١٣
 - (٣) الوساطة ١٠٠
 - (٤) الموازنة ١٣٩/١ - ١٤٠
 - (٥) الوساطة ٥٢ - ٥٣ وانظر ٣ - ٤ ، وانظر ١٥ ، ١٩ - ٢٠
 - (٦) الموازنة ٥/١ ، ٥٧/١
 - (٧) الوساطة ٤١٥ - ٤١٦

لقد اتبع الجرجاني الأمدى في كثير من المواقف النقدية في كتابه ، وتكاد تلمس ذلك في أجزاء كثيرة من هذه المواقف ونقتصر هنا على ايراد أمثلة لأحكام نقدية أصدرها الأمدى حول بعض الشعر في كتابه فاتبعه الجرجاني وأخذ عنه بكل وضوح .

” يقول الأمدى :

” وقال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهلها بلد وهذا أيضا غلط من أجل أن كل بلد يضيق بأهلها وليس ضيقته من جهة ضيق الأرض لان الأرض لو كانت واسعة عشرة أضعافها في المقدار أو ألف ضعف مثلها لما كان ذلك بموجب أن يكون الحزن أو الصمان أو الغول أو نجد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة في قدر مساحة كل ناحية منها أو أوسع أو أزيد مما هي عليه الان ان لم يخطط البصرة والكوفة من اختطهما ولا أسس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقتهما ولا صار قدر الحزن والصمان هذا القدر في ذرعهما ومساحتها على قدر مساحة الأرض وذرعها بقسط أخذاه منها وانما ذلك على حسب الاتفاق في كل بقعة وعلى حسب ما أدى اليه الاجتهاد والاختيار ممن أسس كل بلدة ومصر كل مصر .

وكان ينبغي له أن يقول ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لـم يسمعها الفلك أو لضاقت عنها السماء أو أن يقول : لو أن سعة كل بلد أو مصر كسعة صدره لم يضق عن أهلها بلد وكان حينئذ يكون المعنى مستقيما ” .^(١)

ويقول الجرجاني عن البيت نفسه :

" وهذا المعنى فاسد لانه جعل البلاد انما تضيق بأهلها لضيق الارض. وأنها لو اتسعت اتسع صدره لم تضيق البلاد ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الاصل على قدر سعة الارض وضيقها وأن الارض تتسع لبلاد كثيرة ولا تساع ما فيها من المدن أيضا وهي على حالها وانما تؤسس وتبتدىء على قدر الحاجة اليها فاذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة وظهر فيها ما يستدعي الناس اليها ضاقت فان جاورتها فسح وعراض وسعت والا احتمل لها بعض الضيق فلو اتسعت الارض حتى امتدت الى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقدارها " (١)

فالجرجاني هنا يكرر موقف الامدى من البيت .

وقد شرح الامدى معنى (الأيم) (٢) وبين غلط الفقهاء في تعريفها والخلط بينها وبين الشيب - وبين أثر هذا الخلط في الحكم على بيت البحتري :

تشق عليه الريح كل عشيبة جيوب الفمام بين بكر وأيم (٣)

فأتبعه الجرجاني في ذلك وشرح لفظة (الأيم) في بيت أبي تمام :

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم (٤)

وقد أشار الامدى الى غلط أبي تمام هذا (٥) وقد ناقش الجرجاني خطأ

(١) الوساطة ٧٧

(٢) الموازنة ١ / ١٦٩

(٣) نفس المصدر والجزء ٣٧٦ /

(٤) الوساطة ٧٩

(٥) الموازنة ١ / ٣٧٦

الفقهاء في ذلك ^(١) كما أشار اليه الأمدى . ^(٢)

وقد شرح الآمدی بیت ابی تمام :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل
وبين غلطاً بي تمام وأن ذلك من أقبح ما وصفت به النساء لأنه لا يجوز وصف الوشاح
بالقصر والضيق بل الواجب أن يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المرأة
وطولها ^(٣) مبينا أن الشاعر أراد وصفها بدقة الخصر فأخطأ ذلك فوصف
الوشاح بالقصر والضيق وهذا لا يدل على تمام المرأة وطولها .

وقد عرض الجرجاني وجهة نظر الآمدي النقدية نفسها فقال في البيت نفسه : " أراو وصفها بدقة الخصر فوصفها بغاية القصر والضئولة لان الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح احدى طرفيه الصدر والبطن والآخر الظهر حتى يفتحها الى الكشح ويلتقيا على الورك وكيف حال من يحول الخلخال من عاتقها وكشعها وهل تكون هذه من البشر فضلا عن أن تنسب الى الحسن " . (٤)

وبين الآمدى استحسانه لبیت امریء القیس :

فقلت له لما تمطى بصلبـه وأردف أعجازا وناء بكلـكل
وقال : " وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك أشد
ما يكون على من يراعيه ويتقرب تصرفه فلما جعل له وسطا يمتد وأعجاز مترادفة

(١) الوساطة ٧٩

(٢) الموازنة ١/١٦٩ ، ٣٧٦

(٣) نفس المصدر والجزء ١٤٧ - ١٤٨

(٤) الوساطة ٧٨-٧٩

للووسط وصدرًا متناقلًا في نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب وجعله
 متمطيا من أجل امتداده لأن تمطى وتمدد واحدة وصلح أن يستعير للصدر
 اسم الكلل من أجل نهوضه وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة لشدة ملائمة
 معناها لمعنى ما استعيرت له ^(١) .

وقال الجرجاني عن البيت نفسه :

" . . فجعل له صلبا وعجزا وكلكلا لما كان ذا أول وآخر وأوسط مما يوصف
 بثقل الحركة إذا استطيل وبخفة السير إذا استقصر وكل هذه الألفاظ
 غير مستكرهة وقريبة المشاكلة ظاهرة المشابهة ^(٢) . وهو يستحسن ذلك
 ولا يختلف موقفه النقدي من بيت امرئ القيس عن موقف الأمدى .

وقد ينقل الجرجاني ما أورده الأمدى في الموازنة - فقد أورد الأمدى
 أبياتا بعد ذكره لبيتى أبي تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
 أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل
 فقال : " وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى فأول من سبق إليه الأودى ،
 وذلك قوله :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن تستمرار
 فتبعه النابغة فقال :

(١) الموازنة ٢٦٦ / ١
 (٢) الوساطة ٤٣١ - ٤٣٢

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيلـــــــــــــــــه
إذا ما التقى الجمعان أول غالب
فأخذه حميد بن ثور فقال يصف الذئب :
إذا ما غدا يوما رأيت غيابــــــــــــــــة
من الطير ينظرون الذي هو صانع
وقال أبو نواس :

تتأَيَّـا الطير غدوتـــــــــــــــــه ثقة بالشعب من جـــــــــــــــــزره^(١)

فقد نقل الجرجاني هذه الأبيات كما أوردها الآمدي تماما عند ما تحدث عن
بيتي أبي تمام - واتفق معه في تعليقه على البيتين وتحليلهما .^(٢)

وقد اتفق الجرجاني مع الآمدي في جزئيات كثيرة - تظهر في مواقف نقدية
متعددة .^(٣)

ومعنى ذلك أن الآمدي قد أثر بأرائه النقدية في كتاب الوساطة وعرض
الجرجاني بعض آرائه النقدية وتأثر بمواقفه في بعض القضايا واتبع أسلوبه فسي
جزئيات كثيرة .

(١) الموازنة ١/٦٥، ٦٦، ٦٧ ، وتتأَيَّـا : تتعمد وتقصد .
(٢) انظر ذلك مفصلا في الوساطة ٢٧٤ ، ٢٧٥
(٣) انظر بابي النقد عند الآمدي والجرجاني من هذه الرسالة .

الفصل الثاني

أثر الأمدى فى النقد فى كتاب الصناعين

يظهر أثر الأمدى واضحا في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري - فقد نقل عنه كثيرا من آرائه النقدية وعرض لكثير من القضايا التي عرضها الأمدى فسي الموازنة ، كما نقل بعضا من مناقشات الأمدى النقدية ، ويظهر ذلك واضحا في معالجته بعض القضايا النقدية التي عرضها الأمدى في كتابه الموازنة بوضوح .

ولعل من أهم ما أخذه أبو هلال في الصناعتين من الأمدى ، حديثه عن السرقات فقد عقد بابا في حسن الأخذ وحل المنظوم وجعله فصلين ^(١) وقد ردد ما قاله الأمدى - واتفق معه على أن السرقة لا تكون في المعاني المشتركة ولا ضرر من حسن الأخذ لأن " المعاني مشتركة بين العقلاء ، فربما وقم المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها " . ^(٢)

وهو يرى أن لا خير على المتأخر من أن يرد على لسانه شيء من المعاني سبقت إليه ولا يعد سرقة إلا " من أخذ معنى بلفظه " ^(٣) أو بـ بعض لفظه .

وجعل الفضل في ابتكار المعنى راجعا إلى الذي سبق إليه وسين أن المتقدمين والمتأخرين قد طبقوا " على تداول المعاني بينهم ، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده وقصر فيه عن تقدمه " . ^(٤)

(١) الصناعتين ١٩٦ - ٢٣٨

(٢) نفس المصدر ١٩٦

(٣) نفس المصدر ١٩٧

(٤) نفس المصدر ١٩٨

وهو في هذا كله يقتضى أثر الآمدى ^(١) ومنهج نهجه في الاستشهاد على ذلك بأبيات بعض الشعراء ^(٢) .

وذكر أبو هلال بعض أنواع السرقات التى عرضها الامدى ، فذكر اخفاس السرقة ونقل المعنى الى معنى آخر أو الى صفة أخرى ، وكذلك أخذ المعنى مع الزيادة عليه زيادة حسنة وأخذ المعنى واللفظ معا وأخذه مع الاجادة فيه عن السابق - وغير ذلك - ^(٣) وقد اتبع طريقة الامدى في العرض والاستشهاد وتعدد الأمثلة .

ثم عقد فصلا لقبح الأخذ - وهو يشبه في منهجه منهج الامدى كثيرا ^(٤) .

والى جانب ذلك فقد عرض أبو هلال العسكرى بعض الآراء والمناقشات النقدية التى عرضها الامدى . من ذلك :

يقول الامدى عن الطباق " وهو مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب الضد وانما قيل مطابق لمساواة أحد القسمين صاحبه وان تضادا أو اختلفا في المعنى ^(٥)

(١) انظر الفصل الرابع من الباب الثانى (السرقات)

(٢) الصناعتين ١٩٧ .

(٣) نفس المصدر من ١٩٨ - ٢٢٨ وانظر الفصل الرابع من الباب الثانى من هذه الرسالة .

(٤) الصناعتين من ٢٢٩ - ٢٣٨ وانظر الفصل الرابع من الباب الثانى من هذه الرسالة .

(٥) الموازنة ٢٨٨ / ١

ويقول أبو هلال " المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده فسي
جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين
البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد " .^(١)

ويورد أبو هلال في الصناعتين أمثلة على قبح التجنيس في شعر أبي تمام
أوردها الأمدى في الموازنة .^(٢)

وقد أورد أبو هلال شيئاً من مناقشات الأمدى النقدية واتبعه في كثير
منها من ذلك :

يقول الأمدى .. يعني أبا تمام :
" ومن خطأ المديح قوله :

سأحمد نصرًا ما حييت وانسني لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد
لأنه رفع المدوح عن الحمد الذي ندب الله عباده إليه بأن يذكره به
وينسبوه إليه وافتتح فرقانه في أول سورته ذكره وحث عليه ."^(٣)

ويقول أبو هلال عن البيت نفسه :

" ومن الخطأ قول أبي تمام :

سأحمد نصرًا ما حييت وانسني لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد
وقد رفع المدوح عن الحمد الذي رضى الله جل وعز لنفسه وندب عباده لذكره

(١) الصناعتين ٣٠٧ وانظر أبو القاسم الأمدى وكتاب الموازنة ١١٦

(٢) نفس المصدر ٣٣٥ ، الموازنة ٢٨٥/١ وانظر أبو القاسم الأمدى ١١٦

(٣) الموازنة ٢٠٧/١

ونسبه اليه وافتتح به كتابه وقد قال الاول : الزيادة في الحمد نقصان . . . (١)
وهذا تكرير لما قاله الآمدى ، وبالإضافة الى ذلك فإن أبا هلال يورد
استشهادات الآمدى نفسها :

يقول الآمدى : " وللعرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها وأشعارها
ما فيهم من رفع أحدا عن أن يحمد ولا من استقل الحمد للممدوح قال زهير:
متصرف للحمد معترف للرزء نهاض الى الذكـر
فقوله متصرف للحمد أى حيثما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها .

وقال الاعشى :

ولكن على الحمد انفاقه وقد يشتره بأغلى ثمن
ولو قال الطائي " لو جل أحد عن المدح لجلت عنه كان أعذر كما قال البحتري :
لو جل خلق قط عن الكرومة تشنى جللت عن الندى والباس " (٢)

وقد استشهد أبو هلال بهذه الأبيات كما فعل الآمدى مبينا خطأ
أبي تمام : (٣)

وقال الآمدى عن أبي تمام :

" ومن أخطائه قوله :

ظعنوا فكان بكاي حولا يمد هم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

(١) الوساطة ١٢٤-١٢٥ وانظر أبو القاسم الآمدى ١١٦

(٢) الموازنة ٢٠٧/١ - ٢٠٨

(٣) انظر الصناعتين ١٢٤-١٢٥

أجد رجمة لوعة اطلأوها بالدمع أن تزداد طول وقود

وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها لان المعلوم من شأن الدمع أن يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو في أشعارهم كثير موجود .^(١)

يورد أبو هلال البيتين مبينا أنهما من خطأ أبي تمام . ثم يقول :
" هذا خلاف ما يعرفه الناس لانهم قد أجمعوا على أن البكاء يطفى الغليل ويبرد حرارة المحزون ويزيل شدة الوجد ."^(٢)

ويستشهد بأبيات أورد ها الامدى لا مريء القيس والفرزدق^(٣) .

وقال الامدى :

" ومن خطائه قوله :

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطى

من الامر ما فيه رضى من له الامر

فمعنى هل في البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع أو على فعل هو في الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب في الجواب الاعتراف به نحو قوله هل أكرمتك ؟ هل أحسنت اليك ؟ هل أودك وأوثرك ؟ وهل أقضى حاجتك ؟ . . ."^(٤)

(١) الموازنة ٢٠٩/١

(٢) الصناعتين ١٢٥

(٣) الموازنة ٢٠٩/١ - ٢١٠ ، والوساطة ١٢٦

(٤) الموازنة ٢١١/١ - ٢١٢

فأورد أبو هلال البيت متأثراً بفكرة الآمدى فى المناقشة : " والمعنى لست أرضى اذا كان الذى يسخطنى هو الذى يرضاه الله عز وجل لان هل تقرير لفعل ينفيه عن نفسه كما تقول هل يمكننى المقام ؟ وهل آتى بما تكره ؟ معناه لا يمكننى المقام ومعنى قوله هل أرضى اذا كان سخطى ؟ أى لا أرضى " (١)

وقال الامدئ

" ومن خطأ أبى تمام قوله :

بيوم كطول الدهر فى عرض مثله ووجدى من هذا وذاك أطول
فجعل للدهر وهو الزمان عرضاً وذلك محض المحال وعلى أنه ما كانت به اليه حاجة
لأنه قد استوفى المعنى بقوله كطول الدهر على الغرض فى المبالغة " . (٢)

ثم استشهد الامدئ بقول الراعى :

انت ابن فرعى قريش لو تقايسها فى المجد صار اليك العرض والطول
فأستمار للمجد ههنا الطول والعرض لانه أراد صار اليك المجد بتمامه وكماله .

ويقول كثير :

بطاحي له نسب مصفى وأخلاقها عرض وطول
أى لها سعة وتمام وكمال فى الفضائل والمحاسن " . (٣)

(١) الضناعتين ١٢٦ - ١٢٧

(٢) الموازنة ١٩٦/١ - ١٩٧

(٣) نفس المصدر ١٩٧/١ - ١٩٨

فأورد أبو هلال بيت أبي تمام مشيراً إلى الخطأ ومستشهداً بما استشهد به الآمدى من أبيات، إلا أنه نسب بيت الراعى إلى كثير - ومورداً مناقشة الآمدى نفسها وآراءه النقدية كما هي . . .^(١) كما استفاد من نقده فى مواضع أخرى .^(٢)

وما سبق عرضه هنا أمثلة موجزة تبين مدى تأثير أبي هلال بالآمدى، وبالإضافة إلى ذلك فإن أبا هلال قد استفاد كثيراً من الآمدى فى منهجه العام وطريقة عرضه للقضايا النقدية وطريقة مناقشته واستشهاده وتسلسل ذلك تبعاً والخروج أحياناً إلى التحليل والتعليل بما يشبه دراسة منفصلة لقضية عرضت أثناء مناقشته لقضية أخرى - كما يظهر ذلك واضحاً فى معالجتهم للسرقات وحسن الاختزال والتقصير - أو أخطاء الشعراء فى المعانى - أو قضية الالفاظ والمعانى .^(٣)

وقد أشار الاستاذ الدكتور بدوى طبانة فى كتابه (أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية) إلى ذلك قائلاً : " ومن أساتذته الذين أعجب بهم وأخذ بأقوالهم بل نقل عنهم آراءهم الحسن بن بشر الآمدى صاحب الموازنة . " ^(٤) ثم نقل بعض تلك الآراء .^(٥)

-
- (١) الصناعتين ١٢٧
 - (٢) انظر على سبيل المثال الموازنة ١٤٣ / ١٤٤ ، والصناعتين ١٢٠ وأبو القاسم الآمدى ١١٤ - ١١٧ .
 - (٣) انظر ذلك فى الموازنة والصناعتين بشكل عام .
 - (٤) أبو هلال العسكري - ٨١
 - (٥) نفس المصدر ٨١ - ٨٢ وانظر ٦٦ - ٦٧

الفصل الثالث

أثر الجرجاني في النقد في كتابي الصناعتين

أشرنا في الفصل الاول من هذا الباب الى أثر الآمدى في النقد عند الجرجاني - حيث أخذ الجرجاني بعض آراء الآمدى النقدية .

وقد نقل أبو هلال العسكري في الصناعتين عن الجرجاني آراء نقدية وردت في الوساطة كما وردت في الموازنة - مما يدل على تأثير العسكري بالجرجاني كما تأثر بالآمدى .^(١)

ونورد هنا على سبيل المثال بعضا من الآراء النقدية التي وردت في الوساطة والصناعتين .

تحدث أبو هلال العسكري عن السرقات وأنواعها وذكر السرقات الممدوحة^(٢) وقد أشار الجرجاني لذلك في حديثه عن السرقات في الوساطة .^(٣)

وتحدث الجرجاني عن المعاني المشتركة المتداولة^(٤) وقد أشار إليها العسكري في الصناعتين .^(٥)

(١) انظر الباب الرابع - الفصل الاول والفصل الثاني من هذه الرسالة .

(٢) الصناعتين ١٩٦ وما بعدها .

(٣) الوساطة ١٨٨ ، وفصل السرقات عند الجرجاني .

(٤) الوساطة ١٨٣

(٥) الصناعتين ١٩٦

وانا نظرنا فيما كتبه الجرجاني عن البديع في الوساطة - نجد أن
العسكري في الصناعتين قد رد ما قاله الجرجاني في معناه ودلل على ذلك
بنفس التعاريف والشواهد . (١)

وقد بين الجرجاني أن الذكاء والدرية والطبع أساس البلاغة والخطابة
وهذا ما ذكره العسكري في الصناعتين فقال : " ومن تمام آلات البلاغة التوسع
في معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر اللفاظ وساقطها ومتغيرها
ورد يثها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام " . (٢)

ويقول : " وليس الشأن في إيراد المعاني لان المعاني يعرفها العربي
والعجمي والقروي والبدوي وانما هي في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهاؤه
ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائة من صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم
والتأليف وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك
حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت " . (٣) ولا يكون ذلك الا مع
الذكاء والدرية والممارسة .

ثم يقول : " رأس الخطابة الطبع وعمودها الدرية وجناحها رواية الكلام
وحليها الأعراب وبهاؤها تخير اللفاظ والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه " . (٤)

(١) الصناعتين ٢٦٥ الى نهاية الباب ، وانظر الوساطة ٣٤-٤٨ و ٢٩٤

(٢) الصناعتين ٢١ ، الوساطة ١٥ .

(٣) نفس المصدر ٥٧ - ٥٨ وانظر الفصل السادس من الباب الثالث .

(٤) نفس المصدر ٥٨

وقد أشار الى ما أشار اليه الجرجاني من ضرورة العلم بالرواية يقول :
 " وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها الا من جملة
 أشعارها ، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع
 علومها فاذا كانت كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكل متأدب بلغة العرب أو
 ناظر في علومها اليه ماسة وفاقتة الى روايته شديدة " . (١)

وقد اهتم العسكري بضرورة اختيار النص وملاءمته للمقام ، يقول : " ينبغي
 أن يتكلم بآخر الكلام ونادره ورصينه ومحكمه عند من يفهمه عنه ويقبله منه من
 عرف المعاني والالفاظ علما شافيا لنظره في اللغة والاعراب والمعاني على جهة
 الصنعة لا كمن استطرف شيئا منها فنظر فيه نظرا غير كامل أو أخذ من أطرافه
 وتناول من أطرافه (٢) فتحلى باسمه وخلا من اسمه فاذا سمع لم يفقه واذا سئل
 لم يفقه واذا تكلم عند من هذه صنعة ذهبت فائدة كلامه وضاعت منفعة منطقته
 لان العامي اذا كلمته بكلام العلية سخر منك وزرى عليك " . (٣)

ويقول : " ونحن نفهم رطانة السوقى وجمجمة الاعجمى للعادة التى جرت
 لنا في سماعها لا لأن تلك بلاغة ، ألا ترى أن الأعرابي ان سمع ذلك لم يفهمه
 ان لا عادة له بسماعه " . (٤)

(١) الصناعتين ١٣٨ وانظر الفصل السادس من الباب الثالث .

(٢) اطرافه : أطرافه .

(٣) الصناعتين ٣٢ ، الوساطة ٤٨

(٤) نفس المصدر ١١

فالكلام عنده لا بد أن يكون موافقا لحالة السامع وثقافته ومعرفته وإدراكه وهذا يشبه ما قاله الجرجاني ^(١) .

وقد أورد بيتي أبي تمام :
ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهلها بلد
وقوله :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل
يقول معلقا على هذا البيت :

" ولو قال " نطقا " لكان أحسن وهذا خطأ كبير وذلك أن الخلخال قدره في السعة معروف ولو صار وشاحا للمرأة لكانت المرأة في غاية الدمامة والقصر حتى لو كانت هي في خلقة الجرذ والهرة ولو قال " حقبا " لكان جيدا كما قال النمرى :

ولو قست يوما جلجلها بحقائها لكانا سواء لاهل الحجل أوسع
فجعل الحجل أوسع من الحقاب لان امتلاء الاسوق محمود ودقة الحضور مدوح ^(٢) . وهذا يشبه ما قاله الجرجاني ^(٣) وكذلك طريقة الاستشهاد .

(١) انظر الفصل السادس من الباب الثالث من هذه الرسالة .

(٢) الصناعتين ١٢٠ - ١٢١

(٣) الوساطة ٧٨ - ٧٩

ويحلل البيت الآخر قائلا :

" ورحبصد رلو أن الارض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وذلك أن البلدان التي تضيق بأهلها لم تضق بأهلها لضيق الارض ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الارض وسعتها وانما اختطت على حسب الاتفاق ولعل المسكون منها لا يكون جزءا من ألف جزء فلا معنى تعبيره ضيق البلدان الضيقة من أجل ضيق الارض والصواب أن يقول :

ورحب صدر لو أن الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك أو لضاقت عنها السماء أو يقول ، لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد .
والجيد في هذا المعنى قول البحترى :

مغارة أرض لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سلك المناقب

أى لم يكن ليسلكها الا بدليل لسعتها على أن قوله " مغارة صدر " استعارة بعيدة " (١).

وقد ناقش المسكوى المعنى في هذين البيتين بما لا يخرج كثيرا عما قاله الجرجاني :

وأشار صاحب الصناعتين الى تجنب الالفاظ السوقية الوحشية واختيار السهل الجزل الذى لا يشوبه شئ من كلام العامة والالفاظ الحشوية يقول :

" ولا ينبغي أن يكون لفظك وحشيا بدويا وكذلك لا يصلح أن يكون مهتذلا
سوقيا " . (١)

ويقول :

" أخبرنا أبو أحمد عن مبرمان عن أبي جعفر بن القتيبي عن أبيه قال :
قال خلف الأحمر : قال شيخ من أهل الكوفة أما عجبت أن الشاعر قال :
" أنهت قيصوما وجثجاثا فاحتمل وقلت أنا أنهت اجاصا وتفاحا فلم يحتمل .

والمختار من الكلام ما كان سهلا جزلا لا يشوبه شيء من كلام العامة والفاظ
الحشوية وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال " . (٢)

وهذا ما ذهب اليه الجرجاني من قبل . (٣)

وتحدث العسكري عن أمور يلزم توافرها في الكاتب فقال :

" وينبغي أن يتجنب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تعمية فيرتب ألفاظه ترتيبا
صحيحا ويتجنب السقيم منه وهو مثل ما كتب بعضهم لفلان - وله هي حرمة -
مظلمة . وكان ينبغي أن يقول : لفلان وأنا أرى حرمة مظلمة وما يجرى هذا
المجرى من الترتيب المختار البعيد من الاشكال " . (٤)

(١) الصناعتين ١٤٨ والوساطة ٢٤ ، ٣١٠

(٢) نفس المصدر ١٤٨ - ١٤٩ ، والوساطة ٤٤ ، ١٠٠

(٣) انظر مفصلا في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذه الرسالة .

(٤) الصناعتين ١٥٣

وهذا مثل ما ذهب اليه الجرجاني في ذلك . (١)

ويقول العسكري :

" ومن تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وصا " وربما كان الكلام مستقيما الالفاظ صحيح المعاني ولا يكون له رونق ولا رؤا ولذلك قال الأصمسي لشمر لبهد كأنه طيلسان طبراني أي هو محكم الاصل ولا رونق له . (٢)

وهذا يشبه ما قاله الجرجاني في الحكم على الشعر . يقول :

" والشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحاكاة ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة ويقره منها الرونق والحلاوة وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلولا مقبولا ويكون جيدا وثيقا وان لم يكن لطيفا رشيقا . (٣)

وقد تحدث العسكري حديثا طويلا عن الایجاز (٤) نجده لا يختلف كثيرا عما قاله الجرجاني . (٥)

(١) الوساطة ٢٤

(٢) الصناعتين ١٧٠

(٣) الوساطة ١٠٠ وانظر النقد عند القاضي الجرجاني ٤٠١

(٤) الصناعتين ١٧٣ - ١٨٩

(٥) الوساطة ٣٦٩

وقد تحدث العسكري عن أثر البيئة في الادب وهو يقتفى بذلك أثر الجرجاني في حديثه عنها ولعلهما استمدا ذلك مما سبق اليه النقاد .^(١)

وينهج العسكري في حديثه عن الاخطاء عند الشاعر منهج الجرجاني فسي ذلك ويظهر ذلك واضحا في عرضه لاطاء الشعر وتحليل ما يتعلق بذلك .^(٢)

واذا نظرنا في ملاحظات الجرجاني في الوساطة حول شعر المتنبي عامة نجد تلك الملاحظات واضحة عند العسكري - وكأنه يردد ما قاله الجرجاني فسي هذا من قبل .^(٣)

(١) النقد عند القاضي الجرجاني ٤٠٢ وقد نقل عن العسكري قوله " واذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن أخلاقهم وشماثلهم تكون متصارعة " . وانظر الوساطة ١٨
(٢) الصناعتين ٦٩ وما بعدها الى نهاية الفصل وانظر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرحالة .
(٣) الوساطة ٨٢ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ، ١٤١

الباب الخامس

جهود الأمدى والبرجاني في نظر النقاد المحدثين

الفصل الأول - نقدا الأمدى في نظر النقاد المحدثين

الفصل الثاني - نقدا البرجاني في نظر النقاد المحدثين

الفصل الأول

نقد الأمدى فى نظر النقاد المحدثين

اهتم النقاد المحدثون بدراسة النقد في عصوره المختلفة وتعرضوا
للآمدى كغيره من النقاد - وأصدروا بعض الأحكام واتخذوا بعض المواقف - ولا
يمدو ذلك شيئا عاما لا يعطى صورة واضحة لجهود الآمدى في النقد مفصلة -
ولكنه يصور للقارىء مفهوما عاما عن بعض مواقفه النقدية :

يقول الاستاذ طه أحمد ابراهيم: والموازنة كتاب يخوض في أشعار أبي تمام
والبحترى ولكنه يتعرض لكثير من شؤون الشعر العربي والمحدث منه بخاصة (١)

ويشير الى أن للكتاب نهجا مخالفا للنهج الذى عرف عند ابن سلام
أو ابن قتيبة أو قدامة (٢) . وهذه اشارة جيدة لأن كتاب الموازنة يعتمد على
التعليل في كثير من المواقف والأحكام النقدية التى يفتقر اليها النقاد
المتقدمون .

وقد علل لذلك بأن الآمدى يخوض فى شعراء محدثين ويدرس النقد فى
عصر تسربت اليه كل الاصول الادبية وتجمعت فيه (٣) .

وأشار الى دراسة الآمدى للبديع من تجنيس وطباق واستعارة وبين أن
الآمدى انما ردد ما قاله الاقدمون من النقاد امثال عبد الله بن المعتز - ورأى
أن اهتمام الآمدى بهذا الجانب انما جاء من اهتمام أبى تمام والبحترى

(١) تاريخ النقد الادبى عند العرب ١٥١ - ١٥٢

(٢) تاريخ النقد الادبى عند العرب ١٥٢

(٣) نفس المصدر والصفحة

بالبديع في شعرهما ^(١) . ويلخص ذلك قائلا عن الاستعارة : " وزبدة ما قاله
الآمدى فيها أنها قديمة موجودة في كلام الأوائل وأن الصربي يستعير المعنى لما
ليس له " . ^(٢)

ويختير كتاب الموازنة للآمدى مثالا كاملا وشاملا لما كانت عليه الحياة
الشعرية والتيارات الأدبية وأذواق النقاد ومناحيهم في النصف الاول من
القرن الرابع وقبله ، ويقول " وقد عرفنا أن كتبنا كثيرة في النقد ألفت في عصر
البحترى وابن الرومى وأن كثيرا من الآراء شاع وذاع ، وضاع بعض هذه الكتب
ولكن الآمدى أشار إليها وانتفع بها وألم في كتبه بكثير من أفكار سابقيه ، والحق
أن أصول كتاب الموازنة ترجع الى نقد القرن الثالث ومؤلفيه وقد صرح الآمدى
بذلك " . ^(٣)

وقد نفى عن الآمدى تعصبه على أبي تمام وبين أن الآمدى أنصف أبا
تمام في بعض المواطن المهمة . ^(٤)

وقد عقد الدكتور محمد مندور فصلا في كتابه: النقد المنهجي عند العرب ،
بين فيه بعض الجوانب النقدية عند الآمدى وتحدث عن منهجه في النقد وتحقيق

(١) تاريخ النقد الادبى عند العرب ١٥٣ - ١٥٦

(٢) نفس المصدر ١٥٥

(٣) نفس المصدر ١٧٦ وانظر اتجاهات النقد فى القرن الرابع للهجرة ٢١٦

(٤) تاريخ النقد الادبى عند العرب ١٧٩

النصوص وكيفية معالجته للقضايا التي عرض لها - كما أشار الى دراسة الآمدى للاخطاء في الالفاظ والمعاني وأخيرا تحدث عن الموازنة عند الشاعر ومنهجيه في تأليف الكتاب .

ولا يعدو الدكتور محمد مندور أن يكون من النقاد الذين أشاروا الى بعض جوانب النقد عند الآمدى بشكل عام واعطاء صورة موجزة لبعض الجوانب ومع ذلك فان ما كتبه عن الآمدى يعتبر اسهاما ملحوظا في ميدان دراسة النقد العربي .

يقول معلقا على الآمدى في ذكره للموازنة التفصيلية واعتماده في ذلك على الموازنة بين معنى ومعنى وأيهما أشعر في ذلك المعنى بمعنى ، يقول : " وهذه بلاريب نغمة جديدة في تاريخ النقد العربي فالذى الفناه هو ألا يقف ذوو البصر بالشعر عند تفضيل طبقات الشعراء على طبقات أخرى على نحو ما رأيناهم يجعلون من امرئ القيس والناخلة وزهير والاعشى الطبقة الاولى من الجاهليين ومن جرير والفرزدق والأخطل الطبقة الاولى من الأمويين وهكذا " (١)

وهو بهذا يقرر فضل الآمدى باعتبار ذلك سبقا منه الى ايراد الحجج وما قاله أنصار كل شاعر مع ذكر أسباب التفضيل ثم يصدر الحكم وهذا ما يطلبه النقاد في الناقد الموضوعي .

ويرى الدكتور مندور أن الآمدى قد أورد الحجج * كما انتهت اليه وانها لم تكن من وضعه هو وأن كل فضله فيها هو فضل الجمع والعرض والربط * . ^(١) وهذه بلا شك طبيعة النقد في القرن الرابع والقرون المتقدمة منذ نشأة النقد وحتى الآمدى ، الا أنه يجب أن لا ننسى ماله من فضل وإضافة .

وقد نفى عن الآمدى تعصبه في كتاب الموازنة ، يقول * وبالرجوع الى كتاب الموازنة نفسه نجد أن المؤلف لم يتعصب للبهتري كما لم يتعصب ضد أبي تمام وانما هذه تهمة اتهمه بها النقاد اللاحقون عندما فسد الذوق وغلبت الصنعة والتكلف على الادب العربي ونظر هؤلاء الادباء المتأخرون في بعض انتقادات الآمدى لسخافات أبي تمام ووساوسه ولم يوافقوا على تلك الانتقادات لمرض أذواقهم فقالوا ان الرجل متعصب ضد أبي تمام * . ^(٢)

وبين فضل الآمدى في ارجاع الرأي النقدي الذي يورده الى أهله ونسبته اليهم كما فعل فيما نقله عن ابن المعتز وغيره . ^(٣)

ويلخص الدكتور محمد مندور جل ما قاله عن الآمدى وعن القضايا التي ناقشها يلخص ذلك في قوله : * وهكذا تتضح لنا روح الآمدى العلمية الدقيقة

(١) النقد المنهجي ٩٤

(٢) نفس المصدر ٩٦

(٣) نفس المصدر ١٠١

العادلة في دراسة هذين الشاعرين فهو يرجع الى النسخ كما يملك طكعة نادرة لا تقبل الشعر الا عن نظر ، فما لاح له حضريا يرفض نسبته الى البدو وهو قبل أن يدرس مسألة يجمع المؤلفات التي كتبت قبله في الموضوع ويدرسها ويناقشها والناظر المنصف لا يستطيع الا أن يشهد له بالاعتدال والدقة واستقامة الرأي فهو لا يتعصب لأحد ضد أحد وانما يتأمل ويدرس ويناقش وانما كان هناك من تعصب فهم في الحقيقة سابقوه الذين يناقش آراءهم كالصولي والسجستاني وابن تميم وابن أبي طاهر ودعبل الخزاعي وغيرهم ممن كانوا لا يزالون قريبي عهد بتلك الخصومة متأثرين بحرارتها ^(١) .

وقد أظهر الدكتور مندور اهتمامات الآمدي في التقصي للحجج والاحكام فيما عرضه من ذلك بشكل موجز - وبين من خلاله كيف أن الآمدي يعتبر من أول النقاد الذين يعد نقدهم منهجيا ^(٢) . بينما لم يظهر ذلك بوضوح في النقد قبله .

ويعتبر الدكتور احسان عباس الآمدي الناقد " الذي عبر عنه ابن سلاّم بايجاز حين ميز دور الناقد وعبر عنه الجاحظ بالثورة على النوع الموجود من النقد والنقاد في عصره الاول " ^(٣) كما يعتبر " كتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ذلك لانه ارتفع

(١) النقد المنهجي عند العرب ١٠٦ وقد أيد هذا الرأي الدكتور أحمد مطلوب

(اتجاهات النقد الادبي ٢٤٣) .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ٩٣ - ١٢٠

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب نقد الشعر - ١٥٥

عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التى تلم بالمعاني والالفاظ . . . والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة وكان تعبيراً عن المعاناة التى لا تعرف الكلل في استقصاء موضوع الدراسة من جميع أطرافه ولهذا جاء بحثاً فسيحاً في النقد واضح المنهج وليس فيه الا اليسير من الاستطرادات الجزئية". (١)

ويقرر الدكتور احسان عباس " أن الآمدى كان يؤثر طريقة البحثى ويميل اليها ومن أجل ذلك جعلها عمود الشعر ونسبها الى الأوائل وصرح بأنسه من هذا الفريق دون مواربة". (٢)

وقد أشار الدكتور احسان عباس الى أن الطريقة الجدلية التى ابتدأ بها الآمدى كتابه في المقدمة بين صاحب أبي تمام وصاحب البحثى انما هي من علم الكلام وأنها تدل على أن " يكون للآمدى قد درس علم الكلام غير أنه لم يتأثر به في النقد الا تأثيراً شكلياً". (٣)

ويشير الدكتور محمد زغلول سلام الى ناحية يتصف بها الآمدى وهى أنه ناقد صاحب ذوق فهو " الى جانب ثقافته النقدية العريضة صاحب ذوق ولماحية يهتدى الى جيد الشعر ويتعرف على بواطنه". (٤)

(١) تاريخ النقد الادبى عند العرب - نقد الشعر - ١٥٧

(٢) نفس المصدر ١٦٢

(٣) نفس المصدر ١٧٢، وهذا رأى ورد في اتجاهات النقد الادبى في القرن الرابع للهجرة ٢٠٩

(٤) تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى ١٦٤

ويتفق الدكتور محمد زغلول سلام مع ما قاله الدكتور محمد مندور حول حياد الآمدى في نقده حيث " يقف موقفا لا يميل به الهوى الى أحدهما فيناقش شعر كل منهما مناقشة موضوعية وقبل أن يقول في شعر أحد من الشاعرين كان يتتبع ما نسب الى كل منهما خطأً فنه لتتحقيق نصوصه ليتأكد من صحة النسبة لقائلها فرجع الى نسخ ديوان أبي تمام ليحقق الابيات التى أخذت عليه وكذلك رجع الى نسخ قديمة من شعر البحترى . " (١)

ويرى أن وقوف الآمدى في نقده الى جانب البحترى انما هو انصاف له فقد رأى " غالبية العلماء بالشعر والنقاد في عصره مع أبي تمام وطريقته على البحترى وطريقته فيهب هو للدفاع عن طريقة البحترى وهى ما ذكرناه من العناية بالصياغة ورواق الكلام وقرب المأخذ في المعاني . " (٢)

ويرى الدكتور سلام أن القرن الرابع والذى عاش فيه الآمدى وألف قد أثر على ملكته النقدية وثقافته العلمية لما حدث في هذا القرن من تفسيرات شملت كثيرا من جوانب الحياة المختلفة في كل مجالاتها . (٣)

ويرى الدكتور الريدوى أن تأليف كتاب الموازنة يعتبر " تنويجا للحركة النقدية التى نشأت حول أبي تمام والبحترى في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى لان هذه الحركة قد بلغت أوجها في هذه الفترة وقد كان الآمدى خير من تصدى لها وألف فيها . . " (٤)

(١) تاريخ النقد العربى الى نهاية القرن الرابع الهجرى ١٦٥

(٢) نفس المصدر ٢٠٤

(٣) نفس المصدر ٢٠٦ - ٢٠٧

(٤) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام في القديم ١٦٨

ويرى الدكتور الريد اوى أن الآمدى كان على جانب كبير من الثقافة والسعة والاطلاع على معاني القدامي والمحدثين ^(١) وان هذا الاطلاع وطكك الثقافة قد أمداه بكثير من الشواهد الشعرية ، هذا بالإضافة الى التمثل والفهم الصحيح للمعاني التى انتهت اليه مع قوة حافظة وقوة استحضار للشاهد فسي مكانه عندما تدعو اليه الحاجة يرفد هذا ذوق عربي سليم قادر على تمييز الحسن من الردى من الشعر وقدرة على التمييز بين أدق الفروق في البيست الشعرى * . ^(٢)

وأثنى الدكتور الريد اوى على ناحية مهمة في نقد الآمدى وهى * دققة الآمدى عندما يحقق الروايات التى نقلت اللفظة فيعمل ثاقب فكره فيها ويخلصها مما علق بها من تحريف النقلة وتصحيفهم * . ^(٣)

وقد عدد من خصائص الآمدى في نقده - رغبة الآمدى في الانصاف ، وتحري الدقة والحرص على التحقيق ^(٤) ، واعتماده على التعليل ، وذوقه الجيد ، وسعة ثقافته النقدية الأصيلة والمكتسبة ، وتجنب الحكم النهائي على الشاعر ^(٥) .

-
- (١) اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ٢٠٩
 (٢) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام في القديم ١٨٣ وانظرنهاية ص ٢٠١ من قوله * والمصدر الثالث . . .
 (٣) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام في القديم ٢٢٥
 (٤) والى ذلك أشار الدكتور أحمد مطلوب ايضا - اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ٢١٦
 (٥) انظر الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام في القديم من ٢٢٤ الى ٢٤٠

ويرى الدكتور أحمد بدوى أن الموازنة عند الآمدى كانت لا تهدف إلى تفضيل شاعر على آخر بشكل مطلق فـ " لا يرى الناقد من الصواب أن يطلق على واحد منهما أنه أشعر من صاحبه على الإطلاق ولكنه يوازن بين معنى ومعنى ويقول أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه " (١) إلى أن يقول " فالحكم على الشاعر عند الآمدى حكما ينبغى أن يترك للقارىء يستخلصه من هذه الأحكام الجزئية الصنية على الأمثلة " (٢).

ويبين الدكتور أحمد مطلوب جانبا هاما في نقد الآمدى وهو " مقدّمه على تلخيص الآراء وإيراد الحجج ومناقضتها وهو يذكر بما كان الجاحظ يفعل في كتبه حينما يدور نقاشا بين خصمين أو متحاجين " (٣).

وخلاصة ما يراه الدكتور أحمد مطلوب في نقد الآمدى هو " أن الآمدى كان ناقدًا ذا منهج واضح وقد استطاع بثقافته الواسعة وذوقه الرفيع أن يوازن بين الطائيتين ويتوصل إلى نتائج رائدة ولا يقلل من قيمة ميله إلى مذهب البحري في الشعر لأن ذلك لم يجعله متعصبا على أبي تمام بل كان عدلا منصفًا وهذا ليس قليلا في زمن كانت الخصومات تصطرع فيه وكان النقد يميل إلى الجزئيات والآراء الذاتية التي لا يخلو بعضها من هوى وضوح " (٤).

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ٥٤٨

(٢) نفس المصدر ٥٤٨

(٣) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة ٢١٣

(٤) نفس المصدر ٢٤٨

ويقول الدكتور أبو حمده عن الآمدي : " ان كتاب الموازنة يعتبر بحق أعظم ما وصل اليه النقد الادبي عند العرب أحسن فيه الامدى استخدام الثقافت في عصره وخطا بالنقد خطوات واسعة حيث نقله من دائرة الذوق الذاتي الذي تنقصه الدربة ^(١) وتموزه الادلة . . " ^(٢)

ويرى الدكتور منصور عبد الرحمن أن الآمدي قد خلط في نقده وخاصة في البديع يقول " فالآمدي مثلاً يدخل الاستعارة في البديع كما فعل ابن المعتز ^(٣) .

كما رأى الدكتور أبو حمده أن " الامدى لم يستطع بمقاييسه النقدية الضيقة أن يبصر هذه الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام فطفق يبحث له عن لفظة مستغربة . " ^(٤)

وقد اعترض أبو حمده على الآمدي في أمور أخرى فهو لا يوافقه في ارن السه العامي لعاميته ^(٥) ويرى أن تخليص الشعر من الالفاظ العامية يحجر صوتهما ويشنف عروقها ويحيلها الى رسوم عقيمة ^(٦) ، وهذا موقف غريب من الناقد .

(١) لعل في هذا تحامل من أبي حمدة على النقاد السابقين وخاصة أولئك الذين اشترطوا في الناقد أن يكون على جانب من الدربة والثقافة والعلم كإبن سلام

(٢) النقد الادبي حول أبي تمام والبحترى في القرن الرابع الهجرى ٧٩-٨٠

(٣) اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجرى ٢٥

(٤) أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة ٩٤ وهذا يخالف رأى أبي حمده فسي مؤلف آخر وقد اشرنا اليه في هذا الفصل (انظر الصفحة السابقة)

(٥) أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة ٩٦

ويخلص أخيرا الى القول بأن " الآمدى لم يستطع أن يتابع أبا تمام فسي أوجه الشبه والصلات التي يعقدها بين الأشياء في استعاراته فطفق ينحو عليه باللائمة لخروجه عن الصلات الواضحة القريبة ولذلك نقول ان مقاييس الآمدى النقدية قد قصرت عن تفهم استعارات أبي تمام " .^(١)

والى أن " الذى يؤخذ على الآمدى في معالجته لقضية السرقات الشعرية - شأنه في ذلك شأن النقاد الأقدمين اقتصراره على مناقشة المعنى المفرد في البيت الواحد وعدم التفاته الى امكانية التجديد في الطريقة والاسلوب بالاضافة الى عدم تحليله للمعاني المبدعة في الشعر " .^(٢)

وبين الدكتور محمد مصطفى هدارة أن الآمدى قد تنبه الى التأثير في الشعر يقول : " أما النقاد العرب فيمكننا أن نقول أنهم أدركوا في بحوثهم الاستيحاء أو توليد المعنى كما يسمونه كما أن بعضهم فطن الى التأثير كالأمدى حين اعتذر عن سرقات البحترى من أبي تمام لتأثره به " .^(٣)

وأشار الدكتور أحمد أمين الى ما ذكره الآمدى عن تأثير البيئة في الادب وبين أنها محض التفاتة من الآمدى لا تصل الى ما وصل اليه الجرجاني من بعد.^(٤)

(١) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة ٩٧ - ٩٨

(٢) نفس المصدر ١٠٦

(٣) مقالات في النقد الأدبي ٣٨

(٤) انظر في ذلك - النقد الادبي لأحمد أمين ٤٤٨

وقد أشار الدكتور محمد غنيمي هلال الى ما أثاره النقاد المتأخرون منذ العصر العباسي وما بعده - ومنهم الآمدي - حول بناء القصيدة واهتمامهم بالبديء والانتقال الى الفرغ ثم الخاتمة - واعتبر ذلك من الالتفاتات الجيدة التي التفت اليها النقاد^(١) ومن ضمنهم الآمدي .

وقد قرر الدكتور هدارة أن " للآمدي نظرية واسعة في موضوع المعانسي المشتركة والمبتدعة تشهد بذلك أسماء الكتب التي ألفها " .^(٢)

تلك خلاصة ما قاله النقاد المعاصرون عن الآمدي الناقد ، ما له وما عليه ، ولا يخفى أن جل الدارسين للآمدي من المعاصرين قد قاموا بوصف الكتاب وأقسامه وما اشتمل عليه بشكل عام دون تفصيل يذكر .

(١) النقد الادبي الحديث ٢٠٩ - ٢١٠ وانظر : النقد الادبي عند العرب

أصوله قضايا تاريخه ١٨٩ - ٢٠٠

(٢) مشكلة السرقات في النقد العربي ١٤٦

الفصل الثاني

تفد الجرجاني في نظر النقاد المحدثين

اهتم النقاد المعاصرون بدراسة بعض الجوانب النقدية عند الجرجاني وأدلوها بأرائهم كما فعلوا في دراستهم لبعض الجوانب النقدية عند الآمدي - ونستعرض طرفا من هذه الآراء التي تبين نقد الجرجاني في نظرهم ماله وما عليه .

فيرى الاستاذ طه أحمد ابراهيم أن كتاب الوساطة كتاب يبحث في شعر المتنبي ويعرض في الاستشهاد أو التدليل أو التماس العذر لكثير من الشعراء ، ونهجه مخالف للنهج الذي عرف عن النقاد المتقدمين أمثال ابن سلام وابن قتيبة وقدامة . ويرى أن الوساطة قد تجاوزت شعر المتنبي الى سواءه والى الشعر العربي عامة وقيمت المسائل التي جددت في الشعر العربي من عصر الى عصر فأنتهت بحثا مستفيضا قائما على الذوق والفكر والرواية رابطا كل عصور الأدب برباط روحي متين . (١)

ويقول * " وإذا كان الآمدي يؤرخ كل فن بدعي على حدة فقد أرخ الجرجاني البديع في كلمة عامة مهد بها لكل ما شرح من فنونه " . (٢)

ويقول : " لقد أحسن القاضي الجرجاني تصوير وجوه التفاوت بين القدماء والمحدثين وأرجع هذا التفاوت الى أسبابه وبواعثه ووصل من ذلك الى أحكام قيمة في النقد والى نظرات دقيقة " . (٣)

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ١٥٢

(٢) نفس المصدر ١٥٩

(٣) نفس المصدر ١٨٣

ويقول " أخى ما يمتاز به القاضي الجرجاني انفساح أفقه في النظر وقدرته على جمع أشتات ما يعرض له في تحليل حسن وتعليل سائغ مقبول وكان صادقا مخلصا في كل ما قرره فهم روح المحدثين وتفرقهم في البلاد وبعد هم عن عصور اللغة القديمة والمعاني التي سبقوا إليها وما نجم من أزمانهم من علوم وفنون فهم ذلك وغيره فأعذر عنهم . . . " (١)

وذكر بعض آراء للجرجاني تبين قوة النقد الموضوعي وتعمق النقاد فيه كحديثه عن الكلام على القدماء والمحدثين الذي جر إلى أن يخوض في العناصر التي يكون بها الشعر ومنها الطبع (٢) وكذلك تنويعه إلى أثر البيئة في الشعر والشعراء (٣) وشرحه لشيء من حالة اللغة والأدب والطبع العربي . (٤)

كما يستدرك على الجرجاني أنه لم يستطع أن يحدد مكانة صاحبه المتنبي كما فعل الآمدي بصاحبيه أبي تمام والبحتري واتجاههما في المحدثين ، " فليس من شك - أن الجرجاني - قصر في هذه الناحية تقصيرا معيبا ولم يضع أبا الطيب في موضعه ولم يحدد موقفه ونهجه بين الشعراء " . (٥)

ويقول الدكتور محمد مندور : " أساس منهج الجرجاني في النقد يمكن أن نلخصه في جملة واحدة هي أنه رجل يقيس الأشباه والنظائر وعلى هذا الأساس

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري ١٨٣

(٢) نفس المصدر ١٨٥

(٣) نفس المصدر ١٨٦

(٤) نفس المصدر ١٨٧

(٥) نفس المصدر والصفحة

بنى معظم وساطته بين المتنبي وخصومه .^(١)

وأشار الى اهتمام الجرجاني في الخلق الفني وقلل ؛ " وللجرجاني في ذلك صفحات عظيمة بحيث نرى من واجبنا أن نثبتها هنا " .^(٢)

ويقول عنه : " . . . وناقدا بعد كل ذلك لا يريد أن يطلى على قارئه آرائه وهو رجل لا يعرف التعصب حتى ولا تعصب الأدباء لما يروونه جميلا وإنما يفسح المجال لكل ذوق ويحاول مخلصا أن يوضح ما في بعض الشعر المصنوع من جودة وذلك طبعاً دون أن يتخلى عن ذوقه الخاص وعما يفضل من شعر وهنا يظهر لنا ذوقه الدفين ، ذوقه اللصيق بقلبه الى جوار ذوقه العقلي . . . " .^(٣)

أما عن موقف الجرجاني من السرقات فيقول الدكتور محمد مندور منتقداً :
" وفي الحق أن الجرجاني في هذا الوضع لم يستطع أن يفلت مما تورط فيه غيره من اظهار المهاراة الكاذبة في تتبع سرقات موهومة والكشف عنها كشفاً لا يدل الا على أنهم يحفظون الكثير من الشعر في الفنون المختلفة " .^(٤)

ثم يقول : " ومن غريب الامر أن الجرجاني نفسه لم يغفل عن وجوب الحذر في هذا الباب ولكنه لا يكاد يصل الى التطبيق حتى ينسى الحذر ويتورط فيما تورط فيه غيره " .^(٥)

(١) النقد المنهجي عند العرب ٢٥١ ويقصد بالاشباه والنظائر ما سبق اليه الشعراء السابقون .

(٢) نفس المصدر ٢٥٢

(٣) نفس المصدر ٢٥٩

(٤) نفس المصدر ٢٨٥ - ٢٨٦

(٥) نفس المصدر ٢٨٦

ثم يوازن الدكتور محمد مندور بيئته وبين الآمدى قائلا : " ونحن بمسند
نضعه في المرتبة الثانية بعد الآمدى وذلك لان معظم آرائه العامة عن الحقائق
الادبية قد سبقه اليها صاحب الموازنة الذى نظنه قد أثر في الجرجاني " ^(١) متأثرا
قويا ثم ان الآمدى قد كتب كتابه كله في النقد الموضوعي الدقيق المفصل بينما
صاحب الوساطة تكيف بالدفاع المنطقي عن شاعره ويورد له الاشعار الجيدة
في مقابل الرديئة ولكنه لا يبصرنا بمواضع الجودة أو الرداءة حتى اذا انتهى
الى مناقشة الخصوم مناقشة تفصيلية لم يوفق دائما في نظراته ، وأخيرا نفصل
الآمدى لان الجرجاني كان أميل الى المنطق والقياس منه الى تحكيم الفوق والحس
الفنى وصاحب الموازنة ربما كان من أبعد الناس عن هذا الاتجاه " ^(٢)

ثم يعلق بعد ذلك قائلا : " وأما الصفات التى نكبرها في الجرجاني
فهى صفات العلماء التى تتميز بالتواضع والحذر والنزاهة وعدم التحيز والمعدل
وتلك صفات تعظم بها قيمة كل نقد صحيح " . ^(٣)

ويقول عنه الدكتور احسان عباس " غير أن الكتب التى ألغت قبل الوساطة
اذا لم تستطع أن توحى بأن الجو كان مهيا للتوفيق والمصالحة فانها لا تنفى
أن الجو العام وعلى الاخص جو المجادلات الشفوية كان خير تربة صالحة لنمو

(١) لقد ثبت لنا في هذا البحث أثر الآمدى في النقد عن الجرجاني ، انظر
الفصل الاول من الباب الرابع من هذه الرسالة .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ٣٠١

(٣) نفس المصدر والصفحة

الناقد المعتدل ونحن نستأنس بشهادة القاضي الجرجاني نفسه فهو رجل
مصدق لانه يحب أن يأخذ بأسباب النزاهة . . .^(١)

ويقول عنه أيضا * ولهذا نستطيع أن نقول ان الجرجاني أهدى قدرة
فائقة في الموقف النقدي فكان بذلك جديدا في تاريخ النقد وبيان ذلك
أننا حيث وجدنا النزاع النقدي قائما حول أديب واحد أو دائرا في نطاق
المفاصلة بين أديبين فقد ظالعنا دائما المعجز عن التوسط بسبب الميل
المتأصل في طبيعة الفروق وقد حاول الأمدى أن يكون منصفا في الحكومة بين
البحترى وأبي تمام فعجز عن ذلك رغما عنه ، وما كان الأمدى الا معلما للجرجاني
فنجح الأمدى نظريا فقط بينما نجح تلميذه في منهجه نظريا وعمليا ، أما في
الاراء والنظريات النقدية فان الجرجاني لم يأت بشيء جديد وانما
التقت عنده أكثر الاراء والنظرات السابقة فأحسن استغلالها في التطبيق
والمرضى * .^(٢)

وأشار الدكتور احسان عباس الى أن الجرجاني استفاد من آراء سابقيه
في النقد وخاصة الأمدى والصوفي ولكنه نجح في ترتيب هذه الاراء وحاول
ترسيخها بالتوضيح والشرح والتوسعة والتدقيق في التفصيلات ، وكان لـه
الفضل في ابقاء قضية القديم والحديث التي كاد النقاد أن ينسوها لولا

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب - نقد الشعر - ٣١٥

(٢) نفس المصدر ٣١٦ - ٣١٧

أن أثارها الجرجاني في نقده فقد شغل النقاد بانقسامهم حول المحدثين والذي كاد ينسيهم القدماء والصراع النقدي في ذلك " .^(١)

ويقول عن كتاب الوساطة " ذلك هو " الوساطة " مثل فذ على نزاهة الحكم وقد أصبح لاعتداله مصدرا جامعا لعيوب المتنبي ومحاسنه ويبدو من حشد المؤلف لأهم الآراء النقدية السابقة أن القضايا النقدية الكبرى قد استدارت واستكملت . . . " .^(٢)

ويقول : " ان الوساطة عجزت عن أن تكون الجواب الشافي في موقف الخصوم والانصار من المتنبي " .^(٣)

واعتبر الدكتور محمد زغول سلام " الوساطة " من أهم كتب النقد في القرن الرابع الهجري " لسببين أولهما أنه يتصل بشاعر من أكبر شعراء هذا القرن بل انه أكبر شعرائه دون منازع ومن أبعد شعراء العربية ذكرا وأذيعهم شهرة ، وثانيها : أن القاضي كان مع كتابه موضوعيا حاول أن يناقش كثيرا من مشكلات النقد بطريقة علمية منهجية دون الاعتماد على مجرد الصاق التهم وإطلاق العيوب أو التفاخر الكاذب وإبراز ما للشاعر مما ليس له وإدعاء مفاخر باطلة دون وجه حق " .^(٤)

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب - نقد الشعر - ٣٢٧ بتصرف .

(٢) نفس المصدر ٣٢٥

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري - ٢١٩

وقد ربط بين منهج الآمدى والجرجاني بقوله : " . . . ونقول انه وكتاب الموازنة تؤمان يقيمان منهجا واضحا لدراسة الشعر ولقده وان كان الموازنة يزيد عليه بالموازنة بين النصوص " .^(١)

ويقول الدكتور محمود الريدادى " . . وأظن أنه ليست بنا حاجة الى الدلالة على أن الجرجاني هو الناقد الوحيد الذى نقد شعر المتنبى نقدا منهجيا وانصفه من خصومه الذين جردوا أقلامهم للتشهير ببعض هفواته وحددوا ألسنتهم للنيل من سمعة هذا الشاعر التى جابت الآفاق وتركت فى آذان الناس دويا عظيما " .^(٢)

ويقول عنه : " درس الجرجاني محاسن أبى تمام ومساوئه أثناء دراسته لمحاسن المتنبى ومساوئه فدرسته لمحاسن أبى تمام يلمحها عليه انصافه وعدله الذى يأبى عليه الا أن يعترف لذى الفضل بفضله " .^(٣)

وفي الوقت الذى يشير فيه الدكتور الريدادى الى أن الجرجاني لم يأت بجديد فى السرقات فانه يعترف له بفضل السبق فى :

١ - قضية التمييز بين الأنواع المختلفة للسرقة ووضع أولى التسميات لهذه الأنواع .

-
- (١) تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى - ٢٣٥
 (٢) الحركة النقدية حول مذهب أبى تمام فى القديم - ٢٧٤
 (٣) نفس المصدر ٢٨٠

٢ - بيانه لتفشي السرقة بين المحدثين ومحاولة اخفائها بالنقل والقلب وتغيير المنهاج والترتيب ، والزيادة والتأكيد ، والتعريض والتصريح والاحتجاج والتعليل حتى صار أحدهم اذا أخذ معنى أضاف اليه من هذه الأمور مالا يقصر معه عن اختراعه وابداع مثله " . (١)

ويشير الدكتور أحمد أحمد بدوى الى اعجاب الناس وتقديرهم لكتاب الوساطة (٢) واذفا منهجه النقدي بالواقعية والانصاف وبيانه لمشاركة الشعراء المتنبى في اخطائه وعدم تخير هذا الناقد الى صاحبه وتلك هي النزاهة في النقد . (٣)

وبين الدكتور منصور عبد الرحمن أن الجرجاني من كبار النقاد الذين يرجع لآرائهم في التفضيل والموازنة . (٤)

ويعتبر الدكتور أحمد مطلوب كتاب الوساطة " أبرز كتاب ظهر في هذا القرن - (القرن الرابع الهجرى) " . (٥)

ويقول عنه " وكتاب الوساطة رسالة واحدة مترابطة الأفكار في كثير من الأحيان ويستطيع الباحث أن يقسمها الى ثلاثة أجزاء واضحة وهي المقدمة

(١) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام في القديم - ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) أسس النقد الادبى عند العرب ٥٥٦

(٣) نفس المصدر من ٥٥٦ الى ٥٥٧

(٤) اتجاهات النقد الادبى في القرن الخامس الهجرى ٢٦

(٥) اتجاهات النقد الادبى في القرن الرابع الهجرى ٢٧٤

التي أوضح فيها منهجه وأسس النقدية ودفاعه عن المتنبي ونقده التطبيقي وهذا القسم الأخير هو الذي تصدق تسميته بالوساطة ^(١) .

ثم يقول : " لقد كان كتاب الوساطة من كتب النقد المهمة وقد استطاع مؤلفه أن يستوعب الآراء النقدية كلها ويصوغها ويستفيد منها في الدفاع عن المتنبي ويستغلها في مناقشة الآراء ولذلك يقف هو والآمدى في قمة النقد العربي ويمكن القول أن صاحب الوساطة خاتمة النقد المعتمد على الذوق إلى جانب اعتماده على القواعد والأصول فقد تحول النقد بعد إلى بلاغة وطفقت القواعد والتقسيمات عليه كما ترى في الصناعتين وكتابي عند القاهرة والعمدة وابن الأثير ^(٢) .

ويقول الدكتور محمود السمره وهو يتحدث عن موضوع السرقات : " ولكن الجرجاني بعد أن رسم لنفسه هذا المنهج السمع فشل عند التطبيق - وناقض نفسه عندما قال إن القدماء قد استغرقوا المعاني لأنه أورد أبياتاً لمحدثين سبقوا إلى معانيها، وسيوضح مما يلي أنه لا يؤمن بهذه الفكرة ^(٣) .

أما نقده بشكل عام فيقول عنه : " كتاب الوساطة صورة حية عن أبي الحسن الجرجاني القاضي العادل والشاعر المطبوع والناقد الذواقة ^(٤) .

(١) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة ٢٢٦ وانظر نفس النص عند الدكتور محمود السمره (القاضي الجرجاني الأدب الناقد ١١٣)

(٢) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة ٣٣١

(٣) القاضي الجرجاني الأدب الناقد ١٩٤ ثم انظر تحليلاته في الصفحات التي تليها .

(٤) القاضي الجرجاني الأدب الناقد ١١١ ويعتبر الكتاب بعد ذلك عرضاً عادياً للآراء الجرجاني وطريقة معالجته لبعض القضايا .

ويقرر الدكتور عبده قليله فضل الجرجاني على النقد بعده فيما تركه من آثار نقدية ظهرت بوضوح عند الذين أتوا بعده من النقاد .^(١)

كما أشار الدكتور أحمد مطلوب الى فضله في دراسة السرقات ، يقول :
 " ولعل أحسن ما في بحث الجرجاني تفصيله القول في أنواع السرقة المدوحة وتحريزه في الحكم على السرقة وبذلك تظهر روح القاضي الذي لا تأخذه فسي الحق لومة لائم ولا يدين أحدا الا بعد ثبوت التهمة ."^(٢)

وأشار الدكتور أحمد بدوي الى ترابط الأفكار النقدية في كتاب الوساطة فقال : " ويبدو من عرضنا لكتاب الوساطة أنه متماسك مرتبط الأجزاء ، وان المقدمات التمهيدية التي تحدث فيها عن تطور الشعر لها صلة وثيقة بالمتنبي لأنها ترى أنه من الخطأ قياس المتنبي بالشعراء الأقدمين وانما يقاس ان اتوخينا المعادلة بأمثاله من الشعراء المحدثين ."^(٣)

وبين الدكتور أحمد أمين أن للجرجاني فضله في التفاته الى تأثير البيئة في الشعر وأن نظريته النقدية في ذلك قد سبق بها (تين) بمئات الاعوام .^(٤)

(١) النقد الادبي عند القاضي الجرجاني - ٣٩٥ وما بعده وانظر القاضي الجرجاني ، سلسلة نوابع الفكر العربي (٣٣) من ص ٨٤ الى ٩٠ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ١٨٠

(٣) القاضي الجرجاني (سلسلة نوابع الفكر العربي ٣٣) ص ٧٣ - ٧٤

(٤) النقد الأدبي ٤٤٨ - وفي الحقيقة أن تأثير البيئة في الشعر قد قال به نقاد من العرب قبل الجرجاني واولهم ابن سلام ومن نقل عنهم .

ويقول عنه أنه : " ذو ذوق لطيف في التفضيل اذا استحسّن فأنما يختار الحسن سارٍ في الحكم له وعليه سير القاضي في القضية " .^(١)

وقد أثنى الدكتور عز الدين اسماعيل على تنبه القاضي الجرجاني الى أثر البيئة والتركيب النفسي للشاعر في الانتاج وبين أن ذلك مقياس جيد يثريه ناقد عربي رصين " .^(٢)

هذه صور موجزة لما قاله بعض النقاد المحدثين عن الوساطة وطريقة النقد فيها ، وعن الجرجاني ما له وما عليه ، وهي آراء تصور لنا بلا شك دور القاضي الجرجاني في حركة النقد بعده وآثاره النقدية الجيدة التي ظهرت بوضوح في الوساطة .

(١) النقد الادبي ٤٤٨

(٢) الاسس الجمالية في النقد ٢٦٨ (بتصرف) .

الخاتمة استنتاج وخلاصة

ظهر لنا من دراسة النقد عند الآمدى والجرجاني أن نقدهما قد قام أساسا على الموازنة - فالآمدى يوازن بين أبي تمام والبحترى ، والجرجاني يوازن بين المتنبي وغيره من الشعراء البارزين المحدثين والقداامي ليدافع عنه ويرد على خصومه . وقد اضطرتهما الموازنة الى دراسة القضايا النقدية فظهرت في نقدهما بشكل واضح .

وبدل ذلك على أمر هام جدا لم يتعرض له النقاد وهو أن هناك ترابطا عضويا وثيقا بين القضايا النقدية المتعددة التي عرفت عند النقاد العرب فالموازنة قائمة أساسا على دراسة الألفاظ والمعاني وأخطاء الشعراء فيهما ، وعلى دراسة القديم والجديد وبيان أثرهما على الشاعر وعلى دراسة السرققات وبيان المواطن التي أبدع فيها الشاعر من المواطن التي أخذها عن غيره من الشعراء ، وهي قائمة أيضا على دراسة بعض الجوانب المتعلقة بالنقد مثل الشروط التي يجب توافرها في الناقد حتى يقبل حكمه وتعريف الشاعر من غيره وبيان أثر البيئة والدين والأخلاق ونحوها في الشعر ، وهكذا .

لقد كان النقد عند الآمدى موازنة بين أبي تمام والبحترى تعرض أثناءها الى كل القضايا النقدية مبينا أهميتها في تقديم أحدهما على الآخر في بعض الجوانب دون غيرها وعكسه ، ولذلك فقد ظهرت القضايا النقدية متلاحمة مترابطة بحيث لا يمكن فصل واحدة عن الأخرى - كما كان الحال كذلك في النقد عند الجرجاني ، موازنة بين المتنبي وبعض البارزين من الشعراء ، ليقيم على خصومه الحجة ويدفع عنه الاتهام ، عارضا جميع

القضايا هيكلًا واحدًا لا يمكن تجزئته ليصل إلى تقديمه أو التقديم عليه فسي
مفاضلة بينه وبين الشعراء الآخرين .

إن اعتبار النقد الأدبي كلاً لا يتجزأ ليدفعنا إلى الاهتمام بالجمع بين
القضايا النقدية ودراساتها متكاملة لنخرج بدراسة موضوعية تعطى النقد
صورته الكاملة - وإن اعتبار القضايا النقدية أجزاءً تستقل كل واحدة منها عن
الأخرى ، لطريقة لا يمكن معها إعطاء النقد صورة الشمول التي هدف إليها
النقاد عند ما ألفوا في النقد ودرسوا الشعراء .

وما لاشك فيه أن أبا تمام والبحرئى والمتنبى كانوا من أبرز الشعراء
الذين دارت حولهم الخصومات وتباينت الآراء وكثر فيهم الحديث ، خاصة
في القرن الرابع الهجرى ، وقد ظهر ذلك واضحاً في كتابي الموازنة والوساطة
فصاحب الموازنة أقام نقده ابتداءً على ما أثاره خصوم كل من الطائيين
وأنصاره في المفاضلة بينهما ، وصاحب الوساطة أقام نقده على ما أصدره
خصوم المتنبى وأعداؤه - كما عرفهم - عليه من أحكام ، فحاول الانتصار له ،
ورسم في كتابه ما له وما عليه من الحسنات والمآخذ .

وتمتاز الموازنة عند الأمدى والجرجاني بدراسة شاملة للشعر وبيان
قيمتها الفنية والخلوص بعد ذلك إلى الحكم عليه .

ولم يجعل الآمدى الموازنة في جزئيات من شعر الطائيين بل جعلها في شعريهما عامة - كما أشار في مقدمة الموازنة - وظهر له أن من وزن بين الشعريين لم يستطع الجزم بأيهما أشعر ، ولم ينهج الآمدى هذا النهج - ولكنه جعل الموازنة عنده بين قصيدة وقصيدة ، اتفقتا في جوانب كثيرة ، كالوزن والقافية والاعراب ، والمعنى المشترك . وقد تعرض لدراسة جميع القضايا المتعلقة بنقد الشعر ليخلص الى حكم سليم في موازنته ، وتعرض أثناء هذه الدراسة الى الموازنة بين شعراء آخرين ، ليرسم منهجاً للنقد في الموازنة .

ويرى الجرجاني أن الموازنة والتفاضل بين الشعراء تدعوا الى التنافس وهي أساس اظهار الفضيلة عند الشاعر مبينا أن النقد السليم في الموازنات يجب أن يكون قائما على العدل مظهرا للفضائل والنقائص عند الشاعر على حد سواء .

ويظهر عنصر المقايسة عند الجرجاني في موازناته ، كأن يذكر بيتا لشاعر ثم يقيس عليه بيتا أو بيتا آخر ، ليظهر مواطن الجودة والرداءة وهكذا .

ونجد في الموازنة عند الجرجاني جانبا واضحا يتمثل في عرضه لنماذج معينة عند الشعراء ، دون التصريح بأيهم أفضل ، وقد نستطيع تسمية هذه الموازنة بالموازنة العامة ، أو يتمثل في الاكتفاء بذكره تفوق الشاعر على الشعراء الآخرين في أمر من الأمور المتعلقة بالشعر .

وقد اهتم الجرجاني في الموازنة بتعرضه لفنون الشعر وقضايا النقد
كما فعل الآمدي .

ومن القضايا التي درسها الناقدان " أخطاء الشعراء " ولا يوجد
خلاف كبير في طريقة معالجتهما لها . فكلاهما يرى أن الأخطاء لم يسلم منها
شاعر متقدم أو متأخر ، وإن الشعراء الفحول قد أخطأوا كما أخطأ المتأخرون
بعدهم .

وحصر الأخطاء فوجداها أخطاء تتعلق بالألفاظ وأخطاء تتعلق بالمعاني
وأخطاء تتعلق باللغة وأخطاء تتعلق بالبديع وأخطاء تخالف ما عليه العرف
والعادة . وقد جعلنا من دراسة الأخطاء عند المتقدمين مدخلا الى دراسة
الأخطاء عند أبي تمام والبحري ، ودراسة الأخطاء عند المتنبي .

ثم درسنا قضية الألفاظ والمعاني - وهي قضية كبيرة عرضا فيها جوانب
عديدة من أخطاء الشعراء ودرسناها دراسة مستفيضة .

وأشارا الى أن من المعاني ما هو مشترك وخاص ، ولا يوقف على الشاعر
الا المعنى الخاص الذي سبق الى الابداع فيه .

وبين الناقدان أن سهولة الألفاظ وجزالتها ، وصحة المعاني وشرفها ،
أمور لابد من توافرها لدى الشاعر المجيد وما خرج عنها يعتبر تقصيرا وخطأ ،
وتتبع الناقدان الجوانب التي تؤثر في اللفظ والمعنى كالطبع والصنعة .

ودرسا قضية السرقات وعد الآمدى منها السرقة الحسنة والسرقة اللطيفة والسرقة مع التقصير في المعنى ، والسرقة مع زيادة المعاني ، والسرقة مع الخطأ في المعنى وتصويبه ونقله لفرض آخر ، والانحراف به عن المعنى والسرقة في اللفظ والسرقة في المعنى ، والسرقة في اللفظ والمعنى وغير ذلك من أنواع السرقات عنده ، وقد جعل السرقات في الخاص من المعاني .

وبين الجرجاني أن السرقة قد تكون " تواردا في الخواطر بين الشعراء " وليست سرقا " وقد عدّ أنواعا من السرقات وقسمها كما فعل الآمدى وأطلق مصطلحات معينة على بعض أنواع السرقات . وهو يتفق مع الآمدى في أن السرقة لا تكون الا في الخاص من المعاني .

وقد جعل الآمدى والجرجاني دراسة السرقات وتقسيمها وتسمياتها مدخلا لدراسة السرقات عندهما . وقد اتفقا كثيرا في منهج دراستها ومعالجة جوانبها .

وقد اهتم الناقدان بدراسة القديم والجديد لان الشعراء الذين درسوهم يمثلون جانبا هاما في هذه القضية ، واتفقا في ميلهما الى القديم ولم ينكرا الابداع في الجديد ، ولا فضل المتأخرين مع ميلهما الى الطبع وترك التكلف .

وقد تعرض الآسدى والجرجاني أثناء نقدهما الى بعض الأمور النقدية فعرضا موقفهما من تعريف النقد والناقد والشاعر ، والشعر وما يؤثر فيه ، كاختلاف الطبائع والبيئة والعقيدة والتكلف وثقافة الشاعر ومقدرته الفنية .

ومما لاشك فيه أن كتابي الموازنة والوساطة يمثلان ذروة النقد العربي الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، ويعتبران من أجل كتب النقد التى عرضت لجميع القضايا النقدية ودرستها دراسة مستفيضة شاملة وربطت بين قضايا النقد ربطا وثيقا لا يمكن معه فصل قضية عن أخرى عند دراسة أى شاعر ، وجعلت الموازنة المحور الأساسى الذى تدور عليه تلك القضايا مجتمعة ، كما أعطت صورة كاملة لحركة النقد العربى منذ نشأته وحتى نهاية القرن الرابع ، حيث لم تقتصر هذه الحركة على أبى تمام والبهترى والمتنبى ، فقد عرض الكتابان كثيرا من آراء النقاد الذين سبقوهما وعاصروهما بالاضافة الى آرائهما النقدية الفاصلة في كثير من الأحيان .

المصاوير والمرآة

- * اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة
الدكتور أحمد مطلوب - نشر وكالة المطبوعات بالكويت (بيروت ١٩٧٣)
- * اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري
الدكتور منصور عبد الرحمن (مصر ١٩٧٧) .
- * أثر النحاة في البحث البلاغي
عبد القادر حسين (مصر ١٩٧٥) .
- * أخبار البحري
أبو بكر الصولي - تحقيق د . صالح الأشر (بيروت ١٩٦٤)
- * الأسس الجمالية في النقد العربي
الدكتور عز الدين اسماعيل (القاهرة ١٩٦٨) .
- * أسس النقد الأدبي عند العرب
الدكتور أحمد أحمد بدوي (القاهرة ١٩٦٤) .
- * أسرار البلاغة
عبد القادر الجرجاني (استانبول ١٩٥٤) .
- * اعجاز القرآن
أبو بكر بن الطيب الباقلاني - تحقيق سيد أحمد صقر (مصر ١٩٦٤)
- * الاغانى
أبو الفرج الأصبهاني على بن الحسين (طبع دار الكتب المصرية)
- * انباء الرواة على أنباء النحاة
جمال الدين القفطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب
١٩٥٢) .

- * الأنساب
السمعاني (ط الأوفست)
- * بهجة المجالس وأنس المجالس
أبو عمرو يوسف بن عبد البر - تحقيق محمد الخولي وعبد القادر القط
(مصر) .
- * البيان والتبيين
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون (مصر
١٩٦٥) .
- * البيان العربي
الدكتور بدوي طبانة (مصر ١٩٧٦) .
- * تاريخ الأدب العربي
كارل بروكلمان (مصر ١٩٦٢) .
- * تاريخ بغداد
أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (مصر ١٩٣١) .
- * التحفة البهية
أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (القسطنطينية ١٣٠٢ هـ) .
- * تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر
الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٧١) .
- * تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري
طه أحمد ابراهيم (بيروت)
- * تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري
الدكتور محمد زغلول سلام (مصر ١٩٦٤) .

- * جمهرة أشعار العرب
أبو زيد القرشي - تحقيق محمد البجاوي (مصر ١٩٦٧) .
- * الحركة النقدية حول مذ هبأبي تام - في القديم
الدكتور محمود الريدأوى (بيروت ١٩٦٧) .
- * حلية المحاضرة
أبوعلی محمد بن الحسن الحاتمی - تحقيق هلال ناجي (بغداد ١٩٧٨م)
- * الحيوان
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون
(مصر ١٩٦٥) .
- * خزانة الادب
عبد القادر بن عمر البغدادي - تحقيق عبد السلام محمد هارون (مصر
١٩٦٧) .
- * الخصائص
أبو الفتح عثمان ابن جني - تحقيق محمد علي النجار (مصر ١٩٥٥) .
- * دلائل الاعجاز
عبد القاهر الجرجاني - تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي (مصر ١٩٦٩م)
- * ديوان أبي نواس - الحسن بن هانئ (بيروت ١٩٦٣)
- * ديوان امرئ القيس
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٦٤) .
- * ديوان البحتری
تحقيق حسن كامل صيرفي (مصر ١٩٧٢) .

- * ديوان أبي تمام
شرح الخطيب التبريزي - تحقيق محمد عبده عزام (مصر ١٩٧٢) .
- * ديوان ذي الرمة
تحقيق مطيع ببيلى (المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤) .
- * ديوان عبيد بن الأبرص
تحقيق د . حسين نصار (مصر ١٩٥٧) .
- * ديوان المتنبي
وضع عبد الرحمن البرقوقي (بيروت) .
- * رسائل الجاحظ - رسالة في الجد والهزل
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون (مصر ١٩٦٤) .
- * الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره
الحاتمي - تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت ١٩٦٥) .
- * الرواية والاستشهاد باللفظة
الدكتور محمد عيد (مصر ١٩٧٢) .
- * زهر الآداب وثمر الألباب
أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري تحقيق علي البجاوي (مصر ١٩٦٩)
- * سر الفصاحة
ابن سنان الخفاجي - شرح عبد المتعال الصعيدي ومحمد علي صبيح
(مصر ١٩٦٩) .
- * السرقات الأدبية
الدكتور بدوي طبانة (مصر ١٩٥٦) .

- +
 * شذرات الذهب في أخبار من ذهب
 أبو الفتح بن العماد (المكتب التجارى بيروت)
- * شرح أشعار الهذليين
 صنعة أبي سعد الحسن بن الحسين السكري - تحقيق عبد الستار
 فراج ومحمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٥٢) .
- * شرح ديوان الحماسة
 أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي - نشر أحمد أمين
 وعبد السلام هارون (مصر ١٩٦٧) .
- * شرح ديوان زهير
 طبع دار الكتب المصرية (١٩٤٤) .
- * الشعر والشعراء
 ابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر (مصر ١٩٦٦)
- * الصناعات
 أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري - تحقيق علي البجاوي ومحمد
 أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٥٢) .
- * طبقات الشعراء
 عبد الله بن المعتز - تحقيق عبد الستار أحمد فراج (مصر ١٩٦٧) .
- * طبقات فحول الشعراء
 محمد بن سلام الجمحي - تحقيق محمود محمد شاكر (مصر ١٩٧٤) .
- * عبد القاهر الجرجاني - بلاغته ونقده
 الدكتور أحمد مطلوب ، نشر وكالة المطبوعات بالكويت (بيروت ١٩٧٣) .

* الممددة في محاسن الشعر وآدابه ونقده
أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد (مصر ١٩٦٣) .

* عيار الشعر
أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي - تحقيق د . طه
الحاجري و د . محمد زغلول سلام (مصر ١٩٥٦) .

* فحولة الشعراء
عبد الملك بن قريب الأصمعي - تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي
وطه زيني (مصر ١٩٥٣) .

* الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ
أبو العلاء المعري (بيروت) .

* الفن ومذاهبه في الشعر العربي
الدكتور شوقي ضيف (مصر ١٩٦٩) .

* الفهرست
ابن النديم (بيروت ١٩٧٨) .

* القاضي الجرجاني - سلسلة نوابع الفكر العربي
الدكتور أحمد أحمد بدوي (مصر ١٩٦٤) .

* القاضي الجرجاني - علي بن عبد العزيز
الدكتور عبده عبد العزيز قلقيله (مصر ١٩٧٤) .

* القاضي الجرجاني الأديب الناقد
الدكتور محمود السمره (بيروت ١٩٦٦) .

- * أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة
محمد علي أبو حمده (بيروت ١٩٦٩) .
- * قضايا النقد الادبي والبلاغة بين القديم والحديث
الدكتور محمد زكي العشماوي (بيروت ١٩٧٩) .
- * قواعد الشعر
أبو العباس أحمد ثعلب - تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي
(مصر ١٩٤٨) .
- * الكامل في اللغة والاسب
أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (القاهرة ١٩٥١) .
- * لسان العرب
ابن منظور (مصورة عن طبعة بولاق) .
- * المؤلف والمختلّف
أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي - تحقيق عبد الستار فراج
(القاهرة ١٩٦١) .
- * مقدمة القصيدة العربية
الدكتور حسين عطوان (مصر ١٩٧٤) .
- * مروج الذهب ومعادن الجوهر
علي بن الحسين المسمودي (مصر ١٩٦٤) .
- * المزهـر
جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه (مصر)

- * مشكلة السرقات في النقد العربي
• الدكتور محمد مصطفى هدارة (بيروت ١٩٧٥)
- * مقالات في النقد والادب
• الدكتور محمد مصطفى هدارة (مطابع دار القلم)
- * الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى
أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي - تحقيق سيد أحمد صقر (مصر ١٩٧٣)
- * الموازنة بين الشعراء
• زكي مبارك (مصر ١٩٣٦)
- * الموشح في مأخذ العلماء على الشعر
أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (مصر ١٣٨٥ هـ)
- * من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده
الدكتور محمد خلف الله - لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر ١٩٤٧)
- * النقد الأدبي
أحمد أمين - لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر ١٩٥٢)
- * النقد الأدبي عند العرب - أصوله ومناهجه
سيد قطب - (بيروت)
- * النقد الأدبي الحديث
• الدكتور محمد غنيمي هلال (بيروت ١٩٧٣)
- * النقد الأدبي حول أبي تمام والبحترى في القرن الرابع الهجري
محمد علي أبو حمدة (بيروت ١٩٦٩)
- * النقد الادبي عند القاضي الجرجاني
• عبده عبد العزيز قنديل (مصر)

- * النقد المنهجي عند العرب
الدكتور محمد مندور (مصر ١٩٧٢) .
- * النقد
الدكتور شوقي ضيف (مصر ١٩٥٤) .
- * نقد الشعر
قدامة بن جعفر - تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي (مصر ١٩٧٩)
- * أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية
الدكتور بدوي طبانة (مصر ١٩٥٢) .
- * الورق
أبو عبد الله محمد بن داود الجراح - تحقيق عبد الوهاب عزام
وعبد الستار فراج (مصر) .
- * الوزراء والكتّاب
أبو عبد الله محمد بن عیدروس الجهشياری - (مصر ١٩٣٨) .
- * الوساطة بين المتنبى وخصومه
القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق علي البجاوی ومحمد
أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٦٦) .